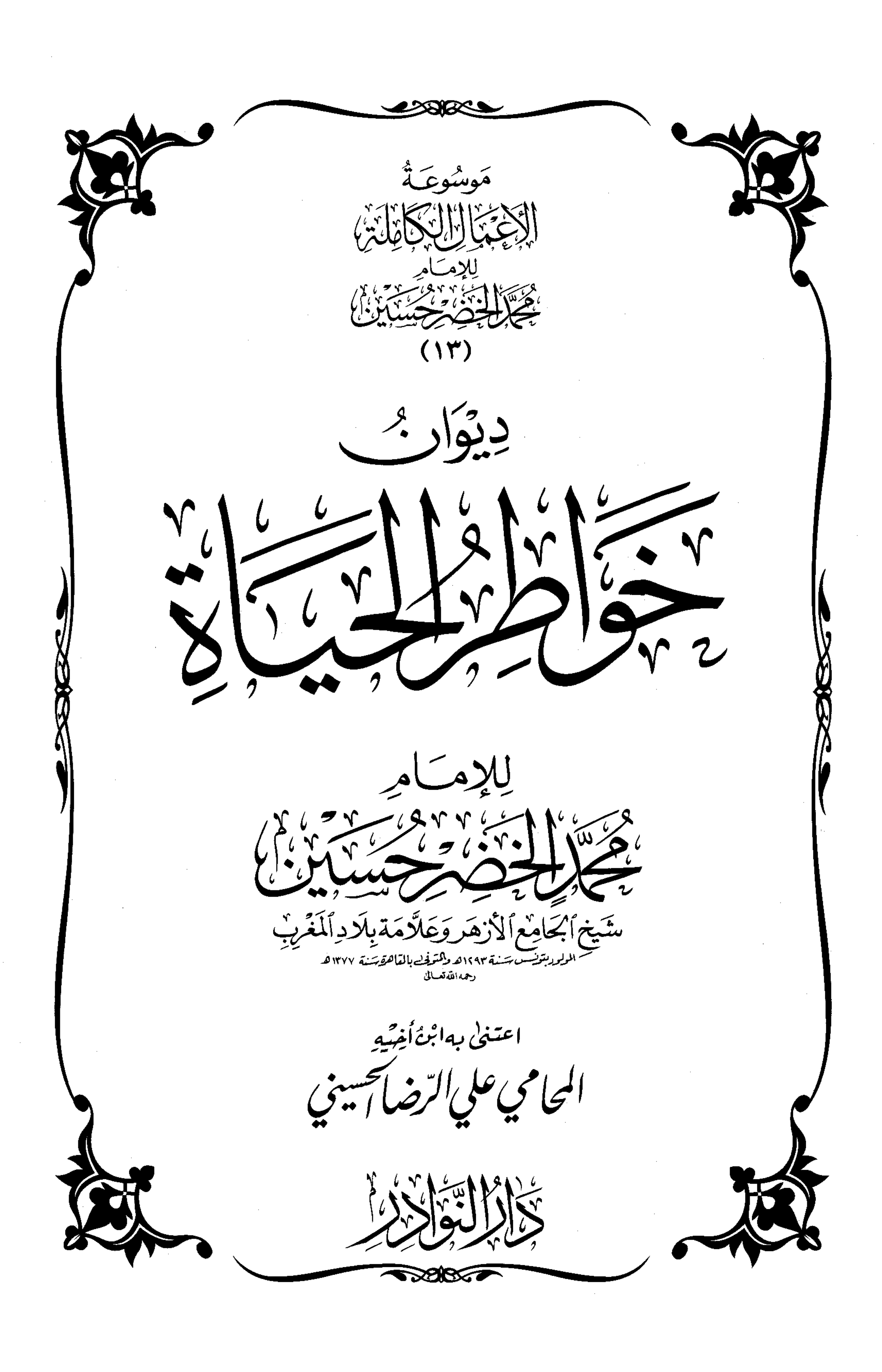


موسوعة

الأعمال الكاملة

للإمام

محمد الخضر حسين

(١٣)

ديوان

خواطر الحياة

للإمام

محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الأزهر وعلامة بلاد المغرب

المولود بتونس سنة ١٢٩٣ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ١٣٧٧ هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى به ابن أخيه

المحامي علي الرضا الحسيني

دار النوادر



الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

ردمك : ٣ - ٢٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN

9789933418263

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَسَة دَار النَّوَادِر م.ف - سُورية * شَرِكَة دَار النَّوَادِر اللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لُبنَان * شَرِكَة دَار النَّوَادِر الكُوَيتِيَّة - ذ.م.م - الكُوَيت

سورية - دمشق - ص. ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب : ١٤/٥١٨٠ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسسها سنة : ٢٠٠٦م

نُورُ الدِّين طَالِب

المُدِير العَام والرَّئِيس التَّنفِيذِي



المقدمة

شاعرنا الإسلامي المصلح الكبير الإمام الأكبر محمد الخضر حسين ـ رضوان الله عليه ـ راية هدى، وداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وديوانه «خواطر الحياة» روضة من رياض الحق والخير والسمو الخلقي، وقف حياته الطاهرة على الجهاد في سبيل الله، ومن أجل نصرة الشريعة، فكان شعره كنثره هما سلاحان ماضيان للذود عن الإسلام وللدعوة إلى الإسلام.

ولم يكن الشعر في نظره إلا دافعاً للشعوب التي تقاسي الاضطهاد، وحماساً لها ضد الجور والظلم، يقول في إحدى قصائد الديوان:

وأنفع الشعر ما هاج الحماسة في ... شعب يقاسي اضطهاد الجائرِ الأشِرِ
لو لم أخف وخز تثريب يصول بـه ... عليّ ناقد شعري مـن بني مُضـرِ
لقلت: لا شعر إلا في قريحة من ... يبيت من شقوة الأوطان في سهرِ
مـن ذا يقـيم علـى أرض يظللهـا ... ضيم ويحسن وصف الدلِّ والحـور

وإذا صنع القريضَ نقداً، فالإصلاح غايته ومرماه، وإذا رثى بقصيدة، فلعبرة ومأثرة، وإذا مدح، فللخصال الحميدة التي رآها في ممدوحه، وإذا وصف، أبدع، فازداد الأدب السامي ثراءً وجودة.

لعلو همته، ورفعة شأنه، وعاطر سيرته، أغضى عن بعض فنون الشعر، فلم ينظم إلا ما اطمأنت إليه نفسه، وارتاح له ضميره، وابتغى به وجه الله

ـ سبحانه وتعالى ـ، وعزة الإسلام، وقليل من الشعراء في كل عصر ومصر من كان على هذه المرتبة الراقية من الإباء والشمم. يقول شاعرنا:

ولـم أُنـض القريحـةَ فـي نسيب ... ولا عَـذَلاً شـكوت ولا بعـادا
فمـا أهـوى سـوى لغـة سـقاها ... قـريش مـن بـراعتهم شِـهادا
وطوّقهـا كتـابُ الله مجـداً ... وزاد سـنا بلاغتهـا اتقـادا

من الشعراء من نظم شعره إرضاء للباطل حتى يقتات من موائده، فغوى مع الغاوين، وهام في كل واد مع الهائمين، يمدح طاغية ليتصيد لقمة، ويخوض في بحر الكذب حتى القمة.

ومنهم من حمل بضاعة شعره يعرضها في كل سوق رائجة، يصوغ الشعر تكلفاً وتكليفاً، وينظمه أحجاماً وطبقات.

ومنهم من اتخذ الشعر لبثّ اللهو، وإرضاء الشهوة، فانحط به إلى الدرك الأسفل من الرذيلة، فكان مهرجاً لا شاعراً.

يقول الإمام الشاعر:

وفي الشعراء مـن ضـاقت خُطـاه ... وفاتتـه الحقـائق وهـي شـتى
فـراح يخـال لهـو القـول جـدّاً ... وينفـث فـي مكـان الرشـد بهتـا
وشـعر العـرب ذو نظـم فرفقـاً ... بهـا إن شـئت رفقـاً واسـتطعتا

هذا وقد أضفتُ إلى هذه الطبعة الرابعة ما عثرت عليه من شعر شاعرنا الكبير في أوراقه الخاصة، أو في الصحف والمجلات والكتب، وحاولت الجهد أن أشير إلى مرجع كل قصيدة أو مقطّعة، والمناسبة التي قيلت فيها، وتاريخ النظم.

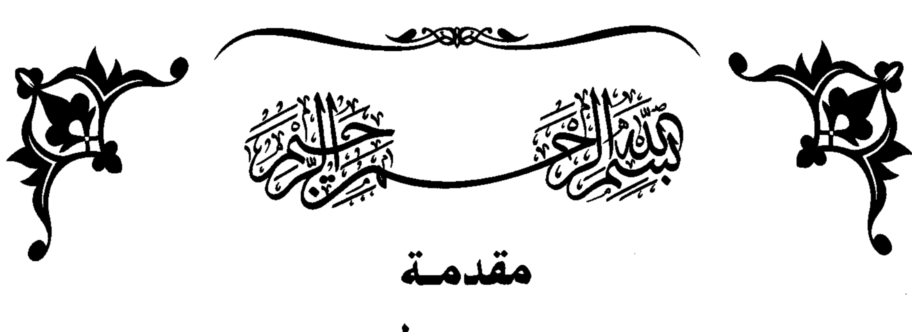
ومن الأمانة في العلم القول: إننا قد حافظنا على شرح وتعليق العالم الفاضل المرحوم الشيخ محمد علي النجار في طبعة الديوان عام ١٣٧٣هـ ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ـ جزاه الله خيراً ـ.

إن هذا الديوان «خواطر الحياة» جدير بأن يتناوله رجال الفكر والأدب بالتحقيق الواسع والدراسة المستفيضة، وإعطاء صورة صادقة لشاعرية المؤلف.

والله نسأل التوفيق والهداية في خدمة رسالة الإسلام.

علي الرّضا الحسيني

❒ ❒ ❒



مقدمة

خواطر الحياة

نشأت في بلدة من بلاد الجريد بالقطر التونسي يقال لها «نفطة»[1]، وكان للأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة نفحات تهبُّ في مجالس علمائها، وكان حولي من أقاربي[2] وغيرهم من يقول الشعر، فتذوقت طعم الأدب من أول نشأتي.

وحاولت في سن الثانية عشرة نظم الشعر، وفي هذا العهد انتقلت أسرتي إلى مدينة تونس، والتحقت بطلاب العلم بجامع الزيتونة[3]، وكان من أساتذة الجامع ومن هم في الطبقة العالية من طلاب العلم من أولعوا بالأدب، والتنافس في صناعة القريض إلى شأو غير قريب، فاقتفيت أثرهم، وكنت أنظم قصائد تهنئة لبعض أساتذتي عند إتمام دراسة بعض الكتب، ولكني أقبلت على طلب العلم، وتغلب ارتياحي له على ارتياحي للأدب حتى زهدت في صناعة النظم، إلا في أوقات تقتضي أن أهنئ صديقاً حميماً، أو في مجالس تجري فيها

---

(١) بلدة صحراوية في جنوب تونس، أطلق عليها اسم: الكوفة الصغرى؛ لمكانتها العلمية آنذاك.

(٢) وفي مقدمتهم أستاذه وخاله العلامة محمد المكي بن عزوز.

(٣) بناه الأمير حسان بن النعمان الغساني عام ٧٩هـ، وأتم بناءه الأمير عبدالله بن الحبحاب عام ١٤١هـ، ثم أحدثت به أبنية فخمة من المرمر والرخام.

محاورات أدبية، فتحرك داعية النظم لأن أقول البيت أو البيتين أو الثلاثة.

ولقلة إقبالي على نظم الشعر، أو لأنني كنت أرى أن ما أنظمه منه ليس أهلاً لأن يحتفظ به، لم يصحبني منه عندما رحلت[1] من تونس إلى الشام غير شذرات علقت بذاكرتي، أو شذرات وجدتها مبعثرة في كتب استصحبتها في رحلتي.

نزلت دمشق وللشعر فيها سوق غير كاسدة، ولكني آثرت أن أصرف القريحة في البحث العلمي، أو في العمل للقضية الإسلامية، بقدر ما أستطيع، وربما نزعت نفسي إلى أن أقول شعراً، فأرخي لها العنان، وأقول: هو فن من فنون الأدب الجميل، وللنفس فيه سلوة، ولا سيما شعراً أطرقُ به ناحية خلقية، أو أشارك به العاملين لإصلاح الحالة المدنية، أو أودعه صورة معنى لا أذكر أني لمحته فيما طالعته من المنشآت الشعرية أو النثرية.

ثم هبطت مصر[2]، وكانت صناعة القريض قد ارتقت فيها إلى ما يطمح إليه الشاعر العبقري، فازددت زهداً في النظم، وقلت يومئذ: أَجودُه ليس في متناول قريحتي، وغير الأجود تتسامى عنه همتي، وربما خطرت لي صور من المعاني في أوقات أبتغي فيها راحة، فألبسها ثوباً من الكلام الموزون.

ولم يلم بخاطري في يوم أن أجمع ما نظمته، وأخرجه للناس، حتى اقترح عليّ طائفة من إخواني الفضلاء أن أجمعه من أوراقه المتفرقة، وأصدره إلى عالم الأدب في صفحات متتالية، فما وسعني إلا أن تقبلت اقتراحهم، وقلت: هو كلام موزون، إن لم يجد فيه الأديب ما يروقه من لفظ أنيق، أو

---

(١) خلال شهر كانون الأول ١٩١٢م الموافق ١٣٣١هـ.

(٢) عام ١٣٣٩هـ، ١٩٢٠م.

معنى رشيق، فقد يرى فيه المؤرخ أشياء يهمه أن يتعرفها من مصادر متعددة.

وعمدت إلى ما نشر في بعض الصحف، أو احتوته بعض المذكرات، وضممت بعضه إلى بعضه، مرتباً له على حروف المعجم، ومنبهاً على المناسبة التي دعت إلى نظم القصيدة أو المقطَّعة، ثم عرضت على من اقترحوا علي جمعه، فأطلقوا عليه اسم: ديوان، ولقبوه بـ: «خواطر الحياة»[1].

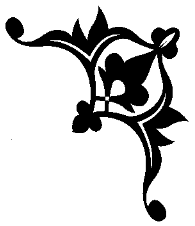
ودونك ما جمعت ورتبت، فانقده بفكرك الثاقب، وميزان منطقك العادل، عسى أن تنبه على خلل في تأليف الكلام، أو عيب في تصوير المعاني، فإن فعلتَ، فما هو بأول شعر كشف النقد البريء عما انطوى عليه من هفوات، وإذا محضتك الشكر، فما أنا أول من شكر الناقد البصير على إخلاصه للأدب، وإيثاره الصراحة في الحق على كتم ما تقع فيه الأفكار أو الألسنة من عثرات، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

محمّد الخضر حسين

«بنت عزّوز» لقد لقَّنتنا	خشية الله وأن نرعى الذِّماما
ودرينا منك أن لا نشتري	بمعالينا من الدنيا حُطاما
ودرينا منك أن الله لا	يخذل العبد إذا العبدُ استقاما
ودرينا كيف لا نعنو لمن	حارب الحق وإن سلّ الحساما

«من قصيدة للشاعر في رثاء والدته»

(١) صدرت الطبعة الأولى من الديوان بالقاهرة عام ١٣٩٩هـ، ١٩٤٦م، وأعيد طبعه للمرة الثانية بالقاهرة عام ١٣٧٣هـ، ١٩٥٣م، وعلق عليه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد علي النجار.

قافية الألف

أيْ فلسطين

«قيلت في مصر على فراش المرض عام ١٣٥٨هـ»[١].

نَصَبَ البُغَاةُ على ذُراكِ لِواءَ ... وكَسَوْا مَرابِعَكِ الحِسانَ دِماءَ[٢]
كُنْتِ الشَّرى وديارُكِ الآجامُ لا ... يَبْني حَوالَيْها الجَبانُ خِباءَ[٣]
وبَنوكِ أُسْدٌ مَنْ يَجُسُّ طِباعَها ... لَمْ يَلْقَ إلاَّ نَخْوَةً وإباءَ[٤]
ولقَدْ عَهِدْتُكِ والحَياةُ أنيسةٌ ... ورُباكِ تَزْهو بَهْجَةً ورُواءَ[٥]

---

(١) قصيدة قالها الشاعر منبهاً للخطر الصهيوني الداهم، وحاثاً المسلمين على الجهاد. ونشرت في مجلة الهداية الإسلامية ـ الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي عشر.

(٢) البغاة: يقال: بغى فلان على فلان: استطال عليه، وظلمه، وهي جمع باغ. الذُّرى: ذرى الشيء ـ بالضم ـ أعاليه، الواحدة ذروة ـ بكسر الذال وضمها ـ.

(٣) الشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل، والطريق في سلمى كثير الأُسد، ويكنى بها عن المكان الذي تكثر فيه الأسود. الآجام: جمع أَجَمَة: الشجر الكثير الملتف، يقال: «الموت لا تنجو منه الأسد في الآجام، ولا الملوك في الآطام».

(٤) جَسَّ: مسّ بيده.

(٥) الربى: جمع ربوة: ما ارتفع من الأرض.

مـا سـارَ فيـكِ الْغَـيْمُ إلاَّ صَـيِّباً   والـرِّيحُ إلاَّ أَنْ تَكـونَ رُخَـاءَ[١]
لا يحتَسي من ماءِ أَرضِـكِ صائِلٌ   فيما عَرَفْتُ سوى شُعاعِ ذُكاءَ[٢]
لا دَمْـعَ إلاَّ مِـنْ مَـآقي خاشـعٍ   للهِ يَـدْعُو خِيفَـةً ورَجـاءَ
لا حَـرَّ إلاَّ غَيْـرةٌ فـي أَنفُـسٍ   تَهـوى إذا حَمِـيَ الـوَطيسُ لِقـاءَ[٣]
مـا لِلْيهـود اسـتَوْطَنُوكِ وَصـاعَروا   بعـدَ الهَـوانِ خُـدودَهُمْ خُـيَلاءَ؟[٤]
أَفَمـا نبَـتْ بِهِـمُ مَـواطِنُ لـم تُطِـقْ   مَكْـراً يَحُـوكُ شَـقاً لهـا وبـلاءَ[٥]
يَنْفـيهِمُ الزُّعمـاءُ عـنْ سـاحاتِها   نَفْـيَ الرِّيـاحِ عَـنِ المِيـاهِ غُثـاءَ[٦]
هاتي فِلَسطينُ الحديثَ عـنِ الَّـذي   خَلَعَـتْ يَـداهُ علـى الْيهـود وَلاءَ
وأَعَـدَّ للعُـرْبِ الْكِـرامِ قذيفَـةً   فتَّاكَـةً أَوْ طعنَـةً نَجْـلاءَ[٧]
يُعطـيهُمُ عَهـدَ الحليـفِ مُـداهِناً   ويَسـومُهمْ سـوءَ الْعَـذابِ عِـداءَ

---

(١) الصيّب: مجيء السماء بالمطر. الريح الرخاء: اللينة الهُبوب.

(٢) صائل: يقال: صال صولاناً؛ أي: استطال، وسطا. الذُّكاء: الشمس، ويقال للصبح: ابن ذُكاء؛ لأنه من ضوئها.

(٣) الوطيس: التنور، أو الفرن، جمع وَطَس، ومنه قولهم: حمي الوطيس: إذا اشتدت الحرب، وتواطست الأمواج: تلاطمت.

(٤) صاغر خده: أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً من كِبَرْ. الخيلاء: الكبر والإعجاب.

(٥) نبا: تجافى وتباعد.

(٦) الغُثاء والغثَّاء: البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل.

(٧) نجلاء: واسعة، يقال: عين نجلاء كناية عن سعة شقة العين.

يَسقيهُمُ السُّمَّ الزُّعافَ فإنْ شَكَوْا ... عاطاهُمُ شَهْدَ الْكَلامِ رِياءَ[١]

يهتَزُّ من طربٍ لِرؤْيَةِ ثاكِلٍ ... تَبكي بِهاطِلِ دَمْعِها الشُّهداءَ[٢]

أَفَيَحْسَبُ الْقاسي الفُؤادَ دُموعَها ... ودَمَ الشَّهيدِ الماءَ والصَّهْباءَ[٣]

يا مَنْ دَهى الأَوطانَ وهيَ أَمينةٌ ... واجتاحَ أَطْفالاً بِها ونِساءَ[٤]

لا تأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إنَّ صُروفَهُ ... لا تَقْبَلُ الذَّهَبَ النُّضارَ فِداءَ[٥]

والعُرْبُ تَأْبَى الضَّيْمَ إلاَّ أَنْ ترى ... ضَيماً تَسَنَّمَ قَبْلَها الجَوْزاءَ[٦]

ما وعدُ بِلْفورٍ سوى الزَّبَدِ الَّذي ... يَطْفو ويَذْهبُ في الفَضاءِ جُفاءَ[٧]

---

(١) سم زُعاف: قاتل سريعاً. الشَّهد والشُّهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه.

(٢) ثاكل: المرأة فقدت ولدها.

(٣) الصهباء: الخمر، وقيل: المعصورة من العنب الأبيض.

(٤) دهى: نزل. أمينة: آمنة، وأهلها مطمئنون فيها.

(٥) صروف الدهر: حدثانه ونوائبه. النضار: الذهب والفضة، والجوهر الخالص من كل شيء.

(٦) الضيم: الظلم. تسنَّم الشيء: علاه، وهو من قولهم: تسنم الناقة؛ أي: ركب سنامها. الجوزاء: برج في السماء.

(٧) بلفور: وزير خارجية بريطانيا: وجه رسالة إلى أحد أثرياء اليهود روتشيلد بتاريخ ٢ تشرين الثاني نوفمبر من عام ١٩١٧م جاء فيها: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتحقيق هذه الغاية..». الزَّبد: ما يعلو الماء وغيره من الرغوة. الجُفاء: ما نفاه السيل، وقوله تعالى: ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾[الرعد: ١٧]؛ أي: باطلاً.

أَفَبَعْدَ فَتْحِ ابنِ الوَليدِ وصَحْبِهِ ... لِلقُدسِ وَعْدٌ يَستَحِقُّ وَفاءَ[1]
مَنْ مُبْلِغُ الحُنَفاءَ أُمَّةَ أَحمَدٍ ... نَبَأً يَطيرُ لَه الفُؤادُ هَباءَ[2]
تِلْكَ الأَيامَى عَضَّهُنَّ بِنابِهِ ... بُؤْسٌ وهُنَّ الصَّامِتاتُ حَياءَ[3]
ذاكَ الفَطيمُ تَفَقَّدَتْ لَحَظاتُهُ ... مَنْ كانَ يُطْعِمُهُ صَباحَ مَساءَ[4]
وَيْحَ الرَّضيعِ يَمُصُّ ثَدياً لَمْ تَذَرْ ... فِيهِ الكَوارِثُ للرَّضيعِ غِذاءَ[5]
ونَرى ابْنَ يَعْرُبَ في الصِّفادِ وَغَيْرُهُ ... طَلْقٌ يَجُرُّ ـ كما يَشاءُ ـ رِداءَ[6]
أَننامُ عَنْ إسْعافِهِمْ والدِّينُ قَدْ ... عَقَدَ ائْتِلافاً بَيْنَنا وإخاءَ
هَلْ من عواطِفَ كالنَّسيم يمرُّ في ... سَحَرٍ بِزَهْرِ حَديقَةٍ غَنَّاءَ
كُلٌّ يَجُودُ بِما اسْتَطاعَ فما النَّدى ... وَقْفاً على مَنْ يُجْزِلونَ عَطاءَ[7]
لا تُنْجِدُوهُمْ بالتَّحَسُّرِ وَحْدَهُ ... إنَّ التَّحَسُّرَ لا يُزيحُ عَناءَ

---

(١) ابن الوليد: (. . . ـ ٢١هـ) خالد بن الوليد بن المغيرة، سيف الله، والفاتح الكبير توفي ودفن في حمص.

(٢) الحنيفية: يقال: تحنف إلى الشيء إذا مال إليه، ومنه قيل لمن مال عن كل دين أعوج: هو حنيف، والجمع حنفاء، والحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام، الثابت عليه، ويطلق على كل من أصبح على دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

(٣) الأيامى: جمع أيّم، والأيم: من لا زوج لها، بكراً أم ثيباً.

(٤) تفقد الشيء: طلبه عند غيبته.

(٥) لم تذر: لم تدع.

(٦) الصفاد: ما يوثق به الأسير من قيد وغُلّ.

(٧) الندى: الجود والكرم.

لا تَـنْهَضُ الأوطـانُ مِـنْ كَبَواتِهـا ... إلاَّ علــى أَيْــدٍ تَفــيضُ سَــخاءَ

مـا سـادَ قَـومٌ أُشْـرِبُوا شُـحّاً وإِنْ ... بَلَغُـوا السَّـماءَ شَـجاعَةً وذَكـاءَ[١]

أَمِــنَ المُــروءَةِ أَنْ نُنـادَى للَّتــي ... فيهــا النَّجــاةُ ولا نُجيــبُ نِــداءَ

نَبْغِـي النَّجـاةَ ولا جِهـادَ كَمُـدْنَفٍ ... يَبْغــي الشِّـفاءَ ولا يُسـيغُ دَواءَ[٢]

إنْ تَحْسَـبوا الـبُخلاءَ أَحْيـاءَ وَهُـمْ ... صُـمُّ المسـامِعِ تَظْلِمـوا الأَحيـاءَ

لَوْ قِيلَ مَنْ مِثْلُ الحِجارةِ في الـوَرَى ... لَـم أَعْـدُ فـي تَمثيلـيَ الْـبُخَلاءَ

بَسَـطَ الْيَهُـودُ إلـى اليَهـودِ أَكُفَّهُـمْ ... بِالمـالِ مِـنْ بَيْضـاءَ أَوْ صَـفْراءَ[٣]

ومَتى أَرى قَوْمي قَدِ اسْتَبَقوا العُـلا ... بِسَـخاءِ كَـفٍّ يَكْشِـفُ الَّـلأْوَاءَ[٤]

بعض أمراضنا الاجتماعية[٥]

أَيَعــودُ للشَّـرْقِ الحَماسَـةُ والإِبـاءُ ... فَتَعــودُ عِزَّتُــهُ ويَبْـتَهِجُ الْعَــلاءُ؟

قالوا: استَقامَ الشَّرْقُ وَهْوَ يسيرُ فـي ... نَهْـجِ الفَـلاحِ وفـي عَزيمَتِـهِ مَضـاءُ

---

(١) الشح: البخل مع الحرص.

(٢) المدنف: الذي أثقله المرض. ساغ الدواء: سَهُلَ مدخله في الحلق.

(٣) البيضاء: الفضة. الصفراء: الذهب.

(٤) اللأواء: يقال: لأواء العيش: شدته، وفي الحديث الشريف: «من كانت له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن، كنَّ له حجاباً من النار».

(٥) قصيدة الشاعر يدعو بها إلى الإصلاح الاجتماعي، محذراً من الإلحاد والدعايات الخبيثة، ونشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزأين الأول والثاني من المجلد الرابع عشر.

وَلَشَدَّ ما خُضْنا الخُطوبَ ولَـمْ نُـرِدْ إلاَّ العُـلا وجَـرَتْ بِوادينـا دِمـاءُ
قُلنا: الدَّعارةُ لمْ تَـزَلْ فـي أَرْضِـنا ولِرَهْطِها في كُـلِّ حاضِـرةٍ لِـواءُ[1]
تِلْـكَ الخُمـورُ تُـدارُ فـي عَلَـنٍ ولا لَـوْمٌ يَنـالُ المُعْلِنِـينَ ولا جَـزاءُ
كَمْ مِنْ مَآدِبَ في البِـلادِ تُقـامُ فـي رَأْدِ الضُّحى وَعلى مَوائِدِها الطِّلاءُ[2]
فَتياتُنـا إنْ رُمْـتُ بَـثَّ شِـكايَتي مِنْ خَطْبِهِنَّ يُسابِقُ الشَّكْوى بُكـاءُ
كُـنَّ البُـدورَ حَصـانةً وَوَسـامةً والحُسْـنُ يَبْهـرُ إذْ يُخالِطُـه الحَيـاءُ
وحُجـورُهُنَّ مَـدارِسُ الأَطفـالِ إذْ طَهُـرَتْ فَحَظُّهُـمُ الطَّهـارَةُ والنَّقـاءُ
مـا بـالُهُنَّ اليَـوْمَ يُرْضِـينَ الهـوى ما شـاءَ، لا راعٍ يُهـابُ ولا قَضـاءُ
أَقْصـى الإلـهُ مَلاهِيـاً ومَراقِصـاً نُصِبَتْ كأَشْـراكٍ يُصـادُ بهـا النِّسـاءُ
فَيَضَـعْنَ أَحْمـرَ فَـوْقَ أَبـيَضَ زينَـةً ويَرِدْنَها كـالعِيسِ يَقْتُلُهـا الظَّمَـاءُ[3]
يَغْشَـيْنَها وثِيـابُهُنَّ كأَنَّهـا لِشُفوفِها فَوقَ الصَّلا والبَطْنِ مـاءُ[4]

(١) الدعارة: الخبث والفسق. الرهط: قوم الرجل وقبيلته. الحاضرة: ضد البادية، وهي المدن والقرى والريف.

(٢) رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس عند الخمس الأول من النهار، وانبساط ضوئها، وذلك شباب النهار. الطلاء: ما يطبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وبعض العرب يسمي الخمر: الطلاء

(٣) الأحمر والأبيض: الأصبغة التي تضعها النساء على وجوههن. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، وتطلق على كرام الإبل. الظماء: العطش.

(٤) الصَّلا: وسط الظهر من الناس، ومن كل ذي أربع، جمع صَلَوات، وأصلاء، وصَلا الفرس؛ أي: مغرز ذنبه.

أَسَفاً على عِـرْضِ الفَتـاةِ أَلـمْ يَكُـنْ ... مِـنْ غَيْـرَةِ الأُمِّ العَطـوفِ لَـهُ وِقـاءُ
اليَـوْمَ تُرْسِـلُها يـدُ الأَبِ نَفْسِـهِ ... بَـيْنَ الشَّـبابِ كأَنَّـهُ مِنْهـا بَـراءُ
وتَعودُ مِنْ، تِلْكَ الخَلاعـةِ مَوْهِنـاً ... وفؤادُها مِنْ عِـزَّةِ التَّقـوى هَـواءُ(١)
قـالوا: دَواءُ قُضـاتِنا قـانونُ بـا ... ريـزٍ، وقـانونُ الإلـهِ هُـوَ الـدَّواءُ
سُسْـنا بِـهِ الأَقْـوامَ فانْتَظَمَـتْ لَنـا ... في الشَّرقِ والْغَرْبِ العَدالَـةُ والـدَّهاءُ
لا تُخْـرِجُ الغَبْـراءُ مِثْـلَ مُحَمَّـدٍ ... أَوْ مِثْـلَ شَـرْعٍ آثَرَتْـهُ بِـهِ السَّـماءُ(٢)
طَغَتِ الوساطَةُ في الوظائف وَيْحَ مَـنْ ... لَـمْ يَـدْرِ أَيْـنَ الجَـاهُ أَوْ أَيْـنَ الثَّـراءُ
ضـاعَتْ بِجَانِبِهـا كِفايـاتٌ بَنَـى ... آساسَـها العِلْـمُ المُؤَثَّـلُ والـذَّكاءُ
بَلْـوَى الرِّياسـةِ أَنْ تُنـاطَ بِمَـنْ لَـهُ ... نَفْـسٌ تَعَبَّـدَها غُـرورٌ أَوْ رِيـاءُ
يَرْنـو إلـى الـدُّنيا بِمـرآةِ الهـوَى ... وبِعَـيْنِ أَعْشـى والعَشـا داءٌ عَيـاءُ(٣)
صَـوْتٌ مِـنَ الشَّـيْطانِ ردَّدَهُ الأُلَـى ... مَرَدوا على تَمثيلـهِ وَهُـوَ الهُـذَاءُ(٤)
نـادَوْا بِهـا قَوْمِيَّـةً خَرْقـاءَ أَوْ ... وَطَنِيَّـةً، لاحَبَّـذا ذاكَ النِّـداءُ

---

(١) المَوْهِنْ: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه، وقال الأصمعي: هو حين يدير الليل. هواء: خالٍ.

(٢) الغبراء: الأرض، ويقال: جاء على ظهر الغبراء والغُبيراء؛ أي: على ظهر الأرض؛ يعني: راجلاً.

(٣) الأعشى: الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار. العشا: سوء البصر بالليل والنهار، وقيل: العمى. داء عَياء: صعب لا دواء له؛ كأنه أعيا الأطباء.

(٤) مرد على الشيء: استمر عليه. الهذاء: القول الباطل، والتكلم بغير معقول لمرض أو غيره.

وإذا ذَكَـرْتَ الـدِّينَ قـالوا: خَلِّنـا ... مِـنْ ذِكْـرِهِ وعَلـى أُخُوَّتِـهِ العَفـاءُ[١]

إنَّ المـدارِسَ كالسَّـمواتِ العُـلا ... وعُلومُها مِثْـلُ النُّجُـومِ لَهـا ضـِياءُ

وكَأَنَّمـا عِلْـمُ الدِّيانَـةِ بَيْنَهـا ... قَمـرُ السَّـماءِ إذا تَجَلَّـى أَوْ ذُكـاءُ[٢]

وَسِياسَـةُ التَّثْقيـفِ يَشْـغَلُ بالَهـا ... ويَهُمُّهـا غَيْـرُ الهُـدى حَتَّـى الغِنـاءُ

ومَتـى يُمـاطُ أَذى الـدِّعاياتِ التـي ... تُوحي ضَلالاً والضَّلالُ هُوَ الوَبـاءُ[٣]

فَدِعايَـةُ الإلْحـادِ يَنْفُـثُ سُـمَّها ... رَهْـطٌ يـؤازِرُهُمْ عَلَيْهَـا أَغْبِـياءُ

إنْ جِئْـتَ نـادِيَهُمْ بـأَبلَغِ حُجَّـةٍ ... فَجَـوابُهِمْ عَنْهـا الـتَّهَكُّمُ والبَـذاءُ[٤]

وَدِعايَـةٌ فـي الفُـرْسِ بُيِّـتَ أَمْرُهـا ... يالَيْتَها ذَهَبَـتْ كما ذَهَبَ الجُفاءُ[٥]

جاسَتْ خِلالَ الشَّرقِ واغْتالَـتْ بِـه ... نَشْـئاً ولَـمْ يَغْـتَلْهُمُ إلاَّ الشَّـقاءُ

خَرَجُوا عنِ التَّوْحِيـدِ وارتَـدُّوا إلـى ... شِرْكٍ أَمَا قالوا: الإلهُ هُوَ البَهَـاءُ؟![٦]

---

(١) العفاء: التراب: قال صفوان بن محرز: إذا دخلت بيتي، فأكلت رغيفاً، وشربت عليه ماءً، فعلى الدنيا العفاء، ويقال: الهلاك.

(٢) ذُكاء: الشمس.

(٣) أماطه: أي: نحّاه، ومنه: إماطة الأذى عن الطريق.

(٤) البذاء: الفحش، وفلان بذيُّ اللسان.

(٥) الدعاية التي قامت في الفرس هي البهائية. الجُفاء: ما نفاه السيل إذا رمى به، وقال ابن السكيت: «وذهب الزبد جفاء»؛ أي: مدفوعاً عن مائه.

(٦) انظر كتاب المؤلف: «القاديانية والبهائية». البهاء: زعيم الطائفة البهائية، لقب يدعى به ميرزا حسين علي، وهو الزعيم الثاني للمذهب. وتسمى: الطائفة البابية، نسبة إلى (الباب)، وهو لقب ميرزا علي محمد الذي ابتدع هذه النحلة.

وَدِعايَةٌ في قادِيانَ تَبَرَّجَتْ　　لَكِنَّ حِلْيَتَها خِداعٌ وافْتِراءُ[1]
زُعَماؤُهُمْ ـ وغُلامُ أَحْمَدَ رَأْسُهُمْ ـ　　زَعَموا بِأَنَّهُمُ دُعاةٌ أَنْبِياءُ[2]
ودِعايةٌ هِيَ مِنْ صَنيعِ الغَرْبِ تَرْ　　عاها سِياسَتُه ويَغْمُرُها الحِباءُ[3]
لِمَنِ المدارسُ نَبْلُها شُبَهٌ ومَرْ　　ماها جُحودٌ في النُّفوسِ أَوِ امْتِراءُ[4]
عَجَباً لَنا نُلْقي إلى أَحْضانِها　　أَكْبادَنا مِنْ بَعْدِ أَنْ بَرِحَ الخَفاءُ[5]
أُعْطيتُ عِلْماً ما جَنَيْتُ بِهِ سِوى　　ذَهَبٍ، وصارَ البَيْتُ هَمِّي والغِذاءُ
إنْ لَمْ أُذَكِّرْ بالحَقائقِ دائِباً　　فَأَنا وغَيْرُ العالِمينَ بِها سَواءُ
هيَ تِلْكَ أَمْراضٌ نَئِنُّ لَها ولَمْ　　يَهْدَأْ صَباحٌ مُذْ عَرَتْنا أَوْ مَساءُ
لا خَيْرَ في الرُّؤْساءِ إنْ لَمْ يَنْهَضوا　　بِالشَّرْقِ حَتَّى يَخْلُفَ الدَّاءَ الشِّفاءُ
قالوا: حَوالَيْنا غَريبٌ رُبَّما　　يُبْدي رَغائبَ قَدْ تُعارِضُ ما نَشاءُ[6]
قُلْنا: الرَّئيسُ الحُرُّ لا يَثْنيهِ عَنْ　　إصْلاحِ شَأْنِ الشَّعْبِ خَوْفٌ أو رَجاءُ

---

(١) قاديان: بلدة في الهند قامت بها دعوة غلام أحمد، التي عرفت بالقاديانية.

(٢) غلام أحمد زعيم الطائفة القاديانية (١٢٥٢ ـ ١٣٢٦هـ)، ولد في قاديان بالهند، ودفن فيها، وله مؤلفات في دعوته الباطلة.

(٣) الحِباء: العطاء.

(٤) المدارس: ويقصد بها المدارس التبشيرية التي يوجهها ويديرها الاستعمار، والتي انتشرت في مصر والعالم الإسلامي داعية إلى غير رشاد. الامتراء: الشك.

(٥) أكبادنا: أي: أولادنا. برح الخفاء: وضح الأمر.

(٦) الغريب: يقصد به المستعمر إطلاقاً.

العرب والسّياسة

«كنت في قطار بضواحي برلين يرافقني مدير الأمور الشرقية بوزارة الخارجية، وكان يتحدث مع شاب ألماني باللغة الألمانية. ثم أقبل عليَّ، وقال لي: أليس هكذا يقول ابن خلدون: إن العرب أبعد الناس عن السياسة؟ فقلت: يريد: العربَ قبل دخولهم الإسلام. وبهذه المناسبة نظمت هذه الأبيات».

عَـذِيرِيَ مِـنْ فَتـىً أَزْرى بِقَـوْمي ... وَفـي الأَهْـواءِ مـا يَلِـدُ الهُـذاءَ[١]
يَقـولُ: العُـرْبُ ظَلُّـوا فـي جَفـاءٍ ... ومـا عَرَفُـوا السِّياسَـةَ والـدَّهاءَ
سَـلوا التَّـاريخَ عَـنْ حَكَـمٍ تَملَّـتْ ... رَعايـاهُ العَدالَـةَ والرَّخـاءَ[٢]
عَـزوفِ الـنَّفْسِ عَـنْ تَـرَفٍ ذَكُـورٍ ... لِعُقْبـي مَـنْ أَجـادَ وَمَـنْ أَسـاءَ[٣]
هُمـامٍ كـانَ سـامِرُهُ وأَقْصَـى ... بِـلادٍ فـي مَهابَتِـهِ سَـواءَ[٤]
هُـوَ الفـاروقُ لـمْ يُـدْرِكْ مَـداهُ ... أَميـرٌ هَـزَّ فـي الـدُّنيا لِـواءَ[٥]

---

(١) العذير: العاذر، يقال: عذر؛ أي: رفع عنه الذنب واللوم فيما صنع، أو على ما صنع، ويقال: من عذيري من فلان؟ ومعناه: أنه أهل للإيقاع به، فإن أوقعت به، كنت معذوراً. أزرى به: وضع منه، أو قصّر به. الهذاء: القول الباطل.

(٢) تملّى: استمتع، يقال: تمليت عمري: استمتعت فيه.

(٣) عزوف: يقال عزفت النفس عن الشيء: زهدت فيه، وانصرفت عنه، أو ملّته، فهي عزوف عنه، العقبى: جزاء الأمر، الآخرة.

(٤) الهمام: الملك العظيم الهمة، والسيد الشجاع، وهو من أسماء الأسد. السامر: مجلس السمّار، يقال: أمسيت البارحة في سامر الحي؛ أي: في مجلس مسامرتهم.

(٥) الفاروق: (٤٠ق هـ، ٢٣هـ) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وثاني الخلفاء الراشدين، قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق، فرق به بين الحق والباطل».

قوس الغمام

«قيلت في برلين عام ١٣٢٧هـ».

أَيَخْفى ضَميرُ المَرءِ يَوْماً وَلَـو سَـما ... إلى الذُّروَةِ القُصوى ضُحًى ودَهـاءَ
إذا كَتَمَتْنا الشَّـمْسُ أَلْوانَهـا ضُـحى ... يَبـوحُ بِهـا قَـوْسُ الغَمـامِ مَسـاءَ(١)

حمرة الشّفق

«قيلت في برلين عام ١٣٢٧هـ».

هَـذا الـدُّجى اغْتـالَ النَّهـارَ ودسَّـهُ ... تَحْـتَ التُّـراب مُضَـرَّجاً بِدِمائِـهِ(٢)
ما حُمْرةُ الشَّفَقِ الَّتـي تَبْـدو سِـوى ... لَطْخٍ مِنَ الـدَّمِ طـارَ نحـو رِدائِـهِ(٣)

ما ليل أرضي

«قيلت في مصر عام ١٣٦١هـ».

إنْ لَمْ أَبِـتْ أَحْـدو إلـى أَوْجِ الْعُـلا ... هِمَمـاً فَـلا طَلَعَـتْ عَلَـيَّ ذُكـاءُ(٤)
مـا لَيْـلُ أَرْضـي أَنْ يُقَطِّـبَ أُفْقُهـا ... وَعَلَيْـهِ مِـنْ نَسْـجِ الْغُـروبِ رِداءُ
بَـلْ لَيْلُهـا زَمَـنٌ يَفـوتُ وَلَـمْ يَكُـنْ ... لِلْفِكْـرِ أَوْ لِلْعِلْـمِ فيـهِ نَمـاءُ

---

(١) قوس الغمام: وكذلك قوس السحاب، يحدث في الأفق عقب المطر، وألوانه مختلفة.

(٢) الدجى: الظلمة.

(٣) الشفق: الحمرة في الأفق من الغروب إلى العشاء الآخرة، أو إلى قريب العتمة. اللطخ: اليسير القليل من كل شيء.

(٤) أحدو: أسوق، يقالك حداً الإبل: ساقها وغنى لها فهو حادٍ. الذكاء: الشمس.

الأثرة بين الأصدقاء

سايَرْتُ خِلاًّ في الهَجيرِ فَحادَ عَنْ ظِـلٍّ وآثَرَنـي بِبَـرْدِ هَوائِـهِ[1]
فَأَبَيْـتُ أَنْ أَرِدَ الظِّـلالَ وَصاحِبي يَلْقى وَهيجَ الشَّمْسِ فـي غُلَوائِـهِ[2]
وَلَوِ احْتَسى الْماءَ الزُّعاقَ حَسَوْتُهُ عَبّاً ولَـوْ جـاءَ الفُـراتُ بِمائِـهِ[3]
والـودُّ إِنْ شـابَتْهُ يَومـاً أَثْـرَةٌ ضَـلَّتْ مَعـالِمُ صِـدْقِهِ وَصَـفائِهِ[4]

❐ ❐ ❐

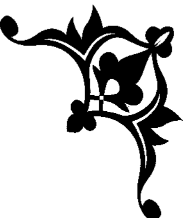
---

(١) الهجير: الهاجرة، شدة الحر.

(٢) وهيج الشمس: توقدها. الغُلَواء: أول الشباب، نشاطه وسرعته.

(٣) حسا الماء: شربه شيئاً بعد شيء. الزعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه. الفرات: الصافي.

(٤) الأثرة: الحال غير المرضية.

قافية الباء

تحية المجمع

«قيلت في افتتاح جلسات «المجمع اللغوي» بالقاهرة؛ لتحية المجمع، والإشادة باللغة العربية، والتنويه بمآثرها، وشكر المعنيين بها».

مـا زِلْـتَ تَقْتَـنِصُ المُنـى أَسْـرابا ... وتُـديرُ مِـنْ خمـرِ الصَّـفا أَكْوابـاً[1]
يُزْهـى فِنـاؤكَ بالرِّمـالِ كراحَـةٍ ... لَبِسَتْ مِنَ الـذَّهَبِ المُـذابِ خِضـابا[2]
فَعَلامَ تشكو الدَّهْرَ شَـكوى قـاطنٍ ... خَطَفَتْ يَدُ التَّرْحَـالِ مِنْـهُ صِـحابا؟
أَوجَسْـتُ رُعْبـاً إِذْ رأَيـتُ ركائِبـاً ... حملَتْ إلى مَرْسى السَّفينِ عِيابـا[3]
ولسَـرْعَ مـا طَلَعَـتْ بُـدورٌ والنَّـوى ... تَرْنـو لتقْـذِفَ فـي الفـؤادِ شِـهابا[4]

---

(١) اقتنص: اصطاد.

(٢) الفِناء: ما امتد من جوانب الدار، والساحة أمام البيت. الخضاب: ما يخضب به، وإذا أُطلق، دلّ على خضاب اللحية بالنسبة إلى الرجل، وعلى خضاب اليدين بالنسبة إلى المرأة، اختضب بالشيء: تلون به.

(٣) أوجس: أحس وأضمر. العياب: جمع العَيبة، وهي ما يجعل فيه الثياب.

(٤) لَسرْع: أي: ما أسرعَ. النوى: البعد. رنا: نظر. الشهاب: شعلة من نار ساطعة، أو ما يرى كأنه كوكب انقض، وجمعه شُهُب.

صَـفَرَ المُنَبِّـهُ للرَّحيـلِ وَلَيْـتَهُمْ سَـمَّوْا وَغَـى هـذا الصَّـفيرِ نُعابـا(١)
شَيَّعْتُ بـالطَّرفِ السَّـفينةَ شاخِصـاً حَتَّـى تَـوارَتْ بالعُبـابِ فَآبـا(٢)
وإذا انْثَنـى طَرْفـي فَقلْبـي لا يَـرى غَيْـرَ السَّـفينةِ للقلـوبِ مَآبـا
يا رامِياً عَـنْ قَـوسِ جـالينوس هَـلْ أَلْفَيْـتَ للقَلْـبِ الشَّـجِيِّ طِبابـا(٣)
هَـذا الأسـى تُذْكيـهِ ذِكْـرى رامَـةٍ وتزيـدُهُ ذِكْـرى العَقيـقِ لِهابـا(٤)
أَسْـلو البِـقاعَ سِـوى تِهامـةَ إنَّهـا كانَـتْ إذا خَبَـروا البِـلادَ لُبابـا(٥)
هي هالةُ العُرْبِ الأُلى شادوا علـى هـامِ النُّجـومِ الزَّاهِـراتِ قِبابـا(٦)
وأَمَـدَّهُمْ وَحـيُ السَّـماءِ بِحِكْمَـةٍ ساسـوا بهـا الأَجسـامَ والأَلْبابـا
إِنْ سُولِموا كـانوا الملائِـكَ سُـجَّداً أَو حُورِبـوا كـانوا اللُّيُـوثَ غِضـابا

---

(١) الوغى: الصوت والجلبة، ومنه قيل للحرب: (وغى)؛ لما فيها من الصوت والجلبة. النعاب: صوت الغراب، يقال: نعب الغراب: صوّت بالبين.

(٢) شيّع فلاناً: خرج معه ليودعه، ويبلغه منزله. الطرف: العين، ولا يجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، فيكون واحداً وجمعاً، قال تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[إبراهيم: ٤٣]. شاخص: الذي يفتح عينيه ولا يَطْرف. العباب: الموج. آب: رجع.

(٣) جالينوس: طبيب وحكيم يوناني (نحو ١٣١ ـ ٢٠١م)، له اكتشافات هامة في التشريح. الطباب: ما يطب به.

(٤) تذكيه: أذكى: أوقد وأشعل. رامة: مكان في الطريق بين البصرة ومكة المكرمة. العقيق: وادٍ بظاهر المدينة المنورة. اللِّهاب: جمع اللّهب، وهو لسان النار.

(٥) تهامة: مكة، وبلاد شمالي الحجاز. اللباب: المختار الخالص من كل شيء.

(٦) هالة: الدّارة حول القمر، جمع هالات.

عَرِّجْ على التَّاريخِ يُمْلِ عَلَيْكَ مِنْ   خَطَراتِ هاتِيكَ النُّفوسِ عُجابا
تَلْقى مَنابِرَ في صُدورِ مَحافِلٍ   تَجْري بِها نُهُرُ البَيانِ عِذابا
تَلْقى مَجَرَّ قَناً ومَجْرى ضُمَّرٍ   خُلِقَتْ كما يَبْغي الكُماةُ عِرابا[1]
ما ضَرَّ مَنْ مَلَكَتْ يداهُ صَوارِماً   أَلاَّ يَرُدَّ إلى الطُّغاةِ جَوابا[2]
بَهَرَ الرَّشيدُ بِقَوْلِهِ لِمُهَدِّدٍ:   سَتَرى الجَوابَ كَتائِباً وحِرابا[3]

---

(١) قنا: جمع قناة، وهي الرمح. ضُمَّر: جمع ضامر، ويقصد بها الخيل. الكماة: جمع الكمّي: الشجاع. الخيل العراب: السالمة من الهجنة.

(٢) الصوارم: جمع صارم: السيف القاطع.

(٣) الرشيد: هارون بن محمد بن المنصور العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق (١٤٩ ـ ١٩٣م) ولد بالري، وتوفي في «سناباذ» من قرى طوس. وكان بين هارون الرشيد والملكة ريني ملكة الروم عهد، حتى خلعت، وارتقى العرش نقفور الذي كتب إلى الرشيد: «من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مُقام الرُّخّ، وأقامت نفسها مقام البَيْدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه إلينا، لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن. فإذا قرأت كتابي، فاردد ما حصل لك من أموالها، وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك، وإلا، فالسيف بيننا وبينك». فلما قرأ الرشيد هذا الكتاب، استفزه الغضب حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه، وتفرق جلساؤه، ودعا بدواة، وكتب على ظهر الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة، والجواب ما تراه، لا ما تسمعه، والسلام». ثم حمل الرشيد من يومه على الروم، وهزمهم. الكتائب: واحدها الكتيبة، وهي القطعة المجتمعة من الجيش، وقيل: جماعة الخيل إذا أغارت من المئة إلى الألف. الحراب: جمع حربة. وهي آلة للحرب من الحديد قصيرة محددة الرأس.

قَلَـمُ ابـنِ يَحْيـى كـانَ بَـيْنَ حُماتِـهِ ... يُسْـدي نَعيمـاً أَوْ يـذيقُ عَـذابا[١]

ونَـأَوْا فَلَـمْ يُسْـعِدْهُ فَضْـلُ بَيانِـهِ ... حَتَّـى تَوَسَّـدَ بِـالعَراءِ تُرابـا

والسَّيفُ في عَشْواءَ لَوْ لمْ يَسْتَضِـئْ ... بِسَنَا اليَراعَةِ في الخُطوبِ لخَابـا[٢]

فَهُما جَناحا الشَّعْبِ إذْ يَبْغـي العُـلا ... وإذا هُمـا فاتـاهُ كـانَ ذُنـابى[٣]

آهِ تصـدَّعَ مـا بَنـاهُ الشَّـرقُ مِـنْ ... مَجْـدٍ وأَوشَـكَ أَنْ يَصـيرَ يَبابـا[٤]

عِفْتُ الحياةَ وكِدْتُ مِنْ أَسَفي عَلى ... مَجْـدٍ تَصَـدَّعَ لا أُسـيغُ شَـرابا

مَـنْ ذا يُنَبِّئُنـي بِلَهْجَـةِ مُلْهَـمٍ ... نَبَـأً يُـزيحُ عَـنِ الحَشـا أَوْصـابا[٥]

أَنـرى المِيـاهَ القُـتْمَ تَحْـتَ سَـمائِنا ... شَـفَّافَةً، ونَـرى الثِّمـادَ عُبابـا[٦]

وإذا صَـفا وِرْدُ الحيـاةِ لأُمَّـةٍ ... مَـدَّ الفَـلاحُ بأَرْضِـها أَطْنابـا[٧]

---

(١) ابن يحيى: عبد الحميد بن يحيى المعروف بالكاتب (. . . ـ ١٣٢هـ) من أئمة الكتاب، وعالم بالأدب، أصله من قيسارية، وسكن الشام، وقتل في بوصير بمصر. حماة: جمع حامٍ، وهو الأسد. يسدي: يحسن ويصيب.

(٢) عشواء: ظلمة. اليراعة: القصبة التي يكتب بها. الخطوب: الشؤون والأمور الجليلة واليسيرة.

(٣) ذنابى: ذنب

(٤) آهِ: اسم فعل مضارع بمعنى أتوجّع. يباب: خراب.

(٥) الحشا: ما في البطن، جمع أحشاء. أوصاب: جمع وَصَب، وهو المرض.

(٦) القتم: جمع الأقتم، وهو الأسود. الثماد: الماء القليل لا مادّة له.

(٧) الوِرْد: الماء الذي يورد. الأطناب جمع طُنُب، وهو حبل طويل يشد به سرادق الخباء.

مَهْلاً كَأَنِّي شِمْتُ بَرْقَ حَماسَةٍ بَيْنَ الجَوانِحِ فاطَّرَحْتُ عِتابا
ولَمَحْتُ في شُبّانِنا وكُهولِنا عَزْماً صَميماً لا يَهابُ صِعابا
عَزْمٌ هُوَ الصَّمْصامُ إلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ مِثْلَ السُّيوفِ قِرابا(١)
لِيَطُلْ على الآمالِ لَيْلٌ أَوْ تَقُمْ مِنْ دونِها شُمُّ الجِبالِ عِقابا(٢)
عَهْدٌ عَلَيْنا أَنْ نُعيدَ بِعَزْمَةٍ عُمَرِيَّةٍ هَرَمَ الزَّمانِ شَبابا(٣)
أَنا إنْ يَئِسْتُ قَضَيْتُ بُغْيَةَ شامِتٍ وَحَلا الهِجاءُ لِمَنْ يَرومُ سِبابا
لَوْ أَنَّ يأْسَ النَّفْسِ صُوِّرَ طائِراً لَرَأَيْتَهُ بَيْنَ الطُّيورِ غُرابا
رُمْنا السَّعادةَ في الحَياةِ فَلَمْ نَجِدْ غَيْرَ المَعارِفِ لِلسَّعادةِ بابا
والعِلْمُ كاللَّبَنِ الغَريضِ يَطيبُ إنْ أَنْقَيْتَ أَقْداحاً لَهُ وَوِطابا(٤)
لا خَيْرَ في عِلْمٍ وَعَتْهُ نَقيبَةٌ كَشَفَتْ عَنِ الطَّبْعِ الذَّميمِ نِقابا(٥)
أَوَ ما تَرى شَهْدَ الغَمامِ يَمُرُّ إنْ لاقَى مُراراً في الفَلا أَوْ صابا(٦)

---

(١) الصمصام: السيف الذي لا ينثني. القراب: الغمد.

(٢) عقاب: جمع عقبة، وهي مرقى صعب في الجبال.

(٣) عمرية: نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب.

(٤) الغريض: يقال غَرَض الشيءَ: اجتناه طرياً، والمقصود هنا باللبن الغريض: أي: حديث العهد بالحلْب. الوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن، ويجمع كذلك على أوطب، وأوطاب.

(٥) النقيبة: النفس، والعقل، والمشورة، النقاب: القناع أوالبرقع.

(٦) الشهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه. المرار: شجر مرّ من أفضل العشب. الصاب: شجر مرّ عصارته.

والعِلْمُ لَوْ لمْ تَحْتَضِنْهُ اللَّهْجَةُ الْـ ـفُصْحى لَعَزَّ على العُقولِ طِلابا
وَمفاتِحُ العِرْفَانِ في أيدي الأُلَى راضوا البَيانَ خَطابَةً وكِتابا
والعُرْبُ قُدْماً مَهَّدوا لحضارةِ الْـ أُمَمِ الحُجورَ وفَتَّحوا الأَبْوابا[1]
حَضَنوا العُلومَ وأَنْعَشوها بَعْدَ أَنْ كادَتْ تَشُقُّ مِنَ الأَسى أَجْيابا
واسْتَطْلعوا أَسْرارَها فَبَدَتْ كما يُبْدي المِزاجُ على الكُؤوسِ حَبابا[2]
وتبوَّأَتْ مِنْ لَهْجَةٍ فَينانَةٍ نُزُلاً كأَنْدِيَةِ الكِرامِ رِحابا[3]
هِيَ لَهْجَةٌ حَظِيَتْ بِنُطْقِ مُحَمَّدٍ فَزَكا جَناها في اللُّغاتِ وَطابا[4]
لَكِنْ عَرَتْها غَفْوَةٌ وَقَرائِحُ الْـ ـعُلَماءِ تَغْزو أَوْهُداً وهِضابا[5]
مَسَحَتْ عَنِ الجَفْنِ النُّعاسَ يَروعُها أَنْ تُزْدَرى بينَ اللُّغَى وتُعابا[6]
وَرأى رِجالُ العِلْمِ كيْفَ تَكامَلَتْ لَهَجاتُ قَوْمٍ سايَرَتْهُ جِنَابا[7]
فاسْتَنْكَفوا أَلاّ يَكونَ شِعارُهُمْ في الدَّرْسِ حَرْفَ الضَّادِ والإِعْرابا

---

(١) الحُجور: جمع الحِجْر، وهو العقل. قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[الفجر: ٥].

(٢) المزاج: ما يمزج به كالماء في الشراب. الحَباب: الفقاقيع التي تعلو الماء، قطرات الندى.

(٣) تبوأ المكان: اتخذه محله، وأقام به. فينانة: كثيرة الشعر؛ أي: غزيرة وواسعة.

(٤) زكا: نما، وزاد. الجنى: ما يجنى من الشجر ما دام غضاً.

(٥) عرا: ألمّ به. قرائح: جمع قريحة، وهي ملكة في نظم الشعر واستنباط العلم. أوهداً: جمع وَهْد، وهي الأرض المنخفضة.

(٦) راع: فزع. تزدرى: تُحتقر، ويستخف بها. اللّغى: جمع لغة، كما تجمع على لغات.

(٧) جانب الشيء: صار إلى جنبه وجنابه.

نَهَضوا كما تَبْغي الكَرامَـةُ وانْتَضَـوْا   عَزْمـاً يَــرُدُّ الرَّاسـيَاتِ هَبابـا[1]

جَنَحوا إلى لُغـةِ الفَصـاحَةِ وانْتَقَـوْا   كَلِمـاً كأَحْـداقِ المَهـا خُلاَّبـا[2]

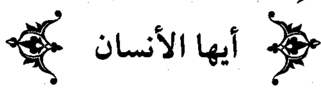
واسْتَوْرَدوا العِلْمَ الحـديث حِياضَـها   فَسَـقَتْهُ بالكَـأْسِ الـدِّهاقِ رُضـابا[3]

ساروا عَلـى نَهْـجِ المقـاييسِ الَّتـي   كانَــتْ بِهــا وَلاّدةً مِنْجابــا[4]

وَمَنِ اقْتَفَوْا نَهْـجَ القِيـاسِ تَصَـيَّدوا   مـا لا يُحـيطُ بـه اللِّسـانُ حِسـابا

هـي سِيرةٌ عَقَـدَتْ لِمِصْـرَ زَعامَـةً   لِتُقــيمَ قِسْـطاً أَو تقــولَ صَــوابا

والقِسْطُ فـي رَأْيِ الحَكـيمِ سِياسَـةٌ   ترعــى الهُــدى والعِلْـمَ والآدابـا



أيها الأنسان

أَمَــا كَفــاكَ ظِبــاءً أَوْ مَهــاً بِرُبــى   حَتَّى تَقَنَّصْتَ آسادَ الشَّرى بِزُبَـى[5]

---

(١) انتضى السيف: استله من غمده. الراسيات من الجبال: الثوابت الرواسخ. الهباب: دقاق التراب.

(٢) أحداق: جمع حدقة، وهي سواد العين الأعظم. المها: جمع المهاة، وهي البقرة الوحشية. خلاّب: يقال: خلبه؛ أي: سلب له عقله.

(٣) الحياض: جمع حوض، وهو مجتمع الماء. الدهاق: الكأس الممتلئة. الرضاب: الريق، فتات المسك.

(٤) ولادة: مبالغة في الوالدة. منجاب: من الرجال والنساء: من ولد النجباء.

(٥) الظباء: جمع ظبي، وهو الغزال للذكر والأنثى. المها: جمع المهاة، وهي البقرة الوحشية. ربى: جمع ربوة: ما ارتفع من الأرض. الشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل، ويكنى بها عن المكان الذي تكثر فيه الأسود. زبى: جمع زبية، وهي حفرة للأسد.

وَمَا قَنِعْـتَ بمـا يَطْفـو علـى لُجَجٍ فَغُصْـتَ تَلْقُـطُ دُرّاً تَحْتَهـا رَسَـبا[١]

أَلَسْـتَ أَبْـدَعْتَ قَـوْلاً تَسْتَبِـنُ بِـهِ ما في الضَّميرِ فَكانَ الثَّغْـرَ والشَّـنَبا[٢]

أَرْسَـلْتَهُ زَمَنـاً فَلِـمْ أَقَمْـتَ لَـهُ وَزْناً؟ أَكانَ حَصًى ثُمَّ انْثَنى ذَهَباً؟

قَلَّبْتَ وَجْهَكَ بعْدَ الأَرْضِ في فَلَكٍ وَبِـتَّ تَرْصُـدُ مِنْـهُ السَّـبْعَةَ الشُّـهُبا

هَلاَّ تَفَقَّهْـتَ عَنْهـا فـي حَقـائِقِ مـا وَراءَهـا وَجَلَـوْتَ الشَّـكَّ والرِّيَبـا

مَشى اليَراعُ على القِرْطاسِ في مَهَلٍ والرَّأْيُ يَنْزِلُ مِنْ أُفْقِ الحِجا خَبَبـا[٣]

فَكانَ أَنْ زِدْتَ فـي الـدِّيوانِ راقِمَـةً تَخُطُّ في الطِّرْسِ خَطَّ البَرْقِ لَـوْ كَتَبا[٤]

صُغْتَ الحَديدَ مَطايا إذْ تَلَبَّثَـتِ الْـ ـجِيادُ أَوْ لَقِيتْ مِنْ سَيْرِها نَصَبا[٥]

واشْتَقْتَ نَجْوى أَليفٍ فاهْتَدَيْتَ إِلـى ما يُمْتِعُ السَّمْعَ مِنْهـا أَيْنَما ذَهَبـا[٦]

حَكى الصَّدى صَيْحَةً رَجَّتْ فَجِئْتَ بِمـا يَحْكي الْقَصائِدَ أَنَّى شِئْتَ والخُطَبـا

ما ضاقَت الأَرْضُ يَوْماً عَنْ خُطـاكَ لِمـا صَعَّدْتَ في الجَو تَحْكـي الطَّيْـرَ والسُّـحُبا

---

(١) لجج: جمع لجة وهي معظم البحر.

(٢) تستبين به: تستوضح به. الشنب: ماء ورقة وعذوبة في الأسنان.

(٣) اليراع: جمع اليراعة، وهي القصبة، ويكنى بها عن القلم. الحجا: العقل والفطنة. الخبب: السرعة في العدو، مراوحة الفرس بين يديه ورجليه.

(٤) الراقمة: الآلة الكاتبة.

(٥) مطايا: جمع المطية، وهي الدابة تمطو في سيرها، ويقصد بها: السكك الحديدية. النصب: التعب.

(٦) الأليف: الصديق المؤانس. ويقصد بذلك: الهاتف.

خَطَبْتَ دَهْراً وَلَم تُسْمِعْ سِوى مَـلأٍ   والْيَوْمَ تُسْمِعُ عُجْمَ الأَرْضِ والْعَرَبـا[١]
حُبُّ الحَياةِ اسْتثارَ العَزْمَ مِنْكَ إِلـى   طِبٍّ وَحَرْبٍ فكُنْتَ الْبُرْءَ والوَصَبَا[٢]
أَرْسَلْتَ فـي كُـلِّ وادٍ رائـداً فَـدَرى   بِحِكْمةِ الْبَحْثِ كُنْهَ الأَمْـرِ والسَّـبَبا[٣]
لكِنَّنـي مـا دَرَيـتُ الْيَـوْمَ أَنَّـكَ قَـدْ   أَكْمَلْتَ في نَفْسِكَ الأَخـلاقَ والأَدَبـا

تدريس صناعة الإنشاء

«من قصيدة قدمها الشاعر إلى نظّار جامع الزيتونة بتونس سنة ١٣٢٨هـ يطلب بها الاهتمام والعناية بدراسة مادة الإنشاء»[٤].

مَقـامُكُمُ الجَـديرُ بـأَنْ يُهابـا   وَمَطْلَبُنـا الجَـديرُ بـأَنْ يُجابـا
أَرى بالجـامِعِ السَّـامي بُحـوراً   مِـنَ الْعِرْفـانِ زاخِـرةً عِـذابا[٥]
وَلَكِـنَّ الخَصاصَـةَ فـي فُنـونٍ   تَهـيجُ بِنـا المَخاقَـةَ أَنْ نُعابـا[٦]
فَـإِنَّ صِـناعَةَ الإِنْشـاءِ خاسَـتْ   بِضـاعَتُها فَلَـمْ تَبْلُـغْ نِصـابا[٧]
وكَيْـفَ يَعِـزُّ والأَلْفـاظُ فُصْـحَى   عَلَيْنـا أَنْ نُعيـدَ لهـا الشَّـبابا

---

(١) الملأ: الجماعة. العجم: خلاف العرب. ويقصد الشاعر من هذا البيت: المذياع (الراديو).

(٢) البرء: الشفاء. الوصب: المرض.

(٣) الرائد: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً يترلون فيه. ومنه قولهم: «الرائد لا يكذب أهله».

(٥) الجامع السامي: جامع الزيتونة بتونس.

(٦) الخصاصة: الفقر.

(٧) خاست: تغيرت وفسدت. النصاب: الأصل، وأول كل شيء.

وَلا نَرْمـــي بسَـــهْمِ الْفِكْـــرِ إلاَّ يَقـــولُ الْعَـــالِمونَ لَقَـــدْ أَصـــابا
نُجَـــرِّدُ للْمَعـــالي سَـيْفَ حَـــزْمٍ يُمَـــزِّقُ دونَ طَلْعَتِهـــا الحِجابـــا
ومَـــنْ صَـــرَفَ الْعِنايـــةَ فـــي ارْتِقـــاءٍ إلى أَعْلى الـــذُّرى اقْـتَحَمَ الْعِقابـــا[١]
ونُضْـــرِبُ عَـــنْ مَقالَـــةِ مَـــنْ نَعاهـــا لِيُخْمِـــدَ مِـــنْ عَزائِمنـــا الْتِهابـــا[٢]
يقـــولُ ابـــنُ العَميـــدِ لَهـــا خِتـــامٌ وَعِنْـــدَ فَواتِـــهِ نَفَضَـــتْ جِرابـــا[٣]
فَتِلْـــكَ شَـــهادَةٌ مَسَـــحَ التَّغـــالي عَلَيْهـــا مِـــنْ سَـــماجَتِهَ خِضـــابا[٤]
فَكَـــمْ مِـــنْ فِتْيَـــةٍ هَـــزُّوا يَراعـــاً وأَجْلَـــوا عَـــنْ مَباسِـــمِها النِّقابـــا[٥]
جَنَـــوْا مِـــنْ دَوْحِهـــا ثَمـــراً لَذيـــذاً وأَجْـــرَوْا مِـــنْ عُصـــارَتِهِ رُضـــابا[٦]

---

(١) العقاب: جمع عَقَبة: وهي المرقى الصعب في الجبل.

(٢) نعى: أخبر بالموت.

(٣) ابن العميد: (. . . ـ ٣٦٠هـ) محمد بن الحسين العميد بن محمد، تولى الوزارة في عهد ركن الدولة البويهي، من أئمة الكتاب والسياسة. قال الثعالبي: بدئت الكتابة بعبد الحميد (الكاتب)، وختمت بابن العميد، ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله، ومات بهمذان. الجِراب: الوعاء.

(٤) التغالي: يقال: تغالى الشجر: التف وعظم. السماجة: القبح. الخضاب: ما يخضب به.

(٥) اليراع: القصب، الواحدة يراعة، وأريد بها: القلم. أجلوا: كشفوا. المباسم: جمع مبسم، وهو الثغر. النقاب: القناع، أو البرقع.

(٦) الدوحة: الشجرة العظيمة، وتجمع على دوح. الرضاب: الريق، فتات المسك.

وَلا تَرْقَـى شُـؤونُ الشَّـعْبِ إلاَّ ... بـأَقْلامٍ تُناقِشُـهُ الحِسـابا
وتَكْشِـفُ عـن مُحيَّـا الحَـقِّ لَبْسـاً ... أَثـارَ عَلـى وَسـامَتِهِ سَـحابا[1]
ومـا الحـادي بِشِـعْرِ أَبـي فِـراسٍ ... وقَـدْ جِسَّـتْ أَنامِلُـهُ الرَّبابـا[2]
بِأَعْـذَبَ مِـنْ صَـدى قَلَـمٍ تَهـادى ... عَلـى طِـرْسٍ يَخُـطُّ بـه كِتابـا[3]

عبرات الأشجار

«قيلت في قرية لنداو، والثلج على الأشجار، وقد طلعت عليه الشمس، فأخذ يذوب، وقرية لنداو على بحيرة بودن بألمانيا».

نَسَـجَ الْغَمَـامُ لِهَـذِهِ الأَشْـجارِ مِـنْ ... غَـزْلِ الثُّلـوجِ بَراقِعـاً وَجَلابِبـا[4]
والشَّمْسُ تَبْعَثُ في الضُّحى بِأَشِـعَّةٍ ... تَسْـطو عَلـى تِلْـكَ الثِّيـابِ نَواهِبـا
فَبَكَتْ لِكَشْفِ حِجابِها أَوَ مـا تَـرى ... عَبَراتِهـا بَـيْنَ الْغُصـونِ سَـوَاكِبا[5]

---

(١) اللَّبْس: اختلاط الظلام. الوسامة: أثر الحسن.

(٢) الحادي: الذي يسوق الإبل ويغني لها. أبو فراس الحمداني: (٣٢٠ ـ ٣٥٧هـ) الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، أمير وشاعر وفارس، وهو ابن عم سيف الدولة، سكن منبج في سورية، وجرح في معركة مع الروم، فأسروه سنة ٣٥١هـ، وقتل في تدمر. وكان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك، وانتهى بملك، ويعني: امرأ القيس، وأبا فراس.

(٣) الطرس: الصحيفة، جمع أطراس وطروس.

(٤) الغمام: السحاب، جمع غمائم. الغزْل: المغزول. الجلابب: أصلها الجلابيب، وقد حذفت الياء، جمع الجلباب: وهو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء.

(٥) عبرات: جمع عَبرة، وهي الدمعة قبل أن تفيض.

ريح تنسف في روضة

«قيلت في برلين».

جادَ هـذا الـرَّوْضَ غَيْثٌ فَـازْدَهى　　وَغَــدا بُلْبُلُــهُ يُطْــري السَّــحابا
وتَمــادى مُسْــهِباً فــي مَدْحِـــهِ　　فحثَتْ في وَجْهِـهِ الـرِّيْحُ تُرابـا[1]

وجه الموت غير كئيب

«قيلت على فراش المرض بالقاهرة سنة ١٣٤٣هـ».

أَقــولُ فَــلا أَرْتــادُ غَيْــرَ خَصــيبِ　　وأَنْظِــمُ لَكِــنْ لا أُطيــلُ نَســيبي[2]
أَجِـــدُّ وإنْ رامَ النَّـــديمُ دُعابَـــةً　　فَلَــمْ تَــرَ غَيــرَ الجِـدِّ عَـيْنُ رقيبـي
أَحُثُّ إلـى داعـي المَعـالي مَطِيَّتـي　　وَلَسْتُ إذا يَدْعو الهوى بمُجِيـبِ[3]
ومَا بَرِحَتْ هَـذي الحَيـاةُ تَروعُني　　بِكَبْــوَةِ آمــالٍ وَفَقْـــدِ حَبيـــبِ
فَأَنْكَرْتُهــا لا الْبَـدْرُ يَطْلُـعُ مُؤْنِسـاً　　وَلا الرَّوْضُ يُسْليني بِنَفْحَةِ طيـبِ
وَمــا لَيْلُهــا إلاَّ سَــريرَةُ حاسِــدٍ　　وما صُـبْحُها إلاَّ بَيـاضُ مَشـيبِ[4]
أَطَلَّ علَيَّ المَوْتُ مِنْ خِلَـلِ الضَّـنا　　فَآنَسْتُ وَجْهَ المَوْتِ غَيْـرَ كَئِيـبِ[5]

---

(١) أسهب في الكلام: أكثر منه وأطال. حثا التراب: هاله بيده، ومعنى هذا البيت مقتبس من الحديث الشريف: «احثوا التراب في وجوه المداحين».

(٢) ارتاد الشيء: طلبه. النسيب: تشبيب الشاعر بالمرأة.

(٣) أحثَّ الفرس على العدو: صاح به. المطية: الدابة تمطو في مشيتها.

(٤) السريرة: السر الذي يكتم. المشيب: الشيب، وهو الشعر وبياضه.

(٥) الضنا: المرض والهزال، وسوء الحال.

وَلَـوْ جَـسَّ أَحْشـائي لَخِلْـتُ بَنانَـهُ ... وإِنْ هــالَ أَقْوامــاً بَنــانُ طَبيــبِ
فَلا كانَ مِـنْ عَـيْشٍ أَرى فيـهِ أُمَّتـي ... تُســاسُ بِكَفَّــيْ غاشِـمٍ وغَريـبِ[1]

شكر على تقريظ

«عندما ألّف الشاعر كتابه «الخيال في الشعر العربي» أرسل إليه حضرة اللغوي الأستاذ الشيخ عبد القادر بن المبارك الجزائري قصيدة قرظ بها الكتاب، وهي المنشورة في الحاشية. وقد أجابه الشاعر بالقصيدة التالية سنة ١٣٤٠هـ»[2].

---

(١) ساس الأمة: قام عليها. الغاشم: الظالم والغاضب. الغريب: المستعمر إطلاقاً.

(٢) نص قصيدة الأستاذ عبد القادر بن المبارك التي بعث بها إلى الشاعر:

لمحمـد الخضـر الحسين التونسـي ... ســامي كتـاب خيـال شـعر مـؤنس
يحـوي فنـون قـوى المفكـرة التـي ... هــي ربَّـة المعنـى الأغـرّ الأنفـس
طالعتــه فظننــت أن قــد ضـــمني ... فــي جنَـة الشـعراء أبهـى مجلـس
أُســرى إليــه بــي الخيــال ودأبــه ... أن يقطــع الفلــوات غيــر معــرّس
فتمثّلــت لــي ثــروة الشــعر التــي ... هــي ســر إغنــاء الخيــال المفلــس
ورأيــت أفلاكــاً كواكبهــا النهــى ... ومقامهــا فــوق الجــواري الكــنس
وزمانهــا أســحار ليــل مقمــر ... فــي الطيــب أو آصــال يــوم مشـمس
ونوابــغ الشــعراء فيهــا اسـتعمروا ... وطنــاً بغيــر نبــوغهم لــم يحـرس
لاذوا بــه مــن غلظــة الأرض التــي ... لــولا مــزاج بــارد لــم تــوبس
وهنالــك «الخضْــر» اجتلـى بخيالـه ... مــا يجتلــي الطيــار فــوق الأرؤس
في جـو شـعر العـرْب حلّـق راسـماً ... أسمى عروس شـعور تلـك الأنفـس
وعلــى اتســاع خيــالهم وســمِّوه ... لــم يبــق فــي آفاقــه مــن حنـدس
فبــدا خيــال الشــعر لــي ببيانــه ... كالجسم موصـوفاً بـرأي مهنـدس=

يـا رُبـىً تَرْفُـلُ فـي حُسْـنٍ وطَيـبِ   والصَّبا تَخْفِقُ بالغُصْـنِ الرَّطيـبِ(١)
هـاجَ ذِكْـراكِ شَـذا الأُنْـسِ الَّـذي   هَبَّ مِنْ أَرْدانَ واديـكِ الخَصيـبِ(٢)
هــاجَ ذِكــرى زَمَــنٍ يَبْسِــمُ فــي   جِلَّـقَ الْفَيْحـاءِ بِـالثَّغْرِ الشَّـنيبِ(٣)
كَيْـفَ أَسْـلوهُ وَفـي الْقَلْـبِ لَـهُ   شَـوْقُ مِهْيَـارَ لِيَـوْمٍ بالجَريـبِ(٤)

= بـل كـاد مـن روح البيـان يقـول لـي   أنـا جـوهر فـانظر إلـيَّ أو المـس
يسـلو الأديـب علـى نزاهتـه بـه   عن مطربه وعـن شموس الأكـؤس
ويكـاد يغريـه انسـجام حديثـه   بالزهـد فـي إسـتبرق أو سـندس
وكـأن كـل صـحيفة مـن صـحفه   ضـمت غـذاء الـروح للمـتلمس
صـفحاته تسـعون لـذ سـميرُها   فيهـا مسـامرة الخيـال الكـيس
لـم أنتقـد إلا علـى خطـأٍ جـرى   فـي طبعـه وخلـوه مـن فهـرس
فليحـي رب يراعـة فـي شـرعها   حتـى الخيـال حقوقـه لـم تـبخس
دهـر يجـود لعمـري محسـن   فعـلام يوصـم بالبخيـل وبالمُسـي

(١) الربى: جمع ربوة: ما ارتفع من الأرض. ترفل: تجر ذيلها، تتبخر. الصَّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٢) أردان: جمع الرُّدن وهو أصل الكم.

(٣) جلق والفيحاء: من أسماء دمشق. الفيحاء: الواسعة من الدور. الشنيب: من به شَنَب؛ أي: ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان.

(٤) مهيار: مهيار بن مرزويه الديلمي (. . . ـ ٤٢٨هـ) شاعر كبير، وكاتب فارسي الأصل من أهل بغداد، وتوفي بها، جمع بين فصاحة العرب ومعاني العجم، درس على شيخه الشريف الرضي، وأسلم على يديه بعد أن كان مجوسياً. له ديوان مطبوع من أربعة أجزاء. الجريب: اسم مكان، وهذا البيت إشارة إلى قول مهيار:

نظـرة منـك ويـوم بالجريـب   حسـب نفسـي مـن زمـاني وحبيبـي

مُهْــدِيَ الشِّــعْرِ الَّــذي باكَرنَــا ... في سِفافِ النِّيلِ بـالْبُرْدِ الْقَشـيبِ[1]
أَنْـتَ بَحْـرُ اللّغَـةِ الْفُصْـحى وكَـمْ ... جُـدْتَ بالمَـأْنوسِ مِنْهـا والغَريـبِ
فَلِمــاذا تَنْسُــجُ الأَشْــعارَ مِــنْ ... حَبَـبِ الْكَـأْسِ وأَخْـلاقِ الأَديـبِ
صُغْتَ (عَبْدَ الْقـادرِ) التَّقْـريظَ فـي ... طَـرْزِ حَسَّــانَ وإبْــداعِ حَبيــبِ[2]
لـم أُجِـدْ صُـنْعاً ولا هَـزَّتْ يَـدي ... قَلَمــاً يَبْهَــرُ بالسِّــحْرِ الْعَجيــبِ
وبَــديعُ السِّــحْرِ فــي وِدٍّ صَــفا ... وأَراكَ الحُسْـنَ فـي وَجْـهِ المَعيـبِ
خُضْـتُ فـي بَحْـرِ خَيـالٍ وأَنـا ... مُـوجِسٌ خِيفَـةَ تَثْريـبِ الرَّقيـبِ[3]
إِذْ خَيالُ الشِّعْرِ مِنْ مَرْعـى الْفَتـى ... ويَراعـي ارْتـادَهُ حـالُ المَشـيبِ[4]
رادَهُ فــي سَــحَرِ الْعُمْــرِ وَمــا ... سَــحَرُ الْعُمْــرِ لِلَهْــوٍ بنَســيبِ[5]
إنَّمــا عَلَّلْــتُ نَفْســاً راعَهــا ... ذلِـكَ الْبَـيْنُ بِمَـرْآهُ الْكَئيـبِ[6]

---

(١) باكر: أتاه بُكرة. القشيب: الجديد، الأبيض، النظيف.

(٢) عبد القادر: (١٣٠٤ ـ ١٣٦٤هـ) عبد القادر بن محمد المبارك الجزائري الدمشقي. أديب ولغوي، له مؤلفات عديدة. التقريظ: المدح.
حسان: (. . . ـ ٥٤هـ) حسان بن ثابت الأنصاري، شاعر النبي ﷺ، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من سكان المدينة، وتوفي بها، له ديوان مطبوع. وحبيب: (١٨٨ ـ ٢٣١هـ) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أحد أمراء الشعر والبيان، ولد في جاسم بسورية، وتوفي بالموصل، له ديوان مطبوع.

(٣) التثريب: العتاب واللوم.

(٤) اليراع: القصب، ويقصد به القلم.

(٥) راد الشيء: طلبه. السَّحَر: قبيل الصبح. النسيب: القريب.

(٦) راع: فزع. البين: الفرقة. ويشير هنا إلى مفارقته دمشق.

وتَأَسَّـيْتُ بِـذي الجِـدِّ الَّـذي　　يَدْخُلُ الحِكْمَةَ مِنْ بابِ النَّسيبِ[1]

أَمْحَضُ الأُسـتاذَ شُـكْراً سـاطِعاً　　بَيْنَ صافي الوِدِّ والشَّوْقِ المُذيبِ[2]

وَسَـلاماً مِـنْ بَعيـدٍ كُلَّمـا　　عَـزَّ إلْقـاءُ سَـلامي مِـنْ قَريـبِ

تمثال الأخلاّء

حَنانَيْكَ مـا التِّمْثـالُ باعِـثُ سَـلْوَةٍ　　إذا غابَ عَنْ عَيْنِ الْمُحِبِّ حَبيبُ

أُسـيمُ بِـهِ طَرْفـي لأُطْفـئَ لَوْعَـةً　　فَيَزْدادُ في قَلْبي المَشُوقِ لَهيبُ[3]

الأخ الصديق

«أبيات قالها في أخيه السيد محمد المكي بن الحسين أيام كانا بدمشق»[4].

دَعَتْنـي إلـى وِدِّه فِطْنَـةٌ　　يُجيـدُ بِهـا إِنْ سَـأَلْتُ الجَوابـا

وَمـا بَـيْنَ بُرْدَيْـهِ إلاَّ أَخٌ　　يُؤانِسُـني إِنْ فَقَـدْتُ الصِّحابا[5]

أَرومُ عِتابـا عَلَيْـهِ وكَـم　　تَفَـرَّسَ مـا رُمْتُـهُ فَأَصـابا

---

(١) تأسى به: جعله أسوة. النسيب: تشبيب الشاعر بالمرأة.

(٢) محض: أخلص.

(٣) أسام إليه بطرفه: رماه به. الطرف: العين.

(٤) محمد المكي بن الحسين: (١٢٩٩ ـ ١٣٨٣هـ) الأخ الأصغر للشاعر، من كبار علماء اللغة، ولد وتوفي بتونس. من آثاره: عادات عربية ـ أسماء لغوية ـ نوادر في اللغة ـ نوادر في الأدب ـ حكم وأخلاق عربية ـ أمثال عربية ـ كلمات للاستعمال.

(٥) البرْد: الثوب المخطط.

يَهُــبُّ علــى وَجْهِــهِ خَجَــلٌ فَيَصْــفو ضَــميري وأنْســى الْعِتابــا

الأحرار

أَبَـى الأَحْـرارُ أَنْ يَحْنُـوا رُؤوسـاً عَلَـى هَـونٍ فَتَرْكَبُهـا العُيـوبُ(١)

وَقَــالوا عِــزَّةُ الأَوطــانَ أَن لا يَقُــومَ مِــنَ العِــدا فيهـا رَقيـب

وأَشْــقَى النَّــاسِ أَحْــرارٌ تَــولَّى شُــؤونَهُمُ عَلَــى رَغْــمٍ غريـبُ

فَــلاذوا بِالقَنــا إذْ لاذَ قَــومٌ بِــأَقْوالٍ يُنَمِّقُهــا الخَطيــبُ

ولا يَحْمـي الـبلادَ سِـوى اتِّحـادٍ يَشُــدُّ عُــراهُ إقْــدامٌ مَهِيــبُ

في مجلس أدب بتونس

«في مجلس ضم بعض الأدباء بتونس جرى فيه ذكر العاذل والرقيب».

أَيَهْنَــأُ عَيْشــي وَيَحْلــو الهَــوى وَلــي عــاذِلٌ وَعَلَــيْكُمْ رَقيــبُ(٢)

فَيـا لَيْـتَ فـي فَـمِ هـذا الَّـذي يَمُـجُّ المَـلامَ حَصًـى لا يَـذوبُ(٣)

وَفـي عَـيْنِ ذاكَ الرَّقيـبِ قَـذًى يُلِــمُّ بِهــا وَيَحــارُ الطَّبيــبُ(٤)

في الدَّين

«قيلت سنة ١٣٦١هـ».

أَتَكْسِــبُ خَمْســاً وتُنْفِــقُ سِــتاً ضَــلَلْتَ لَعَمْــري سَــبيلَ الأَريــبِ

---

(١) بتصرف.

(٢) العاذل: اللائم.

(٣) مجّ الشراب من فيه: رمى به.

(٤) القذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها.

هُـوَ الــدَّيْنُ إِنْ جِئْتَــهُ فَارْتَقِــبْ نَهــارَ الــذَّليلِ وَلَيْــلَ الْكَئِيـــبِ
وَطَـعْـمُ الهَـوانِ ـ وَمــا ذُقْـتُــهُ ـ أَمَـرُّ مِـنَ الْمَـوتِ قَبْـلَ المَشيبِ[١]

قطب رحى الحرب

حَياتُــكَ مِــرآةٌ وأَنْفَــسُ مــا تَــرى حِسانٌ مِنَ الْعِرفانِ والْفِكْرُ خاطِـبُ
وما الْفِكْـرُ إلاَّ الـرَّأْيُ تَقْـدَحُ زَنْـدَهُ فَتبْصِرُ ما أَخْفَتْ عَلَيْكَ الْغَياهِـبُ[٢]
ورُبَّ امْرِئٍ ساواكَ بالرَّأْيِ وانْـزَوَى خُمولاً وأَنْتَ المسْتَشارُ المحارِبُ[٣]
بِسَـطْوَةِ حَـزْمٍ واحْتِـدامِ حَماسَــةٍ تُـزاحُ خُطـوبٌ أَوْ تُتـاحُ مـآرِبُ[٤]
يُدَبِّرُ شَأْنَ الحَرْبِ كُـلُّ مَـنِ ارْتَـدى بَإِقْــدامِ قَــرْمٍ هَذَّبَتْــهُ التَّجــارِبُ[٥]
وقُطْـبُ رَحاهــا مَـنْ يُـدبِّرُها وقَـدْ عَلاهُ مِنَ النَّقْـعِ المُثارِ سَحائِبُ[٦]

العيد

مَا العِيدُ للشَّعْبِ في تَنْميـق أَثْـوابِ وَلاَ مُلاقَــاةِ إِخْــوانٍ وأَصْــحابِ
وإِنَّمــا العِيــدُ أَنْ يُحيــي بَصــائِرَهُـمْ بِنُـــورِ هَـــدْيٍ وعِرفـــانٍ وآدابِ

---

(١) الهوان: الذل. وقول الشاعر: «وماذقته»؛ أي: طعم الهوان، دليل على سمو النفس وعلوها.

(٢) الزند: العود الذي تقدح به النار. الغياهب: الظلمات، واحدها الغيهب.

(٣) انزوى: انقبض.

(٤) احتدام: اشتداد واشتعال. الخطوب: جمع الخطب، وهو الأمر صغُر أو عظُم.

(٥) القَرْم: الفحل لم يمسه حبل، ولم يحمل عليه، السيد العظيم، جمع قروم.

(٦) القطب: سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم. الرحى: الطاحون. النقع: الغبار.

ما بين السُّطور

أُطــالِعُ مــا صــاغَ الْبَليــغُ فَــأَقْتَني لآلِــىءَ لا أُحْصــي لَهُــنَّ حِســابا
وَطَالعَــهُ زَيْــدٌ وعــادَ يَقــولُ لَــمْ أَجِدْ مِنْهُ بَحْراً بلْ وَجَـدْتُ سَـرابا[1]
فَلَمْ يَـرَ زَيْـدٌ غَيْـرَ مـا فـي سُـطورِهِ وأَبْصَـرْتُ مِـنْ بـينِ السُّـطورِ كِتابـا
وأَنْكَدُ ما في الْعَيْشِ صُحْبَةُ مَنْ يَرَى اللُّبَــابَ قُشــوراً والْقُشــورَ لُبابــا

ثوب المذنب كفن

أَيَــا مَــنْ خــاطَ لــي ثَوْبــاً قَشــيباً وَقَـدْ مُلِئَـتْ صَـحائفُ مِـنْ ذُنـوبي
أَتَصْــنَعُهُ بِــلا جَيْــبٍ، وَهَــذا يُعَـدُّ لَـدَى الرِّجـالِ مِـنَ الْعُيـوبِ؟
فَقالَ: أَلَسْتَ في الموتَى، وَمَـنْ ذا رأَى الأَكْفــانَ تُصْــنَعُ بــالجُيُوبِ؟

تقلّب الزمان

لا تَغْــــلُ فــــي مَــــرَحٍ إِذا بَسَــــمَ الزَّمــــانُ ورَحَّبــــا[2]
وَتَلَقَّــــــهُ بِتَجَلُّــــــدٍ مَهْمَــــا جَفــــاكَ وَقَطَّبــــا
هُــــوَ إِنْ تَصِــــفْهُ مُشَــــبِّهاً: كَــــالْمِنْجَنْوْنِ تَقَلُّبــــا[3]

---

(١) البحر: ضد البر، قيل سمي به؛ لعمقه واتساعه. السراب: ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء، ويضرب به المثل في الكذب والخداع، يقال: «هو أخدع من السراب».

(٢) تغل: غلا في الأمر: جاوز فيه الحد. المرح: شدة الفرح والنشاط.

(٣) المنجنون: والمنجنين: الدولاب التي يستقى عليها.

إهابة

«قيلت بتونس في التذكير بإعانة بعثة الهلال الأحمر التركية التي مرت بتونس إلى طرابلس أيام الحرب الإيطالية سنة ١٣٢٨هـ».

رُدُّوا عَلى مَجْدِنا الـذِّكْرَ الَّـذي ذَهَبا ... يَكْفي مَضاجِعَنَا نَوْمٌ دَهَـى حُقُبا[١]
وَلا تَعــودُ إلــى شَـعْبٍ مُجادَتُــهُ ... إلاَّ إذا غــامَرَتْ هِمَّاتُــهُ الشُّــهُبا[٢]
حَيَّـــاكُمُ اللهُ قَـــوْمي إنَّ خَـــيْلَكُمُ ... قَدْ ضُمِّرَتْ وَالسِّباقُ الْيَوْمَ قَدْ وَجَبا[٣]
هَلْ جاءَكُمْ مِنْ حَديثِ الْقَوْمِ إذْ هَجَروا ... ديارَ مَنْ أَلِفوا والـواديَ الخَصِبـا[٤]
لَبَّوْا نِداءَ الضَّـميرِ الحُـرِّ وَاقْتَحَمـوا ... لُجَّ الخِضَمِّ الَّذي لاقَوْا بـهِ نَصَبا[٥]
خاضُوا مَلاحِمَ جَيْشٍ في طَـرابُلُسٍ ... لِيَصْرِفُوا الهَمَّ عَنْ جَرْحاهُ والوَصَبا[٦]
وأَحْمَدُ النَّاسِ سَعْياً مَـنْ يَمُـدُّ إلـى ... إسْـعافِ جِيرَتِـهِ يَـوْمَ الـوَغى سَـبَبا

---

(١) دهاه: أصابه بأمر عظيم. الحُقْب: ثمانون سنة، ويقال أكثر من ذلك.

(٢) مجادته: عزته وشرفه. غامرت: قاتلت ولم تبال بالموت هماته: جمع همة، وهي العزم القوي. الشهب: شعلة من نار ساطعة أو كل مضيء متولد من نار.

(٣) ضمّرت: ضمَّر الخيل: ربطها وأكثر ماءها وعلفها حتى تسمن، ثم قلل ماءها وعلفها مدة، وركضها في الميدان حتى تهزل. ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً.

(٤) القوم: يريد بهم أعضاء بعثة الهلال الأحمر التركية.

(٥) الخضم: البحر. النصب: التعب، وقد احتجزت السلطات الإيطالية آنذاك بعثة الهلال الأحمر التركية في عرض البحر الأبيض المتوسط، وأخذتهم من باخرة فرنسية، وتدخلت حكومة فرنسا وأطلقت سراحهم.

(٦) الوصب: المرض.

هــذا السَّــبيلُ جَــديرٌ أَنْ نَجــودَ لَــهُ ... بالمالِ كُــلٌّ علــى مِقْــدارِ مــا كَسَــبا
لا خَيْرَ في أُمَّةٍ شَحَّتْ ومــا بَسَــطَتْ ... أَكُفَّهــا بِعَطايــا تَكْشِــفُ النُّوَبــا(١)
والنَّفْسُ إنْ جَمَحَتْ نَكْبَحْ شَراسَــتَها ... بِمُحْكَمِ الْقَوْلِ حَتَّى تُدْرِكَ الأَدَبــا(٢)
فَلْيَبْسُطِ الْكَفَّ مَــنْ كانَــتْ عَــواطِفُــهُ ... مِثْــلَ النَّسِــيمِ إذا ناجــاهُ زَهــرُ رُبــى
ولْيُحْجِمِ الطَّرْفَ مَنْ يَحْدُو به سَــرَفٌ ... وَلْيَصْحُ مِنْ سُكْرِهِ مَــنْ يعْشَــق الــذَّهَبا(٣)
تِلْكَ المَمَالِــكُ تَرْنــو حَوْلَنــا لِتَــرى ... نَــوالَ تُــونُسَ ثَمْــداً كــانَ أَمْ عَبَبــا(٤)
وتِلْكَ أَقْــلامُ أَرْبــابِ الفَصــاحَةِ قَــدْ ... هَبَّتْ لِتُلْقِــيَ فــي تَمْجيــدِكُمْ خُطَبــا
وفَــوْقَ هــذا جَــزاءٌ لا نفــادَ لَــهُ ... واللهُ أَكْــرَمُ مَــنْ جــازى ومَــنْ وهَبــا

❐ ❐ ❐

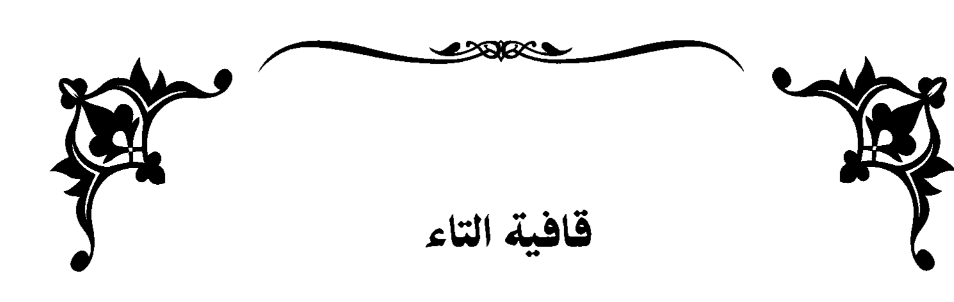
---

(١) شحت: بخلت. النُّوَب: جمع النُّوبة، وهي النازلة والمصيبة.

(٢) جمح الفرس براكبه: استعصى حتى غلب راكبه. نكبح: كبح الدابة باللجام: جذبها إليه، وضرب فاها به لتقف ولا تجري، وقيل: جذب عنانها حتى تصير منتصبة الرأس.

(٣) الطرف: العين. السرف: تجاوز الحد والاعتدال.

(٤) النوال: العطاء والنصيب. الثمد: الماء القليل الذي لامادة به. العبب: المياه المتدفقة.



قافية التاء

تقريظ

«قيلت في تقريظ «السعيديات» ديوان الشاعر التونسي السعيد أبي بكر»[1].

(أَبا بَكْرٍ) نَظَمْتَ وما مَدَحْتا ... فَهأَنذا أُقَرِّظُ ما نَظَمْتا[2]

وَما التَّقْرِيظُ إِلاَّ الشُّكْرُ يُهْدى ... عَلى ما صُغْتَ مِنْ أَدَبٍ وصُنْتا

ولسْتُ أَقولُ ذا دُرٌّ نَضيدٌ ... لأَنَّكَ ما الْتَقَطْتَ ولا نَضَدْتا[3]

وَلسْتُ أَقولُ ذا زَهْرٌ أَنيقٌ ... لأَنَّكَ ما غَرَسْتَ ولا قَطَفْتا[4]

ولستُ أَقولُ راحٌ في زُجاجٍ ... لأَنَّكَ ما عَصَرْتَ ولا سَبَكْتا[5]

وقَدْ لَهَجوا بِقَوْلِهِمُ: (بَديعٌ) ... (بَليغٌ) (فائِقٌ) حَتَّى سَئِمْتا[6]

---

(١) سعيد أبو بكر (١٣١٧ ـ ١٣٦٧هـ) أديب وشاعر تونسي ولد في مكنين بالساحل التونسي، وتوفي بالعاصمة تونس. أصدر مجلة «تونس المصورة»، له ديوان «السعيديات» مطبوع، ومؤلفات أخرى.

(٢) قرظ فلاناً: مدحه وهو حي.

(٣) نضيد: نضد المتاع: جعل بعضه فوق بعض.

(٤) أنيق: حسن مُعْجب.

(٥) الراح: الخمر. سبك الذهب: أذابه، وخلصه من خبثه.

(٦) لهج بالشيء: أغري به، فثابر عليه.

«أَبـا بَكْـرٍ» أَرى شِـعْراً عَبوسـاً فَـأَذْكرُ سَـيْفَ بِشْـرٍ والسَّـبَنْتَى[١]
وَأَقْـرَأُ تـارةً شِـعْراً رَصـيناً أَتَنْحِتُـهُ مِـنَ الجَـوْزاءِ نَحْتـا
تُجاهِـدُ فـي سَـبيلٍ يَبْتَغيهـا غَريـبٌ غاشِـمٌ عِوَجـاً وَأَمْتـا[٢]
تُكافِحُـهُ وَقـدْ طَفَحَـتْ يَـداه بِعُسْـفٍ يَمْـلأُ الأَفْـواهَ صَـمْتا[٣]
وَلَـيسَ الشِّـعْرُ بالصَّمْصـامِ يَلْـوِي ذِراعَيْ مَـنْ يَصُـبُّ الهَـوْنَ بَحْتـا[٤]
بَـلِ الشِّـعْرُ الحَكيمُ ثِقـافُ سُـمْرٍ تُسَـمِّيها الْقُلـوبُ إِذا نَطَقْتـا[٥]
شُـعورٌ فَـائْتِلافٌ فَاتِّحـادٌ فَعَـزْمٌ يَسْـحَتُ الإِرْهـاقَ سَـحْتا[٦]
«أَبـا بَكْـرٍ» أُعيـذُكَ مِـنْ خَيـالٍ يَـروغُ عَـنِ الهُـدى ويَحـوكُ بَيْتـا
وفـي الشُّـعَراءِ مَـنْ ضـاقَتْ خُطـاهُ وَفاتَتْـهُ الحَقـائِقُ وهـي شَـتَّى
فَـراحَ يَخـالُ لَهْـوَ الْقَـوْلِ جِـدّاً وَيَنْفُـثُ فـي مَكـانِ الرُّشْـدِ بُهْتـا[٧]

---

(١) بشر: بشر بن عوانة العبدي الذي أتى على ذكره بديع الزمان الهمذاني في المقامة البشرية، والذي عرض له أسد وهو يبتغي مهراً لابنة عمه، فثبت له وقتله. السبنتى: النمر.

(٢) الغريب: المستعمر إطلاقاً، ويريد هنا: المستعمرين الفرنسيين. الغاشم: الظالم والغاصب. الأمت: الوهن والضعف.

(٣) طفحت: امتلأت. العسف: الظلم.

(٤) الصمصام: السيف لا ينثني. الهون: الهوان والذل. البحت: الصِّرْف والخالص من كل شيء.

(٥) الثقاف: آلة تسوّى بها الرماح، السُّمْر: واحدها الأسمر، وهو الرمح.

(٦) سحت الشيء: استأصله.

(٧) ينفث: يرمي من فيه. البهت: الكذب.

وشِــعْرُ الْعُــربِ ذو نَظْــمٍ، فَرِفْقـاً ... بِهــا إنْ شِــئْتَ رِفْقــاً واسْــتَطَعْتا
لَعَــلَّ الــذَّوْقَ لا يَسْــلو نِظامــاً ... تَزَحْزَحَ عَنْـهُ بَعْـضُ الْقَـوْلِ بَغْتـا(١)
وكانَ قَـريضُ «تـونُسَ» فـي صَـفاءٍ ... وإِبْـداعٍ يُضـاهي الشُّـهْبَ نَعْتـا(٢)
فَلاقى مِـنْ صُـروفِ الـدَّهْرِ عُسْـفاً ... فَنَضَّــبَ مــاؤُهُ واغْبَــرَّ نَبْتــا(٣)
أَيَزْهــى بُلْبُــلٌ فــي كَـفِّ طِفْــلٍ ... يُمِــضُّ الْبُلْبُــلَ الْغِرِّيــدَ مَقْتــا(٤)
ومــا هُــوَ كــالطَّليقِ يَمـيسُ تِيهــاً ... ويَشْــدو فَــوْقَ أُمْلــودٍ تَمَتَّــى(٥)
«أَبـا بَكْـرٍ» أَخَـذْتَ تُعيـدُ مَجْـداً ... هَـوى فَـابْغِ الأَنـاةَ إِلَيْـهِ سَـمْتا(٦)
وخَــلِّ الْبَخْــتَ يَسْـعى لِلْكُســالى ... وَسَــمِّ الحَــزْمَ والإِقْــدامَ بَخْتــا

كيف ألقى النّعيم إن أنا متّ(٧)

رُمْــتُ أَنْ أَفْقَــهَ الحيــاةَ وأَدْري ... كَيْــفَ أَلْقَــى النَّعْــيمَ إِنْ أَنــا مُــتُّ
قِيلَ: في الْغَـرْبِ كـلُّ سِـرٍّ تَجَلّـى ... بِبيــانٍ وَكُــلُّ صُــلْبٍ يُفَــتُّ

---

(١) بغتاً: فجأة.

(٢) القريض: الشعر. يضاهي: يشابه. النعت: الصفة.

(٣) العسف: الظلم. نضب الماء: غار في الأرض.

(٤) يمضّ: يؤلم ويوجع. الغرّيد: المطرب بصوته.

(٥) يميس: يتبختر. التيه: الصلف والكبر. أملود: الناعم من الناس والغصون. تمتّى: تمطى.

(٦) هوى: سقط من علو إلى أسفل. الأناة: الحلم والوقار. السمت: الطريق.

(٧) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع من المجلد الرابع عشر.

هــاتِ يــا مُسْــعِدُ الحَقيبَــةَ إنِّــي قَدْ عَزَمْتُ الرَّحيلَ وَالْعَـزْمُ صَـلْت[١]
خُـضْ بنـا رائِـدَ السَّـفينَةِ بَحْـراً ســادَ فـي مَتْنِـهِ هُـدُوٌّ وصَـمْت[٢]
لا أَهــابُ الخُطـوبَ يَوْمـاً وَلَكِـنْ خِفْـتُ أَنْ يَسْبِـقَ الهِدايَـةَ مَـوْتُ
فَحَمِــدنا السُّــرى غَــداةَ هَبَطْنــا بَلَـداً عـاشَ فـي رُبـاهُ «دِكَـرْتُ»[٣]
وَقَضَـيْتُ السِّـنينَ مُسْتَقْصِـياً فــي كُلُّ دَرْسٍ ما قالَ «رِسْطو» و«كَنْـتُ»[٤]
ودَعَــوني الــدّكْتور بَــلْ مَنَحُــوني لَقَــبَ الْفَيْلَســوفِ لَمَّــا نَبَغْــتُ
عُــدْتُ لِلشَّــرقِ والحَقائِــبُ مَـلأَى بِطُـروسٍ أَوْدَعْتُهـا مـا دَرَسْـتُ[٥]
فَأَنــا الْفَيْلَســوفُ، لكنَّنــي لــم أَحْـظَ فـي الْغَـرْبِ بـاليَقينِ فَتِهْـتُ
رُبَّ رأْيٍ نَصــيبُهُ إنْ أَنَــا أُبْــ ـــديهِ بَـيْنَ الهُـداةِ نَبْـذٌ ومَقْـتُ[٦]

---

(١) مسعد: كنى به عن اسم علم، وهو المعاون والمساعد. الصلت: الرجل الماضي في الحوائج.

(٢) خاض الماء: مشى فيه. الرائد: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه، ويقصد هنا صاحب السفينة.

(٣) السرى: سير عامة الليل. رينيه ديكارت: (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م) فيلسوف ورياضي فرنسي، له عدة اكتشافات هندسية وفيزيائية.

(٤) رسطو: أرسطو، أو أرسطاطاليس (٣٨٤ ـ ٣١٢ق.م) فيلسوف يوناني، له عدة مؤلفات في المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاق. كنت: عمانوئيل كانت (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م) فيلسوف ألماني، له مؤلفات فلسفية عديدة.

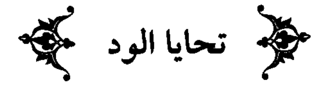
(٥) الطروس: جمع طِرس، وهي الصحيفة.

(٦) نبذَ الشيء من يده: طرحه، ورمى به. مقتَ: أبغض أشد البغض عن أمر قبيح.

يـا طَبيـبَ الْقُلـوبِ مـا طُـبُّ قَـرْحٍ هُو رَيْبٌ يَغْشـى الْقُلـوبَ وَيَعْتـو[1]
يُغْـبَطُ المَـرْءُ إِنْ يَكُـنْ بَـيْنَ جَنْبَيْـ ـهِ رَواحٌ وفـي مُحَيَّـاهُ سَـمْتُ[2]
قالَ: في كُـلِّ آيـةٍ مِـنْ كِتـابِ اللّـ ـهِ لِلْحِكْمَـةِ الْبَليغَـةِ بَيْـتُ
هأنَـذا أَتْلُـو الْكِتـابَ فـألقى فيـهِ روحَ الْيَقـينِ أَنّـى تَلَـوْتُ
لَـوْ تَـدَبَّرْتُ آيَـهُ الْغُـرَّ مِـنْ قَبْـ ـلِ لِقـا فَيْلَسـوفِهِمْ مـا ضَـلَلْتُ

تفريق الشعب

قالوا: يُصيبُ الشَّعْبَ صَدْعُ تَفَـرُّقٍ فَيَـذوقُ مِـنْ بَعْـدِ الشِّـقاقِ مَماتـا
قُلْنا: يموتُ الشَّعْبُ مَـوْتَ جَهالَـةٍ فَيَصـيرُ مِـنْ بَعْـدِ المَمـاتِ فُتاتـا



تحايا الود

«بعث الأديب التونسي الأستاذ محمد المأمون النيفر إلى الشاعر بقصيدة تنم عن عاطفة أدبية رقيقة، فكتب في مراسلته هذه الأبيات»[3].

---

(١) القرح: ألم الجرح. عتا: استكبر.

(٢) غبط فلاناً: تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه. الرواح: وجدانك السرور الحادث من اليقين. السمت: هيئة أهل الخير.

(٣) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر. وهذه أبيات من قصيدة الأديب محمد المأمون النيفر:

أزف تحايـا الـود والبركـات وأهـدي سـلاماً عـاطر النفحـات
وأرسـل طاقـات الثنـاء جميلـة منضـدة الأوراد والزهـرات
إلـى عـالم أخبـاره ذاع صـيتها وآثـاره أضـحت حـديث رواة
بصـير بـأدواء النفـوس طبيبهـا إذا مـا رمـاه حـادث بشـكاة
وهـذه أجـزاء (الهدايـة) بيننـا تـدل علـى الإبـداع فـي النظـرات=

أَهَــذِي تَحايــا الــوِدِّ والْبَرَكــاتِ أَمِ الرَّوْضُ يُهْدي أَطْيَبَ النَّفَحاتِ؟
وهــذا رَقــيمٌ لَــوْ بَــدَوْتُ لَخِلْتُــهُ وَقَدْ جـادَ بالإِينـاسِ لَحْـظَ مَهـاةِ[1]
أَجَلْ هُو شِعْرٌ يَحْمِلُ الأُنْسَ مِنْ رُبى بـلادٍ بِهـا قَضَّيْتُ صَـدْرَ حَيـاتي[2]
ذَكَرْتُ رُبى المرْسى الأَنيقَةِ والصَّبا تُـذيعُ شَـذا أَزْهارِهـا الْبَهِجـاتِ[3]
وَسَـامِرَ آدابٍ حِسـانٍ كأَنَّـهُ مَراتِـعُ مـا بالقـاعِ مِـنْ ظَبِيـاتِ[4]
ورَوْضَةَ عِلْـمٍ كُنْتُ أَجْنـي ثِمارَهـا وأَرْشِفُ مِنْهـا أَعْـذَبَ اللَّهَجـات[5]
فَيا مُذْكِري عهْداً طَوَتْـهُ يَـدُ النَّـوَى وأَذْكَتْ لـه فـي مُهْجَتـي حَسَـراتِ
أُحَيِّيـكَ مِـنْ مِصْـرٍ تَحِيَّـةَ والِـدٍ تَبَـرُّ بِـهِ الآصـالَ والْغُـدواتِ[6]

= مثابــة تحقيــق، ومهــبط حكمــة وعنــوان تــدقيق ونبــع عظــات
وروضــة حســن قــد تفتــق زهرهــا وفــاح فأحيــا لــي ربيــع حيــاتي
جـزاك إلـه العـرش أفضـل مـا جـزى بـه ناصـحاً عـن نـافع الخـدمات
ولا بــرح اللطــف الخفــي يحفكــم وأنــتم لــدين الله خيــر حمــاة

(١) الرقيم: الكتاب. بدوت: خرجت إلى البادية. اللحظ: باطن العين. مهاة: البقرة الوحشية.

(٢) يقصد الشاعر: تونس حيث ولد وعاش صدر حياته بها.

(٣) ربى: جمع ربوة: ما ارتفع من الأرض. المرسى: بلدة جميلة في ضواحي العاصمة تونس. الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. تذيع: تظهر.

(٤) السامر: مجلس السمّار. المراتع: واحدها المرتع، وهو مكان اللهو. القاع: أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام. ظبيات: واحدها الظبية: وهي أنثى الغزال.

(٥) الروضة: عشب وماء، ويريد بها الشاعر جامع الزيتونة الذي تلقى فيه العلم.

(٦) تبرّ: تصدّق. الآصال: واحدها الأصيل، الوقت بعد العصر إلى المغرب. =

بَعَثْتَ بِشِعْرٍ طارِفٍ لَمَعَتْ بِهِ   مِنَ الأدَبِ الْمَوْروثَ خَيْرُ سِماتِ[1]
أَراكَ ظَلَمْتَ الْغِيدَ إِذْ صُغْتَ لُؤْلُؤاً   ونَضَّدْتَهُ شِعْراً على صَفَحاتِ[2]
وأَهْدَيْتَ طاقاتِ الثَّناءِ وَلَيْتَني   مَلأْتُ يَدي مِنْ تِلْكُم الحَسَناتِ
فَيا أَسَفاً لَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعُلا وما   بَلَغْتُ مِنَ الْعِرْفانِ شَأْوَ لِداتِي[3]
وآنسْتُ في روح الخِطابِ سَنا الهُدى   وَبَعْضُ بني الأَمْجادِ غَيْرُ هُداةِ[4]
وما أَبْصَرَتْ عَيْنايَ أَجْمَلَ مِنْ فَتىً   يَخافُ مَقامَ اللهِ في الخَلَواتِ
ولا خَيْرَ إِلاَّ في نُفوسٍ ترَشَّفَتْ   لِبانَ التُّقى مِنْ حِكْمةٍ وعِظاتِ[5]
فَأَحْمَدُ مِنْكَ الوِدَّ والْقَلَمَ الذي   جَنى لِيَ طاقاتٍ مِنَ الدَّعَواتِ
ولا زِلْتَ مِثْلَ الْغُصْنِ يَنْمو بِمَنْبِتٍ   كَريمٍ فَيُؤْتي أَطْيَبَ الثَّمَراتِ

الإيمان روح السّعادة

«قيلت في مستشفى الدمرداش بالقاهرة في شهر رمضان سنة ١٣٦٥ هـ».

وَرَدْتَ مَناهِلَ الْعِرْفانِ طِفْلاً   وواصَلْتَ الْعَشِيَّةَ بالغَداةِ[6]

= الغدوات: واحدها الغدوة: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس.

(١) الطارف: المال الحديث المستحدث.

(٢) الغيد: جمع غيداء وهي المرأة الناعمة الأعطاف.

(٣) شأو: الأمد والغاية. اللدات: جمعِ لدَة، وهو الذي ولد معك، وتربى معك.

(٤) هداة: جمع هادٍ.

(٥) ترشفت الماء: بالغت في مصه. اللِّبان: الرضاع.

(٦) مناهل: جمع منهل، وهو المورد، والشرب.

فَأَفْنَيْـتَ السِّـنينَ تُجيـلُ فِكْـراً وتَكْشِفُ عَنْ وُجوهِ المُعْضِـلاتِ[١]

عَـلامَ أَراكَ تَحْـذو حَـذوَ غُمْـرٍ فَتَزْهَـدُ فـي التَّجَلُّـدِ والأَنـاةِ[٢]

تَكـادُ تَغـوصُ فـي جَـزَعٍ إذا مـا عَـراكَ ضَـنىً وتَلْهَـجُ بالشَّـكاةِ[٣]

ولا فَخْـرٌ لِغَيْـرِ فَتـىً يُضـاهي بِصـارِمِ عَزْمِـهِ صَـدْرَ الْقَنَـاةِ[٤]

أَمَـا اسْـتَوْقَدْتَ مِـنْ عِلْـمٍ يَقينـاً يَهـونُ بِـهِ لِقـاءُ النَّائِبـاتِ[٥]

يَقـينٌ إِنْ طَوَيْـتَ عَلَيْـهِ صَـدْراً قَبَضْـتَ على السَّعادةِ فـي الحَيـاةِ

يُـرَوِّحُ عَنْـكَ إِذْ يَشْـتَدُّ خَطْـبٌ وَما أَقْسى الخُطوبَ على الطُّغاةِ[٦]

هُـوَ النُّـورُ الَّـذي يُذْكيـهِ وَحْـيٌ وَيَرْبو مِنْ خُشوعِكَ فـي الصَّـلاةِ[٧]

الضجر من كثرة الأسفار

«قيلت في دمشق سنة ١٣٣٨هـ».

أَنـا كـأْسُ الْكَـريمِ والأَرْضُ نـادٍ والمَطايـا تَطـوفُ بـي كالسُّـقاةِ

---

(١) المعضلات: واحدها المعضلة: المسألة المشكلة المستغلقة.

(٢) الغُمرْ: من لم يجرب الأمور.

(٣) تغوص: غاص في الماء: غطس، ونزل تحته. الجزع: ضد الصبر. الضنى: المرض والهزال وسوء الحال.

(٤) الصارم: السيف القاطع. القناة: الرمح.

(٥) النائبات: واحدها نائبة، وهي المصيبة.

(٦) الخطب: الأمر، صغُر أو عظُم. الطغاة: واحدها طاغ: وهو كل مجاوز حده في العصيان.

(٧) يربو: يزداد وينمو.

كم كُؤوسٍ هَوَتْ إلى الأَرْضِ صَرْعى ... بَيْنَ كَفٍّ تُديرُها واللَّهاةِ[١]

فَاسْمَحي يا حَياةُ بي لِبَخيلٍ ... جَفْنُ ساقِيهِ طافِحٌ بِسُباتِ[٢]

خواطر مريض

«قيلت على فراش المرض بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ»[٣].

أَرِقٌ وَهَلْ يَبْغي الْقَريحُ سِوى السُّباتِ ... والْقَلْبُ خَفَّاقٌ كَقادِمَةِ الْقَطاةِ[٤]

لا تُرْهِقيني يا حَياةُ ضَنىً أَما ... يَكْفي خُطوبٌ كالأَسِنَّةِ في اللَّهاةِ[٥]

ما أَنْتِ مُلْقِيَةٌ بِسَلْمٍ أَقْتَني ... في ظِلِّه الضَّافي مَفاخِرَ رائعاتِ

وإذا طَغى سَقَمٌ لِيُسْلِمَني إلى ... بَطْنِ الثَّرى أَيْقَظْتِ أَجْفانَ الأُساةِ[٦]

إنْ كُنْتُ مِرْقاةَ الْفَلاحِ لِأُمَّةٍ ... ضَرَبَتْ بِسَطْوَتِها على أَيْدي الْبُغاةِ[٧]

فالمَوْتُ مِرْقاةُ الهَناءَةِ يَوْمَ لا ... يُجْدِ الأُسارى مِنْ فِداءٍ أَوْ حُماةِ

---

(١) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٢) طافح: مليء. السبات: النوم، وأصله الراحة.

(٣) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر.

(٤) القريح: الجريح. السبات: النوم، وأصله الراحة. القطاة: طائر في حجم الحمام. القادمة: ريشات في مقدَّم الجناح، والجمع قوادم.

(٥) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح. اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٦) طغى: جاوز القدر والحد. السقم: المرض. الأساة: جمع الآسي، وهو الطبيب.

(٧) المرقاة: الدرجة.

سوسة العمر

وغُـــلامٍ قَـــرَّبَ «السَّـــاعةَ» مِـــنْ أُذْنِـــهِ يَسْـــمَعُ مِنْهـــا النَّقَـــراتِ
قالَ: مـا فـي جَوْفِهـا؟ قُلْـتُ لـه: سوسَـــةٌ تَقْـــرُضُ أَيَّـــامَ حَيـــاتي[1]

معنى في أزجال البدو

«قيلت في تونس عندما أنشد زجل تونسي وهو:

«جـــات ظـــاهرة نـــادوا عليهـــا ولّـــي
وأبـــرق خَـــدْها قـــام الإمـــام يصـــلي»

* * *

خَطَـــرَتْ فَـــلاحَ جَبينُهـــا والنَّـــاسُ غَرْقَـــى فـــي سُـــباتِ
غَـــرَّ الإمـــامَ فَخالَـــهُ فَجْـــراً وأَحْـــرَمَ بالصَّـــلاةِ

أحمد تيمور باشا

تَقَاسَـمَ قَلْبـي صـاحِبانِ وَدِدْتُ لَـوْ تَمَلَّتْهُمـا عَيْنـايَ طُـولَ حَيـاتي[2]
وَعَلَّلْتُ نَفْسي بـالمُنى فَـإذا النَّـوى تَعُـلُّ الحَشـا طَعْنـاً بِغَيْـرِ قَنـاةِ[3]
فَأَحْمَـدُ فـي مِصْـرٍ قَضـى وَمُحَّمـدٌ بِتـونُسَ لا تَحْظـى بِـهِ لَحَظـاتي[4]

---

(١) السوسة: دودة تقع في الصوف والثياب والطعام والشجر، والجمع سوس.

(٢) تملت: استمتعت.

(٣) تعلّ: علّه: أي: سقاه السقية الثانية. القناة: الرمح.

(٤) أحمد: أحمد تيمور باشا (١٢٨٨ ـ ١٣٤٨هـ) أديب ومؤرخ ولد وتوفي بالقاهرة، وله مؤلفات عديدة. قضى: مات. محمد: محمد الطاهر بن عاشور مفتي تونس =

أَعيشُ وَملْءُ الصَّدْرِ وَحْشَـةُ مُتْـرَفٍ   رَمَتْـهُ يَـدُ الأَقْـدارِ فـي فَلَـواتِ

رقّة الطّبع تزيد المودّة صفاء

جَفا الصَّـديقُ فناجَيْـتُ الْفُـؤادَ بِـأَنْ   يَبيـتَ فـي جَفْـوَةٍ تِلْقـاءَ جَفْوَتِـهِ

أَبـى وقـالَ: أَصُـونُ الْعَهْـدَ مُتَّئِـداً   فَـرُبَّ وِدٍّ صَـفا مِـنْ بَعْـدِ غُبْرَتِـهِ(١)

عـادَ الصَّـديقُ فَأَصْـفَى وِدَّهُ فَـإِذا   حَـديثُ نَجْـوايَ مَنْسـوخٌ بِرُمَّتِـهِ(٢)

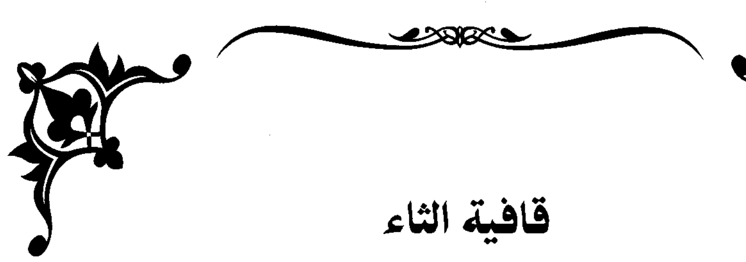
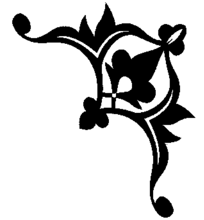
إِنْ تَلْـقَ طَبْعـاً رَقيقـاً فَاغْرِسَـنَّ بِـهِ   مَـوَدَّةً يُسْـقَها مِـنْ مـاءِ رِقَّتِـهِ

❐ ❐ ❐

= وأحد أعلامها الكبار، كان صديقاً حميماً للشاعر منذ مطلع حياته، وكثيراً ما جاء ذكره في شعره.

(١) أبى: امتنع. الغبرة: الغبار.

(٢) منسوخ: أي زائل، يقال: نسخ الشيء: أزاله. الرمة: قطعة من الحبل بالية، ومنه قولهم: دفع إليه الشيء برمته، وأصله: أن رجلاً دفع إلى رجل بعيراً بحبل في عنقه، فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته.

قافية الثاء

الانتصاف لعلم الشريعة

«قيلت بمناسبة تقليل بعض الجهال من شأن علوم الشريعة في مجلس بالقاهرة سنة ١٣٤١هـ».

أَغاظَ الحَسودَ الخِبَّ أَنْ بِـتُّ مُقْبِـلاً ... بِفِكْري على عِلْمٍ بَديعِ المباحِثِ(١)

وأَوْجَسَ خَوْفاً أَنْ أَزيدَ بِهِ عُلا ... وذاكَ لَدى الحُسَّادِ إِحْدى الْكَوارِثِ

فَغَضَّ مِنَ الْعِلْمِ الَّذي خُضْتُ بَحْرَهُ ... ولَقَّبَ مَنْ يَرْتادُهُ باسْمِ عابِثِ

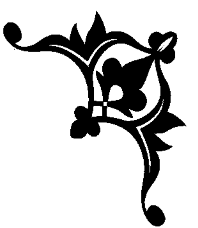
يُحاوِلُ كَيْداً أَنْ يُثَبِّطَ هِمَّةً ... تَسامَتْ فَكانَ الْكَيْدُ بَعْضَ الْبَواعِثِ

فَعادَ وَما في كَفِّهِ غَيْرُ خَيْبَةٍ ... كما أَخْفَقَتْ في الحَجِّ آمالُ رافِثِ(٢)

❐ ❐ ❐

(١) الخب: الخدّاع.

(٢) الرافث: يقال: رفث؛ أي: أفحش. وهذا البيت إشارة لقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

قافية الجيم

الرأي النضيج

يَهَبُ المُزْنُ في الْغَداةِ جُماناً ... مِنْ نَدًى للزُّهورِ ذاتِ الأَريجِ(١)
وتُرينا شَمْسُ الضُّحى لُؤْلُؤاً مِنْ ... عَرَقِ الْغيدِ فَوْقَ خَدٍّ بَهيجِ(٢)
أَهُما عَلَّما الحِجا كَيْفَ يُلْقي ... في الْقَراطيسِ دُرَّ رَأْيٍ نَضيجِ(٣)

زهرة الدّنيا أخلائي

«قالها الشاعر في مصر عقب وداع بعض أصدقائه من تونس».

يَوْمُ بَيْنٍ لَمْ أَذُقْ مِنْ قَبْلِهِ ... لَوْعَةً كالنّارِ حَرّاً وهِياجا(٤)
وَدَّعوا، والصُّبْحُ يَحْدو بالدُّجى ... حامِلاً مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ سِراجا(٥)
وَامْتَطَوْا سابِحَةً في الجَوِّ لا ... لَقِيَتْ مِنْ أُخْتِها الرِّيحِ لَجاجا(٦)

---

(١) المزن: السحاب، أو ذو الماء. الجمان: واحدها جمانة، وهي حبة تُعمل من الفضة كالدرة. النّدى: المطر. الأريج: الطيب.

(٢) الغيد: واحدها غيداء، وهي المرأة الناعمة اللينة الأعطاف.

(٣) الحجا: العقل. القراطيس: جمع قرطاس، وهي الصحيفة التي يكتب فيها.

(٤) البين: الفرقة.

(٥) يحدو: حدا الإبل: ساقها، وغنّى لها. الدجى: الظلمة.

(٦) سابحة: يقصد بها: الطائرة. اللجاج: التمادي في العناد والنزاع.

جيـــــرَةٌ أَصْـــــفَيْتُهُمْ وِدِّي وَلا ... يَجِـدُ الْمَـذْقُ مِـنَ الـوِدِّ رَوَاجـا[1]

قـــابَلوا وِدِّي بِـــودٍّ وَبَنَـــوْا ... مِـنْ حِفـاظِ الـوِدِّ لِلْعَهْـدِ سِيَاجا

لا أُبـــالي إِنْ أَنـــا جـــاوَرْتُهمْ ... أَفُراتـاً كـانَ وِرْدي أَمْ أُجاجـا[2]

زَهْـــرَةُ الــدُّنْيا أَخِلاَّئـــي وَلَـــو ... شَــفَّني الْبَـيْنُ وَأَعْيَـاني عِلاجـا

لم أكن بمداجٍ

«قيلت في مستشفى فؤاد الأول بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٦٨هـ».

هُوَ ذا الضَّنى أَيْ جارَتي يَنْقَضُّ مِنْ ... بَـيْنِ الجَـوانِحِ فـي أَشَـدِّ هِيَـاجِ[3]

يُدْلي الطَّبيبُ مَعَ الطَّبيبِ إلى الحَشـا ... سَـمَّاعَةً تَصِـفُ انْحِـرافَ مِزاجـي

فاجـاهُمُ نَفَـسٌ بِمـا أَشْـكوهُ مِـنْ ... وَجَـعٍ وأَنْفـاسُ الْعَليـلِ تُنـاجي

يَتَهامَســـونَ بِلَهْجَـــةٍ لَـــمْ أَدْرِهـــا ... فَإِخـالُهُمْ هَمَسـوا بِعُسْرِ عِلاجـي

فَلْتَذْكُـريني - إِنْ قَضَيْـتُ - بِأَنَّني ... أَرْعى الْعَشيرَ وَلَمْ أَكُـنْ بِمُـداجي[4]

الشِتاء والرّبيع

يُعيدُ الشِّتاءُ الْحَـيَّ مَيْتـاً، أَلا تَـرى ... بِهِ الرَّوْضَ في كَفَنٍ مِنَ الـثَّلْجِ مُـدْرَجا[5]

وَتُرْجِــعُ أَيَّــامُ الرَّبيــعِ حَيَاتَـــهُ ... وتَكْسـوهُ بُـرْداً بـالزُّهورِ مُـدَبَّجا[6]

---

(١) المذق: اللبن الممزوج بالماء، ويقصد: الود غير الصافي. الرواج: نَفاق السلعة.

(٢) الفرات: الماء العذب، الأُجاج: الماء المِلح المر.

(٣) الضنى: المرض والهزال. الجارة: ويقصد بها زوجته.

(٤) العشير: القبيلة، الصديق، القريب. المداجي: المداري.

(٥) مدرج: مطوي وملفوف.

(٦) البُرد: الثوب المخطط. مدبّج: مزيّن.



قافية الحاء

تهنئة بالقضاء

«قيلت في دمشق لتهنئة صديقه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عند ولايته القضاء بتونس سنة ١٣٣٢هـ».

بَسَطَ الهَناءُ عَلى القُلوبِ جَناحاً ... فَأَعادَ مُسْوَدَّ الحَياةِ صَباحا
إِيهِ مُحَيَّا الدَّهْرِ إِنَّكَ مُؤْنِسٌ ... ما افْتَرَّ ثَغْرُكَ باسِماً وَضَّاحا[1]
وَتَعُدُّ ما أَوْحَشْتَنا في غابِرٍ ... خالاً بِوَجْنَتِكَ الْمُضيئَةِ لاحا[2]
لَوْلا سَوادُ اللَّيْلِ ما ابْتَهَجَ الْفَتى ... إِنْ آنَسَ المِصْباحَ وَالإِصْباحا[3]
يا طاهِرَ الهِمَمِ احْتَمَتْ بِكَ خُطَّةٌ ... تَبْغي هُدًى وَمُروءَةً وَسَماحا[4]
سَحَبَتْ رِداءَ الْفَخْرِ واثِقَةً بِما ... لَكَ مِنْ فُؤادٍ يَعْشَقُ الإِصْلاحا

---

(١) إيه: اسم فعل أمر، ومعناه طلب الزيادة من حديث أو عمل، المُحيّا: الوجه. افتر: تبسم وضحك ضحكاً حسناً، وأبدى أسنانه.

(٢) الغابر: الماضي.

(٣) آنس: أبصر. الإصباح: الفجر.

(٤) الخطة: الأمر والطريقة. ويطلقها أهل الأندلس على أي منصب من مناصب الحكومة، فيقال: خطة الفتوى، وخطة التعليم.

سَتَشُـدُّ بِـالحَزْمِ الْحَكِـيمِ إِزارَهـا والحَزْمُ أَنْفَسُ ما يَكـونُ وِشـاحا[1]
وتَذودُ بالعَدْلِ الْقَذى عَنْ حَوْضِـها والْعَدْلُ أَقْوى مـا يَكـونُ سِـلاحا[2]
في النَّاسِ مَـنْ أَلْقـى قِلادَتَهـا إلـى خَلَـفٍ فَحَـرَّمَ مـا ابْتَغـى وَأَباحـا
فَـأَدِرْ قَضـاياها بِفِكْـرِكَ إِنَّـهُ فِكْرٌ يَـرُدُّ مِـنَ الْعَـوِيصِ جِماحـا[3]
أَنْسـى ولا أَنْسـى إِخـاءَكَ إِذْ رَمـى صَـرْفُ اللَّيـالي بِـالنَّوى أَشْـباحا[4]
أَسْـلو ولا أَسْـلو عُـلاكَ وَلَـو أَتَـتْ لُبْنـانُ تُهْـدي نَرْجِسـاً فَيَّاحـا[5]
أَوَلَـمْ نكُـنْ كالفَرْقَـدَيْنِ تَقارَنـا والصَّـفْوُ يَمْـلأُ بَيْنَنـا أَقْـداحا[6]

يبغي الورد عذباً

«قيلت على شاطىء البحر بالإسكندرية سنة ١٣٦١هـ».

حَمـامٌ غَـرَّهُ بَحْـرٌ خِضَـمٌّ تُلاعِـبُ مَوْجَـهُ الحِيتـانُ سَـبْحا[7]

---

(١) الإزار: الملحفة. الوشاح: شيء يشبه قلادة تلبسه النساء.

(٢) تذود: تطرد. القذى: ما يقع في العين أو الشراب من تبنة أو غيرها. الحوض: مجتمع الماء.

(٣) العويص: الأمر الصعب. الجماح: ركوب الرأس لا يثنيه شيء.

(٤) الصرْف: الحدثان والنوائب. النوى: البعد.

(٥) أسلو: سلا الشيء: نسيه، وذهل عن ذكره. الفيّاح: للمبالغة؛ أي: فيّاض بالعطاء الواسع الكثير.

(٦) الفرقدان: نجمان قريبان من القطب يهتدى بهما.

(٧) غرّه: خدعه. خضمّ: كثير العطاء.

يَحــومُ عَلَيْـــهِ يَحْسَــبُهُ زُلالاً ‏ وَلَمَّــا ذاقَــهُ أَلْفــاهُ مِلْحــا[1]
فَطــارَ السِّــرْبُ يَبْغــي الــوِرْدَ عَــذْباً ‏ وَلَوْ رَشَــحَتْ بِـهِ الْبَيْـداءُ رَشْـحا[2]
فَصُـــنْ قَــدَمَيْكَ عَــنْ وِرْدٍ وَبيــلٍ ‏ وَقُلْ لِلـنَّفْسِ إِنْ عافَتْـهُ: مَرْحَـى[3]
وَمَـــنْ يَظْفَــرْ بِــوِرْدٍ مُسْــتَطابٍ ‏ فَــوِرْدي آسِــنٌ غَسَــقاً وَصُـبْحا[4]
وَكَيْفَ يَطيـبُ لـي عَـيْشٌ وَأَرْضـي ‏ يَهُــزُّ بِهــا الْعِــدا سَــيْفاً وَرُمْحــا

عتاب على مزاح

«قالها في مصر سنة ١٣٦٢هـ عندما قال بعض الجالسين كلمة نابيةعن أدب الدين على وجه المزاح».

بُنَـيَّ أَلَــمْ تَرْشُــفْ أَفـاوِيقَ حِكْمَـةٍ ‏ كما رَشَفَتْ قَطْرَ النَّدى زَهْرَةُ الدَّوْحِ[5]
وَمِثْلُــكَ لا تَلْوِيــهِ داعِيَــةُ الهَــوى ‏ عَنِ السِّيرَةِ الْغَرّاءِ والْخُلُـقِ السَّـمْحِ

---

(١) الزلال: العذب.

(٢) السرب: القطيع من القطا والظباء والوحش والخيل والحمر والنساء. البيداء: المفازة والفلاة.

(٣) صان: حفظ. الورد: الماء الذي يورد. وبيل: شديد. مرحى: كلمة تعجب تقال للرامي إذا أصاب.

(٤) مستطاب: استطاب الشيء: وجده طيباً. آسن: متغير. الغسق: دخول أول الليل حين يختلط الظلام.

(٥) ترشف: تمص. الأفاويق: الفيقة: اسم اللبن الذي يجتمع بالضرع بين الحلبتين. الحكمة: كل كلام موافق الحق، ووضع الشيء في موضعه، وصواب الأمر وسداده. الدوح: واحدها الدوحة، وهي الشجرة العظيمة.

أُعيـذُكَ بِالفُرْقـانِ أَنْ تَحْكـيَ امْـرَأً يَغُضُّ مِنَ الدِّينِ الحَنيفـيِّ بـالمَزْحِ[١]
وتُصْغي إلى نَجْوى الَّذي يَرْكـبُ الخَنـا وَيَأْخُذُ أَهْلَ الشَّرْعِ بالطَّعْنِ والقَدْحِ[٢]
بَلَوْنا الهُدى بَعْدَ الهَوى فإذا الهَوى دُجُنَّةُ لَيْلٍ والهُـدى فَلَـقُ الصُّـبْحِ[٣]

رفقاً بها

«قالها في تونس بعد درس تعرض فيها أستاذه الشيخ سالم بو حاجب[٤] إلى حكم التضحية بالظباء».

مَـدَّ فـي وَجْـرَةَ الحِبالَـةَ يَبْغـي قَنَصـاً والظِّبـاءُ تَرْتَـعُ مَرْحـى[٥]
صـادَها ظَبْيَـةً وَهَـمَّ بِـأَنْ يَصْـ ـرَعَها كالخَروفِ في عيـدِ أَضْحى
قُلْـتُ: رِفْقـاً بِهـا وَلا تُرْهِقَنْهـا وَهيَ تَرْنـو إلَيْـكَ صَـرْعاً وَذَبْحـا[٦]

---

(١) أعيذك: أعاذه: دعا له بالحفظ. الفرقان: القرآن، وهو مصدر بالأصل. يغض الشيء: ينقص ويوضع من قدره.

(٢) النجوى: السرّ. الخنا: الفحش. الشرع: ما شرع الله تعالى لعباده.

(٣) الدجنّة: الظلمة، جمع دُجُنات. فلق الصبح: شقه بكشف الظلام عنه.

(٤) سالم بو حاجب: (١٢٤٣ ـ ١٣٤٢هـ) من كبار علماء تونس وأساتذتها. تولى التدريس بجامع الزيتونة، ثم الفتيا سنة ١٣٢٣هـ.

(٥) الوجرة: موضع بينه وبين مكة والبصرة أربعون ميلاً، ليس فيها منزل، وهي مرتع الوحوش. الحبالة: المصيدة، جمع حبائل، ومنه الحديث الشريف: «النساء حبائل الشيطان». القنص: الصيد. الظباء: الغزلان. مرحى: جمع مَرِح: وهو شديد الفرح والنشاط.

(٦) ترنو: تديم النظر بسكون الطرف.

مـا أَظُـنُّ السِّـكِّينَ تَرْضَـى وَفيهـا ... حِدَّةٌ أَنْ تَخُطَّ فـي الْجيـدِ جُرْحـا(١)

خَـــلِّ عَنْهـــا، فَعَيْنُهـــا أَذْكَرَتْنـــا ... عَيْنَ أَسْماءَ وَهْيَ بِالبِشْرِ طَفْحـى(٢)

إغاثة قطاة

قَطاةٌ غَدَتْ تَطْـوي الْفَـلاةَ خَميصَـةً ... إِلى رَوْضَةٍ طابَتْ وطَابَ صَـباحُها(٣)

رَعَتْ كَلأً رَطْباً، حَسَتْ مـاءَ مُزْنَـةٍ ... رَبا بَيْنَ أَحْناءِ الضُّـلوعِ ارْتياحُهـا(٤)

وَعادَتْ تَشُقُّ الْجَوَّ وَهي تُطِـلُّ مِـنْ ... عُلاهـا عَلـى بَيْـداءَ لانَـتْ رِيَاحُهـا

رَمـى النَّابِـلُ الخَتَّـالُ مِنْهـا قَوادِمـاً ... ولَمْ يَدْرِ رامي النَّبْلِ أَيْنَ مَطاحُهـا(٥)

أَلَـمَّ بِهـا هَـمُّ اغْتِـرابٍ وَآذَنَـتْ ... ذُكـاءُ بِتَرْحـالٍ فَطـالَ نُواحُهـا(٦)

وَمَرَّ بِهـا سِـرْبٌ مِـنَ الأُنْـسِ طـائِرٌ ... فَصاحَتْ وَقَدْ أَجْدى عَلَيْها صِـيَاحُها

أُناشِـدُكُمْ مَـنْ ذا يُعيـرُ جَناحَـهُ ... مَطَوَّحَـةً فـي الْقَفْـرِ قُـدَّ جَناحُهـا(٧)

أَطيـرُ إِلـى زُغْـبِ الْحَواصِـلِ إِنَّهـا ... خِماصٌ وَأَخْشى أَنْ يَحينَ اجْتِيَاحُها(٨)

---

(١) الجيد: العنق.

(٢) البِشْر: طلاقة الوجه. طفحى: ملأى.

(٣) قطاة: طائر في حجم الحمام. خميصة: جائعة، وتجمع على خمائص.

(٤) الكلأ: العشب. المزنة: المطرة. ربا: زاد ونما. الارتياح: السرور والنشاط.

(٥) النابل: صانع النبال. الختال: المخادع. القوادم: جمع القادمة، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح. المطاح: مكان السقوط.

(٦) الذُّكاء: الشمس.

(٧) مطوحة: التي طُوِّح بها في الأرض، أي: ذهُب بها. قَدَّه: قطعه مستأصلاً.

(٨) زُغب: جمع أزغب، وهو صغير الريش والشعر. الحواصل: جمع حوصلة، =

ولا تَذْكُروا الصَّبَّ الَّذي اسْتَمْنَحَ الْقَطا جَناحاً فَأَنْـذالُ الطُّيـورِ شِـحاحُها[١]
فَمـدَّ إِلَيْهـا السِّـرْبُ راحَـةَ مُسْـعِدٍ وَطارَ بِها حَتَّـى حَماهـا مَراحُهـا[٢]

الرّجاء أساس كلّ نجاح

سَحَبَ الْفَتـى الْبَـدوِيُّ ذَيْـلَ مِـراحِ يُزْهَـى بِسَـرْحٍ فـي فَـلاً ومَـراحِ[٣]
أَلِـفَ الْبُطولَـةَ والسَّـماحَ فَمـا لَـهُ شَـغَفٌ بِغَيْـرِ بُطولَـةٍ وَسَـماحِ
لِلْبَدْوِ فيما كُنْتُ أَدْري الْفَضْـلُ فـي نَشْءِ النُّفـوسِ عَلـى مِثالِ صَـلاحِ
لا راحَ غَيْـرُ عَصـيرِ مُـزْنٍ رائِـقٍ لا نـايَ غَيْـرُ الْبُلْبُـلِ الصَّـدَّاحِ[٤]
لا تَخْطُـرُ الْفَتَيـاتُ فيـهِ بِزينَـةٍ وَتَبَـرُّجٍ بَـيْنَ الْبُيـوتِ وِقـاحِ
مُنِـيَ الْفَتـى بِقَـرينِ سُـوءٍ يَرْتَـدي ثَـوْبَ النَّصـيحِ بِغَـدْوَةٍ وَرَواحِ[٥]
مـا زالَ يَسْـتَهْويهِ حَتَّـى انْحَـطَّ فـي أَرْضِ الحَضارَةِ بِـالهوى المِلْحـاحِ[٦]
قـادَ النَّجائِـبَ والحَقائِـبُ مِلْؤُهـا ذَهَـبٌ، دَنـانيرٌ، وَحِلْـيُ مِـلاحِ[٧]

= وهي عند الطائر كالمعدة للإنسان. خماص: جِياع. الاجتياح: الإهلاك.

(١) إشارة إلى قول الشاعر:

أسرب القطا هـل مـن يعير جناحـه لعلـي إلـى مـن قـد هويـت أطيـر

(٢) مسعد: مساعد ومعاون. المَراح: الموضع يروح القوم منه وإليه.

(٣) المِراح: اسم من مرح: إذا بطر.

(٤) الراح: الخمر. المزن: السحاب. الناي: آلة من آلات الطرب، والجمع نايات.

(٥) القرين: المصاحب.

(٦) الملحاح: الكثير الإلحاح، ألح السائل في السؤال: ألحف وأقبل عليه مواظباً.

(٧) النجائب: واحدها النجيبة، وهي الكريمة الحسيبة من الإنسان والحيوان.

أَلْقــى بِمصْــرٍ رَحْلَــهُ إِذْ أَدْبَــرَتْ شَمْسُ الأَصيلِ بِوَجْهِهـا اللمَّـاحِ[١]
بَهَـرَتْ لَواحِظَـهُ المَصـابيحُ الَّتـي تُغْنــي إِضـاءَتُها عَـنِ الإِصـباحِ
وَبَـدائِعٌ خَرَجَـتْ بِطـولِ حِسـابِها عَـنْ طاقَـةِ الإِيمـاءِ والإِفْصـاحِ[٢]
وَاحْتَـلَّ صَـرْحاً شـامِخاً وَحَديقَـةً حَلِيَـتْ بِزَهْـرِ بَنَفْسَـجٍ وأَقـاحي[٣]
لَـمْ يَـدْرِ أَهْـلُ النُّبْـلِ أَيْـنَ مَـزارُهُ وَدَراهُ أَهْــلُ بَطالَـــةٍ وطَــلاحِ[٤]
فَتَهـــافَتوا يَتَصَـــيَّدونَ فُـــؤادَهُ بِتَمَلُّـــقٍ وخِلابَـــةٍ ومِـــزاحِ[٥]
واسْـتَدْرَجوهُ إِلـى مَـلاهٍ لَـمْ يَعُـدْ مِـنْ بَعْـدِ نَشْـوَتِها لِسيرَةِ صاحي
صَرَفوهُ عَنْ وَجْهِ الرَّشادِ، فَتـاهَ فـي وادٍ مِــنَ اللَّهْــوِ الأَثـيمِ بَـراحِ[٦]
رَكِبَ الهوى طَلْقاً، وأَصْبَحَ سَيْرُهُ هَــدَفاً لِرَمْيَــةِ مُــزْدَرٍ أَوْ لاحــي
فَسَـلوا مَلاعِـبَ مَيْسِـرٍ أَذْرى بِهـا بِــدَراً وَعــادَ بِخَيْبَــةٍ وجُنــاحِ[٧]
ظَـلَّ الْفَتـى فـي سَـكْرَةٍ وثَـراؤُهُ يَنْهــارُ بَــيْنَ مَزاهِــرٍ وقِــداحِ

---

(١) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب. اللمّاح: اللامع.

(٢) الإيماء: الإشارة.

(٣) الصرح: القصر، كل بناء عال. الشامخ: طويل في السماء.

(٤) المزار: مكان الزيارة. طلاح: فساد.

(٥) التملق: التودد. الخلابة: الخديعة باللسان.

(٦) البراح: المتسع من الأرض لا زرع بها ولا شجر.

(٧) أذرى بها: ألقى بها كما يلقى الحب للزرع. البِدَر: جمع البدرة: عشرة آلاف درهم. الجُناح: الإثم.

حَتَّـــى تَبَـــدَّدَ تِبْـــرُهُ وَلُجَيْنُـــهُ ... كَكَثِيـبِ رَمْـلٍ فـي مَهَـبِّ رِيَـاحِ[١]
وانْفَـضَّ مِـنْ حَـوْلِ الْفَقيـرِ رِفاقُـهُ ... وَجَـزَوْهُ عَـنْ إِقْبالِـهِ بِطِمـاحِ[٢]
لا دِرْهَـمٌ يُغْنيـهِ مِـنْ جـوعٍ وَلا ... إِلْـفٌ يُخَفِّـفُ لَوْعَـةَ الأَتْـراحِ[٣]
كـالطَّيْرِ يُنْسَـلُ ريشُـهُ أَفَيُرْتَجـى ... لِلطَّيْـرِ أَنْ يَحْيـا بِغَيْـرِ جَنـاحِ[٤]
ضاقَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ، والأَجْسادُ في ... نَظَـرِ الْكَئيـبِ مَقـابِرُ الأَرْواحِ
يَتَخَيَّـلُ الظَّلْمـاءَ ثَـوْبَ مَـآتِمٍ ... وأَغـانِيَ المِـذْياعِ صَـوْتَ نِيـاحِ[٥]
كـادَ النَّشـاؤُمُ بِالحَيـاةِ يُذيقُـهُ ... طَعْـمَ الـرَّدى بِغِـرارِهِ السَّـفَّاحِ[٦]
لَـوْلا شُـعورٌ مِـنْ بَقايـا فِطْـرَةٍ ... لَهَـوى كمـا يَهْـوي صَـريعُ رِمـاحِ
هِـيَ هَمْسَـةٌ مِـنْ فِطْـرَةِ اللهِ الَّـذي ... جَعَـلَ الرَّجـاءَ أَسـاسَ كُـلِّ نَجـاحِ



جناحان

حِجًا في غِمارِ المُعْضِـلاتِ سَـبوحُ ... وعَزْمٌ إلى أَسْنى المَعالي طَمـوحُ[٧]

---

(١) التبر: الذهب. اللجين: الفضة. الكثيب: التل من الرمل.

(٢) الطماح: الكبر والفخر.

(٣) الإلف: العشير المؤانس. اللوعة: الحرقة. الأتراح: الأحزان.

(٤) ينسل: يسقط.

(٥) المآتم: جمع مأتم: نساء يجتمعن في الخير والشر، وغلب على الثاني. النياح: البكاء بصياح وعويل وجزع.

(٦) الردى: الهلاك. الغرار: حد السيف.

(٧) الحجا: العقل. المعضلات: واحدها معضلة، وهي المسألة المشكلة المستغلقة.

جَناحـانِ لا تُرْقَـى بِغَيْرِهِمـا الْعُـلا وَمِـنْ دونِ مَرْماهـا مَهامِـهُ فِـيحُ[١]

ومَـا أَسْـوَأَ الْعُقْبـى إذا سـاسَ أُمَّـةً عَلى الرَّغْمِ مَخْلوعُ الْعِذارِ جَموحُ[٢]

إذا وَلَّـتِ الأَحْكـامُ خـابِطَ عَشْـوَةٍ حَكى كَيْفَ يَهْذي في الْقَضاءِ سَـطيحُ[٣]

وَيَحْسَبُ ما لا شَيْءَ حَيّاً وَلَمْ يَكُـنْ لِما خالَهُ في النَّاسِ جِسْـمٌ ولا روحُ

وَفي الشَّرِّ ما يَنْـدَسُّ تحْـتَ ظِهـارَةٍ مِنَ الخَيْرِ لا لَـوْنٌ يَـنِمٌّ ولا ريـحُ[٤]

يَحوكُ الخَطيبُ الخَبُّ قَـوْلاً صِـباغُهُ أنيـقٌ ومـا تَحْـتَ الصِّـباغِ قَبـيحُ[٥]

ويَصْفو رُوَاءُ المـاءِ وَالطَّعْـمُ عَلْقَـمٌ ويَبْسِـمُ ثِغْـرٌ والْفُـؤادُ قَـريحُ[٦]

وَمـا كُـلُّ ذي رَأْيٍ يُـداري حَقيقَـةً تَـوارَتْ فَتَبْـدو وَالْقِنـاعُ طَـريحُ[٧]

وَمَنْ ذا يُعاني الصَّعْبَ لَوْلا رَجـاءُ أَنْ يَطيـبَ غَبـوقٌ بَعْـدَهُ وَصَـبوحُ[٨]

---

(١) مهامه: جمع المهمه، والمهمهة: المفازة البعيدة. فيح: واسعة.

(٢) العقبى: الآخرة. العذار: ما سال من اللجام على خد الفرس، ويقال: «هو خليع العذار»؛ أي: يقول ويفعل، وما يبالي بشيء؛ كالدابة بلا رسن. جموح: يقال رجل جموح: يركب هواه، فلا يمكن رده.

(٣) خابط عشوة: العشوة هي الظلمة، ويقال للجاهل: هو خابط عشوة. سطيح: ربيع الذئبي كاهن اليمن المشهور.

(٤) يندس: يندفن. الظِّهارة من الثوب: نقيض البطانة.

(٥) الخب: الخدّاع. أنيق: حسن معجب.

(٦) الرواء: حسن المنظر. العلقم: الحنظل، وكل شيء مر. قريح: جريح.

(٧) يداري: يلاطف.

(٨) الغبوق: ما يشرب بالعشي. الصبوح: ما يشرب بالغدوة.

ضَـريحُ أَبِـيٍّ الضَّـيْمِ صَـرْحٌ مُمَـرَّدٌ ... وصَرْحُ الهَيُوبِ المُسْتَضامِ ضَـريحُ[1]
أَخُو الضَّيْمِ في الدُّنيا هُوَ الْمَيْتُ فَانْعَـهْ ... وإنْ تَـرَهْ يَغْـدو بِهـا ويَـروحُ
لِكُلِّ امْرِئٍ شَأْنٌ، سَلوا فَيْلَسوفَهُمْ ... أَنيطَـتْ بِهاتيكَ الشُّؤونِ شُـروحُ؟
فَمِنْ ساحِبٍ ذَيْلَ المِراحِ وَلَوْ سَطا ... بِـهِ مُسْتَبِـدٌّ يَغْتَـدي ويَبُـوحُ[2]
سَـميعٌ إذا طَـنَّ الـذُّبابُ بِدُمْيَـةٍ ... أَصَـمٌّ إذا أَلْقـى العِظـاتِ نَصـوحُ[3]
إلـى مُطْـرِقٍ يَرْنـو بِعَـيْنٍ مُقَطِّـبٍ ... يَضِـيقُ عَلَيْـهِ الأُفْـقُ وَهْـوَ فَسـيحُ
شَجِيٌّ كَأَنَّ الْقَلْبَ صُـوِّرَ مِـنْ أَسًـى ... وغَذَّاهُ مِنْ جَفْنِ المَشوقِ سَفوحُ[4]
يُصَـمُّ إذا غَنّـاهُ إسْـحاقُ مُطْرِبـاً ... وَيُصْغي إلى الخنْساءِ وَهِي تَنوحُ[5]

---

(١) الضريح: القبر. الضيم: الظلم. الصرح: القصر. الممرد: المشيد. الهيوب: الجبان. المستضام: الذي انتقص حقه.

(٢) المراح: اسم من مرح: إذا أشر وبطر.

(٣) الدمية: الصنم، والصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم.

(٤) الشجي: الحزين. المشوق: المشتاق.

(٥) إسحاق: (١٥٥ ـ ٢٣٥هـ) إسحاق بن إبراهيم الموصلي، من أشهر ندماء الخلفاء، وتفرد بصناعة الغناء، وهو عالم بالموسيقى واللغة والتاريخ والشعر، ولد وتوفي ببغداد، نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين.

الخنساء: (. . . ـ ٢٤هـ) تماضر بنت عمرو بن الحارث، الشاعرة المشهورة، أدركت الجاهلية والإسلام فأسلمت، وقدمت مع قومها من بني سليم على رسول الله ﷺ، أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا بالجاهلية، لها ديوان مطبوع.

وَأَضيَعُ رَأْيٍ ما يَلوحُ لِمُحْجِمٍ ... وَرَأْيُ أَخي العَزْمِ الصَّميمِ نَجيحُ[1]
أَيَجْني ثِمارَ النَّخْلِ بالكَفِّ مُقْعَدٌ ... وَيَنْهَضُ في يَوْمِ الرِّهانِ طَليحُ؟[2]

نهضة مصر

«قيلت وهو يشهد استعراض الجيش المصري يوم ٢٨ المحرم سنة ١٣٦٩هـ».

دَمْعَةٌ كالثَّلْجِ بَرْداً مَجَّها ... في الْمَآقي فَرْطُ بِشْرٍ وارْتِياحِ[3]
إِذْ شَهِدْنا عَرْضَ جَيْشٍ مِنْ بَني ... مِصْرَ في أَسْنى عَتادٍ وسِلاحِ
وَتَلَتْها دَمْعةٌ صَوَّرَ لي ... حَرُّها أنْفاسَ مَكْسورِ الجَناحِ
إِذْ ذَكَرْتُ المَغْرِبَ الْغارِقَ في ... لُجَجٍ سُودٍ مِنَ الْعَسْفِ الصُّراحِ[4]
نَهَضَتْ مِصْرُ إِلى المَجْدِ وَما ... نَهَضَتْ إِلاَّ بِعَزْمٍ وَكِفاحِ
أَتَرى الْمَغْرِبَ يَوْماً ناهِضاً ... لِلْعُلا بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِماحِ

ما أضيع البرهان عند المعاند!

تُريدُ رَفيقاً لا يَرى غَيْرَ ما تَرى ... وَيَأْبى الَّذي تَأْباهُ وَهْوَ نَصوحُ

---

(١) المحجم: الذي يكف عن الشيء وينكص هيبة منه. النجيح: الصواب في الرأي.

(٢) المقعد: المصاب الذي لا يستطيع القيام. الطليح: المتعب الهزيل.

(٣) مجّ: رمى. المآقي: جمع المؤقي والمأقي، وهو مجرى الدمع من العين.

(٤) المغرب: المغرب العربي: تونس والجزائر والمغرب. لجج: جمع اللجة، وهي الجماعة الكثيرة، ولجة الظلام. العسف: الظلم. الصراح: الخالص من كل شيء، المجاهرة.

وَغَيْـرُكَ مُشْـتاقٌ إلـى صـاحِبٍ لَـهُ ... حِجًـا كَسِـراجِ الْكَهْرُبـاءِ لَمُـوحُ(١)

صَـديقُكَ ثـاني السَّـاعِدَيْنِ وَرَأْيُـهُ ... لِرَأْيِـكَ فـي كُـلِّ الأُمـورِ كَفـيحُ(٢)

وَما الخُلْفُ في الآراءِ بَيْنَكُما سِوَى ... دَليـلٌ علـى أَنَّ الـوِدادَ صَـريحُ

وَمـا هُـوَ كـالخُلْفِ الَّـذي يَسْـتَثيرُهُ ... عِنـادٌ وَرَأْيٌ بِالصَّـوابِ لَقـوحُ(٣)

أَلا خَلِّيـاتي مِـنْ حِـوارِ مُعانِـدٍ ... يَقـولُ لِسـانُ الأَعْجَمِـيِّ فَصـيحُ

وَما وَعْـدُ عُرْقُـوبٍ بِيَثْـرِبَ مُخْلِفاً ... ولا ماءَ في أَرْضِ الْعِـراقِ يَسيحُ(٤)

وطَلْعَةُ ذي الوَجْهَيْنِ وَضَّاحَةُ السَّـنا ... وَطائِرُ مَنْ يَلْقى الْبَسُـوسَ سَـنيحُ(٥)

ويُطْري الَّتي تَلْهو وتُرْجِـىءُ غَزْلَهـا ... إلى أَنْ تَـرى نَجْـمَ الشِّـتاءِ يَلـوحُ(٦)

أَعِنْـدَكَ بُرْهـانٌ يَـروضُ مُجـادِلاً ... يَميحُ مَعَ الأَهْـواءِ حَيْـثُ تَميحُ!(٧)

---

(١) الحجا: العقل والفطنة. لموح: من لمح البرق والنجم؛ أي: لمع.

(٢) الكفيح: الكفؤ والنظير.

(٣) اللقوح: الناقة الحلوب، والمعنى هنا: الرأي المنتج.

(٤) عرقوب: رجل يثربي كان يضرب به المثل في الكذب والخلف، وفيه إشارة إلى البيت:

وعـدت وكـان الخلـف منـك سـجية ... مواعيـد عرقـوب أخـاه بيثـرب

(٥) البسوس: امرأة هاجت بسببها الحرب المنسوبة إليها بين بكر وتغلب أربعين سنة، حتى ضرب بها المثل في الشؤم، يقال: «أشأم من البسوس».

(٦) تلميح إلى البيت:

إذا كوكـب الخرقـاء لاح بسـحرة ... سـهيل أذاعـت غزلهـا فـي القرائـب

(٧) يميح: يمشي يتبختر.

بلغ السّيل الزبى

إذا نُصِبَتْ بَيْنَ الدِّيارِ مَنابِرٌ ... تَقوم عَلَيْها الْغُرْبُ وهِيَ تَصيحُ[1]
تُنادي لِأَسْواقٍ تَموجُ خَلاعَةً ... وشُرْطِيُّها في الرَّائِدينَ مَروحُ[2]
فَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى وأَظَلَّنا ... زَمانٌ بِما يُرْضي الْكِرامَ شَحيحُ[3]
وَأَصْبَحَ طَعْمُ الْمَوْتِ حُلْواً وريحُهُ ... كأَنْفاسِ زَهْرٍ بالرِّياضِ يَفوحُ[4]

❒❒❒

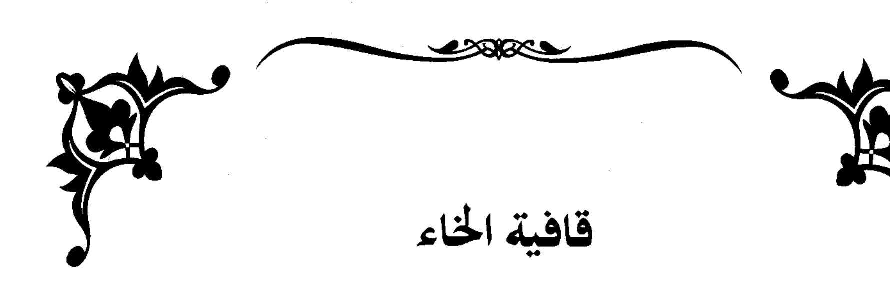
---

(١) الغُرْب: جمع غراب، وهو طائر كبير، يسمى الأسود منه: بالحاتم، يتشاءمون به، ويسمى الأبقع: بغراب البين. ويضرب به المثل في السواد والبعد والبكور والحذر.

(٢) الشُّرْطي: بسكون الراء، وفتحُها خطأ، والجمع شُرَط، وسمّوا بذلك؛ لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها، والشَّرَطُ هي العلامة. مروح: من المرح، وهو شدة الفرح والنشاط.

(٣) الزّبى: جمع زبية، وهي الرابية لا يعلوها ماء، ومنه المثل: «بلغ السيل الزبى»؛ أي: اشتد الأمر حتى انتهى إلى غاية بعيدة. شحيح: البخيل والحريص، جمع شِحاح وأشحة وأشحاء.

(٤) يفوح: يتضوع وينتشر.



قافية الخاء

الشيوخ والفتيات

«قالها في مجلس بمصر عندما جرى الحديث في تزوج الشيوخ بالفتيات».

لا تَــرْجُ مِــنْ غــادَةٍ فَتــاةٍ ... تَبْنــي عَلَيْهــا وَأَنْــتَ شَــيْخُ[1]
مــا كُنْــتَ تَلْقــاهُ مِــنْ، فَتــاةٍ ... وَلِلشَّــبابِ الْغَــريضِ شَــرْخُ[2]
فَــإِنْ تَمَلَّيْتَهــا حَصــاناً ... وَصــادَها مِــنْ غِنــاكَ فَــخٌّ[3]
فَــدارِها والْفُــؤادُ يَحْنــو ... عَطْفــاً، ويُمْنــى يَــدَيْكَ تَسْــخو

---

(١) الغادة: المرأة الناعمة اللينة. تبني عليها: تتزوج وتدخل بها. الشيخ: من استبانت فيه السنّ، وظهر عليه الشيب، وقيل: من أربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، وإطلاق الشيخ على الأستاذ والعالم وكبير القوم ورئيس الصناعة إنما هو باعتبار الكبر في العلم والفضيلة والمقام، ونحو ذلك.

(٢) الغريض: الماء الذي يورد باكراً، والطري من اللحم، وكل أبيض طري، الشرخ: أول الشباب، ويقال: هو في شرخ الشباب؛ أي: في ريعانه.

(٣) تمليتها: عشت معها مستمتعاً بها. الحَصان: المرأة العفيفة، جمع حُصن وحَصانات. الفخ: آلة يصاد بها.



قافية الدال

فضل اللغة العربية

«ألقيت في حفلة افتتاح الدورة السادسة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة»[١].

شَبيهانِ: الهِلالُ إذا تَهادى ... وَفِكْرٌ باتَ يَرْتادُ السَّدادا[٢]

بَناتُ الْفِكْرِ آبِدَةٌ وَلَوْلا ... عِنانُ الْقَوْلِ لَمْ تُسْلِسْ قِيادا[٣]

رَعى اللهُ الأَديبَ يَرومُ مَعْنىً ... فَيُسْعِدُهُ الْبَيانُ بِما أَرادا[٤]

أُبَجِّلُهُ وَلَوْ لَمْ يَأْوِ ظِلاًّ ... بَنى الْعَيْشُ الأَنيقُ بِهِ وَشادا

فَهاتِ السَّيْفَ يَخْطُرُ في مَضاءٍ ... وَخَلِّ الْغِمْدَ عِنْدَكَ والنِّجادا[٥]

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء السابع من المجلد الثاني عشر.

(٢) الهلال: غرة القمر حين يهلّه الناس. تهادى: مشى مشياً غير قوي متمايلاً. السداد: الرشاد، الاستقامة.

(٣) آبدة: الأمر العظيم تنفر منه وتستوحش، جمع أوابد، وأُبَّد. العِنان: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. سلس: كان منقاداً ليناً. القياد: مصدر، وهو ما يقاد به كالمقود، ويستعمل بمعنى الطاعة والإذعان.

(٤) رعى الله: حفظ الله.

(٥) مضاء: مصدر، يقال: مضى السيف مضاء؛ أي: قطع. الغمد: جفن السيف. النجاد: حمائل السيف.

وَيَنْزَعُ بي إلى الآدابِ وَجْدٌ ... إذا قُلْتُ اشْتَفى بالوَصْلِ زادا[1]
فأنسى «مَعْبَداً» و«عُرَيْبَ» دَهْراً ... ولا أَنْسى «الْبَديعَ» ولا «الْعِمادا»[2]
وأَسْلو الرَّوْضَ والوَرْقاءُ تَشْدو ... بِهِ وَالْغَيْثُ حاكَ لَهُ بِجادا[3]
ولا أَسْلو الطُّروسَ تَدورُ فيها ... رَحَى الْبَحْثِ ابْتِكاراً وَانْتِقادا
وَلَمْ أَنْضُ الْقَريحَةَ في نَسيبٍ ... وَلا عَذْلاً شَكَوْتُ وَلا بُعادا[4]
فَما أَهْوى سِوى لُغَةٍ سَقاها ... قُرَيْشٌ مِنْ بَراعَتِهِمْ شِهادا[5]

---

(١) الوجد: المحبة. اشتفى: نال الشفاء.

(٢) معبد: (... ـ ١٢٦هـ) معبد بن وهب، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، نشأ في المدينة، ورحل إلى الشام، واتصل بأمرائها.
عريب: «١٨١ ـ ٢٧٧هـ» عريب المأمونية، شاعرة ومغنية وأديبة، ولدت ببغداد، ونشأت في قصور الخلفاء العباسيين، وقربها الخليفة المأمون حتى نسبت إليه، وتوفيت بسامراء.
البديع: (٣٥٨ ـ ٣٩٨هـ) بديع الزمان أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أحد أئمة الأدب والشعر، ولد في همذان، وتوفي في هراة مسموماً، اشتهر بمقاماته، وله ديوان شعر، ورسائل مطبوعة.
العماد: (١١٢٥ ـ ١٢٠٠م) عماد الدين الكاتب، مؤرخ وكاتب كبير، ولد في أصفهان، وعاش وتوفي بدمشق. له مؤلفات مطبوعة.

(٣) الورقاء: الحمامة. الغيث: المطر. البجاد: كساء مخطط من أكيسة الأعراب يشتملون به، جمع بُجد.

(٤) أنضى: أهزل وأخلق وأبلى. القريحة: ملكة الشاعر يقتدر بها على نظم الشعر. النسيب: التشبيب بالمرأة. العذَل: الملامة.

(٥) الشهاد: جمع الشهْد، وهو العسل ما دام لم يعصر شمعه.

أَداروا مِـــنْ، سَلاسَـــتِها رَحيقـــاً ... وهَـــزُّوا مِـــنْ جَزالَتِهـــا صِـــعادا[١]
وطَوَّقَهـــا كِتـــابُ اللهِ مَجْـــداً ... وزَادَ سَـــنا بَلاغَتِهـــا اتِّقـــادا
تَصـــيدُ بِســـحْرِ مَنْطِقِهـــا قُلوبـــاً ... تُحـــاذِرُ كالجَـــآذِرِ أَنْ تُصـــادا[٢]
قَنَـــتْ حِكَمـــاً رَوائِـــعَ لَـــوْ أعـــارَتْ ... سَـــناها النَّـــارَ لَـــمْ تَلِـــدِ الرَّمـــادا[٣]
سَـــرَتْ كـــالمُزْنِ يُحْيـــي كُـــلَّ أَرْضٍ ... ويُبْهِجُهـــا وِهـــاداً أَوْ نِجـــادا[٤]
وَمـــا للَّهْجَـــةِ الْفُصْـــحى فَخـــارٌ ... إِذا لَـــمْ تَمْـــلأِ الـــدُّنْيا رَشـــادا
وراعَ حِلـــى الْفَصـــاحَةِ غَيْـــرَ عُـــرْبٍ ... فَحَثُّـــوا مِـــنْ قَـــرائِحِهِمْ جِيـــادا[٥]
تَخـــوضُ بَيانَهـــا الْفَيَّـــاضَ طَلْقـــاً ... وكانَـــتْ قَبْلَـــهُ تَـــرِدُ الثِّمـــادا[٦]
وكَم ضاهى «ابْنُ فارِس» وَهو يُوري ... زِنـــادَ الشِّـــعْرِ وائِـــلَ أو إِيَـــادا[٧]

---

(١) السلاسة: الرقة والانسجام. الرحيق: الخمر. الجزالة: الفصاحة والمتانة. الصِّعاد: واحدها الصعدة، وهي القناة المستوية.

(٢) الجآذر: جمع الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، وتشبه به الحسان لجمال عينيه.

(٣) قنت: جمعت وكسبت.

(٤) المزن: المطر أو السحاب. الوهاد: جمع الوهد: الأرض المنخفضة. النجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٥) الجياد: جمع جواد، وهو الفرس.

(٦) الفيّاض: للمبالغة في الكثرة. الثماد: الماء القليل لا مادة له.

(٧) ابن فارس: (٣٢٩ ـ ٣٩٥هـ) أحمد بن فارس القزويني، إمام في اللغة والأدب، أصله من قزوين، وتوفي بالري، قرأ عليه البديع الهمذاني، والصاحب ابن عباد، وغيرهما، له تصانيف عديدة، ومطبوعة. يوري الزند: يخرج ناره. الزناد: جمع زنْد، وهو العود الذي يقتدح به النار. وائل: قبيلة عربية، بطن من ربيعة بن نزار =

أَتاهـا الْعِلْـمُ يَرْسُـفُ فـي كَسـادٍ وخَطْـبُ الْعِلْـمِ أنْ يَلْقـى كَسـادا[١]
فَـأَلْفى مِـنْ مَعاجِمِهـا عُبابـاً غَزيـرَ النَّبْـعِ لا يَخْشـى نَفـادا[٢]
فَأَوْدَعَهـا نَفائِسَـهُ وأَضْـحى شِـعارُ الْعِلْـمِ إِعْرابـاً وضَـادا[٣]
عَـذيري مِـنْ زَمـانٍ ظَـلَّ يَجْنـي عَلـى الْفُصْـحى لِيُرْهِقَهـا فَسـادا
حَثـا فـي رَوْضِـها الزَّاهـي قَتامـاً وَأَنْبَـتَ بَـيْنَ أَزْهُرِهـا قَتـادا[٤]
وَلَـوْلا أَنَّ هـذا الـذِّكرَ يُتْلـى لَـرَدَّ بَيـاضَ غُرَّتِهـا سَـوادا[٥]
أَجالَـتْ طَرْفَهـا فـي كُـلِّ وادٍ فَلَمْ تـرَ فـي سِـوى مَصْـرٍ مَـرادا[٦]
فَتِلْـكَ مَعاهِـدُ الْعِرْفـانِ تُـدْني إِلَـيْهِمْ خَيْـرَ مـا يَبْغـونَ زادا

= من العدنانية، وأشهر فروعها: بكر، وتغلب. إياد: قبيلة عربية من معد بن عدنان.

(١) يرسف: يمشي مشي المقيد. الكساد: يقال كسد الشيء: أي لم ينفق لقلّة الرّغاب. الخطب: الشأن والأمر، صغُر أو عظُم.

(٢) ألفى: وجد. العباب: معظم السيل وارتفاعه وكثرته. النفاد: الانقطاع.

(٣) الإعراب والضاد: خص الشاعر الإعراب والضاد؛ لأن الإعراب هوميزة اللسان العربي في المركبات، والضاد ميزة اللسان العربي في المفردات.

(٤) حثا: رمى. القتام: الغبار الأسود. القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر، وفي المثل: «من دونه خرطُ القتاد».

(٥) الذكر: القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩]. الغرة: بياض في جبهة الفرس، ووجه الرجل.

(٦) الطرف: العين. المَراد: مكان رياد الإبل؛ أي: اختلافها في المرعى مقبلة مدبرة، وهو المكان الذي يُذهب فيه ويجاء.

وهـــذا مَجْمَـــعٌ يَحْمِـــي تِـــلاداً   وَيبْنِـــي طارِفـــاً يَحْكـــي الـــتِّلادا[1]
كَـــأَنَّ عُكـــاظَ عـــادَ بِهـــا اشْـــتِياقٌ   إلى الْفُصْحى فَكـانَ لَهـا مَعـادا[2]
جَـــرى مـــاءُ الحَيـــاةِ بِوَجْنَتَيْهـــا   فَهَنَّأْنـــا الْيَراعَـــةَ والمِـــدادا
وقُلْنـــا لِلْمَنـــابِرِ: ذَكِّرينـــا   عَلِيّـاً حـينَ يَخْطُـبُ أَوْ زِيـادا[3]
فَيَـا لُغَـةَ النَّبِـيِّ سَـقاكِ عهْـدٌ   مِـنَ الإِصْـلاحِ يَنْـتَظِمُ الْبِـلادا[4]
فَمـــا مِـــنْ حاجَـــةٍ لِلْعِلْـــمِ إلاَّ   يُقـيمُ لَهـا بِحِكْمَتِـهِ سِـدادا[5]
يَصـــونُ هِدايَـــةَ اللهِ اعْتِـــزازاً   بِهـــا وأَضـــاعَها قَـــوْمٌ عِنـــادا
تَـــراءى الزَّيْـــغُ يَـــنْفُضُ مِذْرَوَيْـــهِ   ويَمْسَـــحُ عَـــنْ لَوَاحِظِـــهِ رُقـــادا[6]

---

(١) التلاد: المال القديم. الطارف: المال الحديث المستحدث.

(٢) عكاظ: من أسواق العرب في الجاهلية، يقع بين نخلة والطائف، ويبعد عن مكة المكرمة ثلاثة أيام، كانت القبائل تجتمع فيه مدة عشرين يوماً في شهر ذي القعدة من كل سنة، ويتناشد الشعراء فيه ما نظموا من الشعر. المعاد: المرجع والمصير.

(٣) عليٌّ: (٢٣ق هـ ـ ٤٠هـ) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، ابن عم النبي ﷺ وصهره، وأحد الأبطال والخطباء والعلماء بالقضاء، ولد بمكة وقتل بالكوفة. زياد: (١ ـ ٥٣هـ) زياد بن أبيه، أمير من الدهاة والقادة الفاتحين، ولد في الطائف، وولاه معاوية البصرة والكوفة وسائر العراق حتى توفي.

(٤) ينتظم: يقال: انتظم اللؤلؤ: تآلف في السلك واتسق، وانتظم الأمر: استقام.

(٥) السداد: ما تسد به الحاجة.

(٦) الزيغ: الشك، والجور عن الحق. المذروان: طرفا الإليتين، واحدهما مِذرى، ويقال: جاء ينفض مذرويه؛ أي: باغياً ومهدداً.

وَمَـنْ يَصُـنِ الهُـدى مُلِئَـتْ يَـداهُ   نَجاحـاً كلَّمـا اسْـتورى زِنـادا

بكاء على مجد ضائع

«قالها في دمشق سنة ١٣٣٢هـ، حين وجد للدولة العثمانية شيئاً من الضعف، ولقنصل فرنسا أمام قناصل الدول الأوربية شيئاً من النفوذ».

بَـيْنَ الجَـوانِحِ هِمَّـةٌ   تَسْـمو إلـى أَمَـدٍ بَعيـدِ[١]
نَهَضَـتْ كمـا تَبْغـي الْعُـلا   وَالعَـزْمُ كالسَّـيْفِ الْفَريـدِ[٢]
أَدْمـى فُـؤادِيَ أَنْ أَرى الْـ   أَقْـلامَ تَرْسُـفُ فـي قُيُـودِ[٣]
وأَرى سِياسَـةَ أُمَّتـي   فـي قَبْضَـةِ الخَصْـمِ الْعَنيـدِ
فَهَجَـرْتُ قَوْمـاً كُنْـتُ فـي   أَنْظـارِهِمْ بَيْـتَ الْقَصـيدِ[٤]
وحَسِـبْتُ هـذا الشَّـرْقَ لَـمْ   يَبْـرَحْ علـى عَهْـدِ الرَّشـيدِ[٥]
يَسَـعُ الجُهـودَ إذا تَضـا   يَقَـتِ الْبِـلادُ علـى الجُهـودِ
وَيَقـولُ يَـوْمَ أَبُثُّـهُ   بَعْـضَ الأَسـى: هَـلْ مِـنْ مَزيـدِ؟

---

(١) الجوانح: واحدها جانحة: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر؛ كالضلوع مما يلي الظهر.

(٢) الفريد: الواحد والمنفرد، والسيف الفريد: أي: لا نظير له.

(٣) ترسف: تمشي مشي المقيد.

(٤) بيت القصيد: يقال: بيت القصيدة؛ أي: أنفس أبياتها، وهو مثل في النادر والغريب، وتفضيل بعض الشيء على كله.

(٥) الرشيد: هارون الرشيد، مرت ترجمته.

فَـــــإذا المَجــــــالُ كَأَنَّـــــــهُ ... مِـــنْ ضَــيقِهِ خُلُــقُ الوَليــــدِ[١]

زجاجات المصوّر

«قيلت في برلين سنة ١٣٣٥ه».

عَذَرْتُكَ إِذْ صَوَّرْتَ في نَفْسِكَ الهُـدى ... ضَـلالاً وصَـوَّرْتَ الضَّـلالَ رَشـادا
فَإِنَّ زُجاجاتِ المُصَـوِّرِ تَقْلِـبُ الْـ ... ـسَّوادَ بَياضــاً والْبَيــاضَ سَــوادا

رثاء وزير

«من قصيدة قيلت في رثاء الوزير التونسي الشيخ محمد العزيز بو عتّور سنة ١٣٢٥ه».

كُلُّ امْرِئٍ برَسولِ الْمَـوْتِ مَوْعـودُ ... وكُلُّ أُنسٍ بِـذاتِ الْبَيْنِ مَحْـدودُ[٢]
فَـأَحْزَمُ القَـومِ مَـنْ يَعْنـو لَخالِقِـهِ ... وَعَزْمُهُ بِعُرى الطّاعـاتِ مَشْـدودُ[٣]
فَلَمْ يُثَبِّطْـهُ عَـنْ فِعْـلِ التُّقـى تَـرَفٌ ... وَمُورِقٌ مِنْ خَصيبِ الْعَيْشِ أُمْلـودُ[٤]
لَيسَ المُدامَةُ في رَأْيِ الحَكيمِ سِـوى ... مَـرارَةٍ قاءَهـا فـي الـدَّنِّ عنْقـودُ[٥]
سَـيَنْجلي الْيَـوْمَ مـا لَـمْ يَـدْرِهِ فِئَـةٌ ... بِالأَمْسِ والزُّهْدُ في الأَحْياءَ مَعْهـودُ

---

(١) الوليد: المولود حين يولد، ويضرب بخلقه المثل في الضيق.

(٢) الأُنس: ضد الوحشة. ذات البين: العداوة والبغضاء.

(٣) يعنو: يخضع. عرى: جمع العروة: ما يوثق به ويعول عليه.

(٤) ثبّط: عوّق وبطّأ. مورق: الشجر ظهر ورقه. الأملود: الناعم من الغصون.

(٥) المدامة: الخمر. قاء: ألقى من فمه. الدن: الوعاء، جمع دنان.

والشَّـمْسُ لا يَقْـدِرُ الرَّائـي مَزِيَّتَهـا   إلاَّ إذا غَشِـيَـتْ أَنْوارَهـا السُّـودُ[١]

الوفاء بعهد الصّداقة

«سـأله بعض الأدباء: كيف كانت صلتكم بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تونس؟ فاجابه بهذه الأبيات».

أَحْبَبْتُـــهُ مِـــلْءَ الْفُـــؤادِ وَإِنَّمـــا   أَحْبَبْـتُ مَـنْ مَـلأَ الـوِدادُ فُـؤادَهُ

فَظَفِرْتُ مِنْـهُ بِصـاحِبٍ إنْ يَـدْرِ مـا   أَشْكوهُ جافى ما شَـكَوْتُ رُقـادَهُ[٢]

وَدَرَيْـتُ مِنْـهُ كمـا دَرى مِنِّـي فَتـىً   عَـرَفَ الوَفـاءُ نِجـادَهُ وَوِهـادَهُ[٣]

الصّداقة والعزلة

أُرِيدُ أَخاً كالماءِ يَجْـري علـى الصَّـفا   نَقِيّاً فَيَصْفو لي على الْقُرْبِ والْبُعْـدِ[٤]

وأَرْسَلْتُ لَحْظَ الْفِكْرِ في الْقَوْمِ ناقِـداً   وَأَوْصَـيْتُهُ أَلاَّ يُبـالِغَ فـي النَّقْـدِ

فَلا ضَيْرَ في وِدٍّ تَغاضَـيْتَ فيـهِ عَـنْ   لَوَاذِعَ يَأْتيهـا الصَّـديقُ بِـلا عَمْـدِ[٥]

فَعـادَ وَكَـمْ لاقـى لِسـاناً مَماذِقـاً   وَمِنْ خَلْفِهِ قَلْبٌ خَلِـيٌّ مِـنَ الـوِدِّ[٦]

---

(١) السود: الليالي.

(٢) جافى: ضد واصل وآنس.

(٣) النجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. الوهاد: جمع الوهد: الأرض المنخفضة.

(٤) الصفا: الصخرة الصلبة الملساء.

(٥) اللواذع: لواذع الكلام: ما قرص وآلم.

(٦) مماذق: غير مخلص، يقال: مذقَ الودَّ: أي: شابه بكدر، ولم يخلصه.

وَلَوْلا ارْتِيَاحي لِلنِّضالِ عَنِ الْهُـدى ... لَفَتَّشْتُ عَنْ وادٍ أعـيشُ بـهِ وَحْـدي

خلوا عداتي

«قيلت في مصر».

خَلُّـوا عِـداتي يَمْلَـؤونَ بِخَـيْلِهِمْ ... وَبِـرَجْلِهِمْ أَكَـمَ الثَّـرى وَوِهـادَهُ[1]

لا هَمَّ فـي الـدُّنْيا إذا ظَفِـرَتْ يَـدي ... بِـأَخٍ عَشِـقْتُ ذَكـاءَهُ ورَشـادَهُ

أَصْـفو لـهُ أَمَـدَ الحَيـاةِ وَإنْ رَمـى ... سَـمْعي بِقَـوْلٍ خـادِشٍ مـا اعْتـادَهُ

لَسْتُ المُقـاطِعَ إنْ جَفـا خِـلٌّ وَلَـمْ ... يَـكُ قَطْـعُ رابِطَـةِ الـوِدادِ مُـرادَهُ

الجرس

«قالها في برلين سنة ١٣٣٥ عقب زيارة المرحوم محمد فريد، وإسماعيل لبيب».

جَــرَسٌ يَصــيحُ كَحاجِــبٍ ... طَلْــقِ اللِّســانِ مُعَرْبِــدِ[2]

حينــاً يَنــوحُ كَموجَــعٍ ... مِــنْ لَطْمَــةِ المُتَعَمِّــدِ

والآنَ رَنَّ كَمِزْهَــــــرٍ ... جَسَّــتْهُ أَنْمُــلُ مَعْبَــدِ[3]

زارَ الصَّـــديقُ فَهَـــزَّهُ ... مِــنْ بَعْــدِ ضَــغْطَةٍ جَلْمَــدِ[4]

---

(١) العداة: واحده العادي وهو العدو. الأكم: جمع أكمة: التل.

(٢) المعربد، والعربيد: مؤذي نديمه في سكره، والشرير.

(٣) أنمل: جمع أنملة، وهي رأس الإصبع. معبد: نابغة الغناء العربي، وقد مرت ترجمته.

(٤) الجلمد: الرجل الشديد الصلب.

والــــودُّ يَسْــكُنُ فـــي الحَشـــا لَكِـــنْ يُحَـــسُّ مِـــنَ الْيَـــدِ

الهُدى والضّلال

كأَنَّ شُعاعَ الشَّمْسِ يَنْسابُ في الثَّرى وَيَطْوي بِساطاً مَدَّهُ اللَّيْلُ أَسْوَدا
سَنا حُجَّةٍ يَسْطو على قَلْبِ جاحِدٍ فَيأْخُذُهُ بَعْدَ الضَّلالِ إلى الهُدى

الرّياء غش

صاغَ النُّحاسَ مُذَهَّباً لِيَغُرَّ مَنْ يَبْغي حُلِيّاً مِنْ صَميمِ الْعَسْجَدِ
كأَخي هَوًى طاغٍ يُحاوِلُ سَتْرَهُ عَنَّا بِسَمْتِ النَّاسِكِ المُتَعَبِّدِ(١)

عواطف الصّداقة

«بعد هجرة الشاعر من تونس إلى دمشق سنة ١٣٣١هـ، بعث صديقه العلامة المرحوم محمد الطاهر بن عاشور، وهو قاضي القضاة بتونس، رسالة مصدرة بالأبيات المنشورة في حاشية هذه الصفحة، وقد أجابه بالقصيدة التالية».

أَيَنْعَمُ لي بالٌ وأنتَ بَعيدُ وأَسْلو بِطَيْفٍ والمَنامُ شَريدُ
إذا أَجَّجَتْ ذِكْراكَ شَوْقي أُخْضِلَتْ لَعَمْري بِدَمْعِ المُقْلَتَيْنِ خُدُودُ(٢)
بَعُدْتُ وآمادُ الحَياةِ كثيرَةٌ وَلِلأَمَدِ الأَسْمى عَلَيَّ عُهودُ(٣)

---

(١) السمت: هيئة أهل الخير. الناسك: العابد المتزهد.

(٢) أجّج: ألهب. اخضلت: ابتلت.

(٣) آماد: جمع أمد: الغاية.

نص قصيدة العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

بعدت ونفسي في لقاك تصيد فلم يغن عنها في الحنان قصيد
وخلفت ما بين الجوانح غصة لها بين أحشاء الضلوع وقود=

بَعُـدْتُ بِجُثْمـانِي وَروحـي رَهينَـةٌ لَـدَيْكَ وَلِلْـودِّ الصَّـميمِ قُيُـودُ[١]
عَرَفْتُكَ إذْ زُرْتُ الـوَزيرَ وَقَـدْ حنـا عَلَـيَّ بِإقْبـالٍ وأَنْـتَ شَـهيدُ[٢]
فَكانَ غُروبُ الشَّمْسِ فَجْرَ صَـداقَةٍ لَهـا بَـيْنَ أَحْنـاءِ الضُّـلوعِ خُلـودُ
لَقيتُ الوِدادَ الحُرَّ فـي قلـبِ ماجِـدٍ وَأَصْدَقُ مَـنْ يُصْـفي الـوِدادَ مَجيـدُ
أَلَمْ تَرِمِ في الإِصْلاحِ عَنْ قَوْسِ ناقِـدٍ دَرَى كَيْفَ يُرْعـى طـارِفٌ وَتَليـدُ[٣]
وَقُمْتَ عَلى الآدابِ تَحْمي قَـديمَها مَخافَـةَ أَنْ يَطْغـى عَلَيْـهِ جَديـدُ

= وأضحت أماني القرب منك ضئيلة ومـرّ الليـالي ضـعفها سـيزيد
أتـذكر إذ ودعتنـا صـبح ليلـة يمـوج بهـا أنـس لنـا وبـرود
وهـل كـان ذا رمـزاً لتوديـع أنسـنا وهـل بعـد هـذا البـين سـوف يعـود
ألم تر هـذا الـدهر كيـف تلاعبـت أصـابعه بالـدر وهـو نضـيد
إذا ذكـروا للـود شخصـاً محافظـاً تجلـى لنـا مـرآك وهـو بعيـد
إذا قيل من للعلـم والفكـر والتقـى ذكرتـك إيقانـاً بأنْـك فريـد
فقـل لليـالي جـددي مـن نظامنـا فحسـبك مـا قـد كـان فهـو شـديد

وكتب تحتها ما يتلو: «هذه كلمات جاشت بها النفس الآن عند إرادة الكتابة إليكم، فأبثها على علاتها، وهي وإن لم يكن لها رونق البلاغة والفصاحة، فإن الود والإخاء والوجدان النفسي يترقرق في أعماقها».

(١) الجثمان: الجسم.

(٢) الوزير: محمد العزيز بوعتور (١٢٤٠ ـ ١٣٢٥هـ) من كبار رجال السياسة والعلم في تونس. الشهيد: الحاضر والمطّلع، والبيت إشارة إلى أول لقاء بين الشاعر والعلامة ابن عاشور.

(٣) الطارف: المال الحديث المستحدث. التليد: المال القديم.

أَتَــذْكُرُ إذْ كُنّــا نبُــاكِرُ مَعْهَــداً   حُمَيَّــاهُ عِلْــمٌ والسُّــقاةُ أُســودُ(١)
أَتَــذْكُرُ إذْ كُنّــا قَــرينَيْنِ عِنْــدَما   يَحــينُ صُــدورٌ أَوْ يَحــينُ وُرودُ(٢)
فَــأَيْنَ لَيَاليـنــا وأَسْــمارُها الَّتــي   تَبُــلُّ بِهــا عِنْــدَ الظِّمــاءِ كُبــودُ
لَيَــالٍ قَضَــيْناها بِتُــونُسَ لَيْتَهــا   تَعــودُ وَجَيْشُ الْغاصِبينَ طَريــدُ(٣)

خاتم خالقي

وقائِلَــةٍ: مــا هــذِهِ الشَّــامَةُ الَّتــي   أَرى أَهِيَ الْقَرْحُ الَّذي مَــرَّ عَهْــدُهُ(٤)
فَقُلْــتُ لهــا: الشَّــيْطانُ يَــزْعُمُ أَنَّــهُ   يُــوَجِّهُني أَنَّــى تَوَجَّــهَ قَصْــدُهُ
وَمَهْما رَمى الشَّــيْطانُ سَــهْمَ غِوَايَــةٍ   يَكيــدُ عِبــادَ اللهِ أَخْفَــقَ كَيْــدُهُ
وَهذا الَّذي أَبْصَرْتِ خــاتَمُ خــالِقي   لِيَشْهَدَ لي مــا عِشْــتُ أَنِّــيَ عَبْــدُهُ(٥)

---

(١) نباكر: نأتي بكرة. المعهد: جامع الزيتونة بتونس. الحميا: شدة الغضب وأوله، يعني هنا: النشاط. ويريد بالسقاة الأسود: أساتذة المعهد، وما كان لهم من مهابة وإجلال في قلوب المتعلمين.

(٢) القرين: لدة الرجل؛ أي: الذي ولد وتربى معه. الصدور: الرجوع عن الماء. الورود: بلوغ الماء.

(٣) جيش الغاصبين: الجيش الفرنسي الذي كان يحتل تونس قبل الاستقلال.

(٤) قائلة: الضمير يعود إلى زوجة الشاعر السيدة المرحومة زينب رحيم. الشامة: علامة تخالف البدن الذي هي فيه، وأثر سواد، وهي أثر عملية جراحية أجريت للشاعر في أعلى القفا سنة ١٣٦٥هـ بالقاهرة.

(٥) خاتم: الطابع تطبع به السمة، وكذلك حَلْي للإصبع، حُفر عليه اسمه اللابس أم لا. وفي هذا البيت إشارة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾[الحجر: ٤٢].

أموت مجلِّياً

أَبْـدى الطَّبيـبُ المُسْتَشـارُ نَصيحَةً　　فوَقَفْـتُ مِنْهـا وَقْفَـةَ المُتَـرَدِّدِ
قال: احْمِ فِكْرَكَ أَنْ يَروضَ أَوابِـداً　　وَاقْنَعْ بِما يَبْـدو علـى ظَهْـرِ الْيَـدِ[١]
فـالفِكْرُ إنْ تُبْعِـدْ مَـداهُ وأَنْـتَ فـي　　هذا الضَّنى لاقَيْتَ حَتْفَكَ فـي الْغَـدِ
نَفْسي أَبَـتْ لـي أَنْ تَبيـتَ قَريحَتـي　　ويَرَاعَتـي فـي نَوْمَـةِ الْمُتَبَلِّـدِ[٢]
وَلأَنْ أَمـوتُ مُجَلِّيـاً خَيْـرٌ لَهـا　　مَنْ أَنْ أَعيشَ عَلى الفِراشِ كَمُقْعَـدِ[٣]

بين المستشفى والمسجد

«قيلت في رمضان سنة ١٣٧١هـ».

يـا نُفوسـاً رُبِّيَـتْ فـي رَشَـدِ　　لا تَغُرَّنْـكِ حَيـاةُ النَّكَـدِ[٤]
سَـطَعَ الإِيمـانُ فـي الْقَلْـبِ كَمـا　　سَـطَعَتْ بَهْجَـةُ هـذا الْعَسْـجَدِ[٥]
وإذا مـا فاتَـكِ الرُّشْـدُ فَـلا　　تَفْخَـري يَوْمـاً بِنُبْـلِ الْمَشْـهَدِ[٦]
عَثَـرَتْ بـي هِمَـمُ الـدُّنْيا كمـا　　عَثَـرَتْ بـي فَـرَسٌ فـي جَلْمَـدِ[٧]

---

(١) الأوابد: جمع الآبدة، وهي القافية الشاردة، والأمر العظيم تنفر منه وتستوحش. ويريد بما يبدو على ظهر اليد: الأفكار السطحية.

(٢) القريحة: ملكة يقتدر بها على استنباط العلم والشعر بجودة الطبع. اليراعة: القلم.

(٣) المجلِّي: السابق في الحلبة.

(٤) الرشد: الهداية. النكد: الشؤم والعسر وقلة الخير.

(٥) العسجد: الذهب، وقيل: الجوهر كله؛ كالدر والياقوت.

(٦) المشهد: محضر القوم ومجتمعه، جمع مشاهد.

(٧) الجَلمد: الصخر.

لَسْــــتُ أَدْري أَفُــؤادي عـــامِرٌ أَمْ خَلِــيٌّ مِــنْ خِصــالِ السُّــؤْدُدِ
وَأَذاقَتْنـــــي اللَّيـــــالي كَـــدَراً بَعْــدَ مــا احْلَوْلَــتْ بِعَــيْشٍ رَغِــدِ
صَــرَعَتْني غَمْــرَةٌ مــا حَــلَّ بــي مِثْلُهـــا عُسْـــراً وَطـــولَ أَمَـــدِ
خَفَقَــتْ فــي الــرَّأْسِ روحٌ فَجْــأَةً وهَــوَى فــي الأَرْضِ حُــرُّ الْجَسَــدِ
وَلِســـاني نَسِـــيَ الْقَـــوْلَ وَفـــي أَرْجُلـــي قَيْـــدٌ كَقَيْـــدِ الْمُقْعَـــدِ
فَحَســبْتُ الأَجَــلَ المَحْتــومَ لَــمْ يَتَـــأَخَّرْ وَأَتَـــى فـــي الْمَوْعِـــد
بـــادَرَ المُسْـــعِفُ يُزْجـــي مَرْكَبـــاً مَــدَّ جِسْــمي فيــهِ مَــدَّ المُلْحَــدِ[1]
رامَ بـــي الْقَصْـــرَ وأَلْقـــى فِتْيَـــةً وَرَدوا فــي الطِّــبِّ أَصْــفى مَــوْرِدِ[2]
نَقَـــروا الصَّـــدْرَ وجَسُّـــوا مَنْبَضـــاً وَانْقِــراضُ الْعُمْــرِ يُــدْرى باليَــدِ[3]
وَاسْـــتَبانوا أَنَّ رَبَّ الْعَـــرْشِ قَـــدْ كَتَـــبَ الْمَحْيَـــا بِنـــابِ الأَسَـــدِ[4]
عُـــدْتُ لِلـــدَّارِ الَّتـــي فارَقْتُهـــا فــي مَســاءِ الأَمْــسِ مِــنْ صُــبْحِ غَــدِ
وَتَـــوَلاَّني أُســـاةٌ هـــا أَنـــا ذا أُلاقـــي يَـــوْمَهُمْ فـــي أَسْـــعَدِ[5]
وَصَـــفوا الـــدَّاءَ وَقـــالوا: طِبُّـــهُ مَطْعَـــمٌ مُـــرٌّ وَوَخْـــزُ الْعَضُـــدِ

---

(١) المسعف: الممرّض. يزجى: يدفع. المركب: طاولة ذات عجلات يوضع عليها المريض. المُلْحَد: القبر.

(٢) رام: أراد. القصر: مستشفى القصر العيني في القاهرة.

(٣) المنبض: منبض القلب حيث تراه ينبض. الانقراض: الهلاك.

(٤) المحيا: الحياة، قال تعالى: ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾[الجاثية: ٢١].

(٥) الأساة: جمع الآسي، وهو الطبيب.

كَـمْ طَبيـبٍ أَمَّـهُ المَرْضـى فَعـا دوا بِلَيْـلٍ مِثْـلِ لَيْـلِ الأَرْمَـدِ(١)
لَيْتَـهُ يَفْقَـهُ سِـرّاً مُودَعـاً في جَنـى النَّحْـلِ وَريـقِ الأَسْـوَدِ(٢)
وَإذا المَـرْءُ اشْـتَفى مِـنْ عِلَّـةٍ فَبِـفَضْلِ الأَزَلِـيِّ الصَّـمَدِ
قَـوَّمَ الجِسْـمَ بِمُسْتَشْـفىً كمـا قُوِّمَـتْ أَفْكـارُهُ بالمَسْـجِدِ

ما رقمت يدي

غَلا فـي امْتِـداحي مُلْهَـجٌ بِمَحَبَّتـي وأَسْرَفَ في ذَمِّي المُصِرُّ على حِقْدِ(٣)
يَـدُسُّ أَخـو الحِقْـدِ المَزايـا وَرُبَّمـا طَلاها بأَصْباغِ الذُّنوبِ عَلـى عَمْـدِ
وَلِلْحِبِّ عَيْنٌ أَبْتَني الْبَيْتَ مِنْ حَصـىً فَتُبْصِرُهُ دُرّاً على الْقُـرْبِ والبُعْـدِ(٤)
رُوَيْدَكَ زِنْ بِالْقِسْطِ ما رَقَمَتْ يَـدي عَلى وَرَقٍ تَخْبُرْ حَقيقَةَ ما عِنْـدي(٥)

سائل في زورق

عَهِدْتُ الذي يَسْعى عَلَى مَتْنِ زَوْرَقٍ إلى الرِّزْقِ يُدْلي نَحْوَه شَرَكَ الصَّيْدِ(٦)

---

(١) أَمَّ: قصد. الأرمد: ما كان على لون الرماد.

(٢) جنى النحل: العسل. الأسود: العظيم من الحيات وفيه سواد، جمع أساود.

(٣) غلا: تصلّب وشدَّد حتى جاوز الحد. ملهج: يقال أُلْهِج بالشيء: أي: أولع به، ولزمه.

(٤) الحِبّ: المحب.

(٥) رقمت: كتبت. تخبر: تعلم.

(٦) قال البيتين عندما وقع بصره على زورق يطوف به على جوانب السفينة التي أقلته من تونس إلى الإسكندرية سائل مقعد. انظر: كتاب «الرحلات» للإمام.

وَذَا قانِصٌ في اليَمِّ يَرْمي إلى العُـلا   حُبالَــةَ أَقْــوالٍ فَتَظْفَــرُ بِالقَصْــدِ

حسن العهد

«بعث إليه صديقه الأديب الشيخ علي النيفر من تونس بالقصيدة المنشورة في الحاشية، وقد أجابه عليها بهذه الأبيات».

رَعى اللهُ حُسْـنَ الْعَهْـدِ هَـزَّ قَريحَـةً   فَأَلْقَتْ عَلَينا مِـنْ حَلاهـا فَرائِـدا[1]

وَما الْكَلِمُ الْفُصْحى سِـوى دُرَرٍ إذا   تَلاقَتْ على الْقِرْطاسِ صـارَتْ قَلائِـدا[2]

---

(١) رعى: حفظ. الحلي: ما يزين به من مصنوع المعدنيات أو الحجارة الكريمة. الفرائد: جمع الفريدة: الجوهرة النفيسة.

(٢) الكلم: جمع الكلمة. القرطاس: الصحيفة التي يكتب فيها. القلائد: جمع القلادة: ما جعل في العنق من الحلي. وقلائد الشعر: البواقي على الدهر؛ أي: التي لا تزال محفوظة لا تنسى لنفاستها.

* نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثالث من المجلد الثاني والعشرين.

نص قصيدة الأستاذ علي النيفر:

أزج القـــوافي شـــرّداً وأوابـــدا   لحمـى يعـج مكارمـاً ومحامـدا

وانـــخْ كرائمهـــا لديـــه فســـاحُه   ترعـى القصـيد ولا تـرد القاصـدا

غيـلُ الأعـارب ملتقـى أبطـالهم   وربيـع مُسـنتهم وحسـبك رافـدا

حيث الرضا الخضر الحسين تخال ما   يبديـــه مـــن غـــرر البيـــان قلائـــدا

حيث ابتنى في مصر للخضـراء مـن   عرفانـــه علمـــاً يغـــيظ الحاســـدا

أعلـى منـاراً «للهدايـة» فـي مغـا   نيهـا فعـاد بـه المغفـل راشـدا

وبـه «لـوا الإسـلام» يخفـق عاليـاً   فأظـــل ممـــروراً وأدفـــاً صـــاردا

قـد أذكرانـا منـه صـرح «سـعادة»   عظمى بتـونس كـان أعلـى شـائدا =

وَرُبَّ قَصيدٍ هاجَ ذِكْرى تُثيرُ مِنْ ... تَباريحِ شَوْقٍ ما يُذيبُ الجَلامِدا[١]
قَصيدٌ بدا مِنْ أُفْقِ أَرضٍ نَشَأْتُ في ... مِهادِ رُباها لا عَدِمْتُ الْقَصائِدا[٢]
أَبا الحَسَنِ اسْتَسْمَنْتَ ذا وَرَمٍ أَما ... تَرى عَزْمَهُ بَيْنَ الجَوانِحِ خامِدا[٣]

= و«الأزهر» المعمور حبَّر سفره ... حقباً وأطلع في سماه فراقدا
ولكم به قد بثَّ علماً نافعاً ... نقع الغليل لمن أتاه واردا
يحكي الذي أحيا به «زيتونة» الـ ... ـعرفان في علم أضاء معاهدا
و«المجمع اللغوي» في مصر غدا ... فيه لما يعلي العروبة ماهدا
ويحسبه أن راح يرأس «جبهة» ... لدفاع من ناوى المغارب صامدا
ما زال يرأسها بعزمة أيِّدٍ ... في صحبة الأبرار يدأب ذائدا
سبحان من أولاك علماً واسعاً ... وتقىً وخلقاً مثل خيمك ماجدا
يا فخر تونس يا ميمم من نأى ... عنها بمصر مهاجراً أو واردا
يا أنس مغترب وموئل لاجئ ... وكفى بما شهد البرية شاهدا
أهدي لكم مني تحية شائق ... لكريم خلقكم الهنيّ مواردا
ما زلت أذكرها بمصر مجالساً ... لكمُ علينا قد نثرن فرائدا
أبقاك من رقاك أرفع رتبة ... وحباك في كل الأمور مراشدا
وبقيت من كل الخطوب مسلَّماً ... لجميع ما ترجو وتأمل واجدا

تونس ٢٧ ذو القعدة ١٣٦٨هـ

(١) الجلامد: جمع الجلمد، والجلمود: الصخر.

(٢) الأرض: يريد بها: تونس حيث ولد الشاعر. المهاد: الفراش والأرض.

(٣) أبا الحسن: الشيخ علي النيفر. من كبار أدباء تونس وعلمائها، ولد سنة ١٣١٨هـ. وشب في وسط آل النيفر العلمي.

وَلا خَيْـرَ فـيمَن عـادَ صـارِمُ عَزْمِـهِ كَهاماً ويَرْضى أَنْ يُسَمَّى المُجاهِدا[١]
وأَطْرَيْـتَ ظمْـآنَ اسْـتَبانَ لِداتُـهُ مَـوارِدَ عِرْفـانٍ وَضَـلَّ المَـوارِدا[٢]
نَظَـرْتَ بِعَـيْنِ الـوِدِّ سـيرَتَهُ فَمـا دَرَيْتَ الَّذي تَدْريهِ لَـوْ جِئْتَ ناقِـدا
حَمِدْنا سُـراكُمْ يَـوْمَ وافَيْـتَ قادِمـاً عَلى الطَّائِرِ المَيْمونِ لِلْحَجِّ قاصِـدا[٣]
طَلَعْـتَ عَلَيْنـا وَاشْـتياقي لِتـونُسٍ يُقَلِّـبُ جَمْـراً بَـيْنَ جَنْبَـيَّ واقِـدا
فَأَهْدَيْتَ طاقاتٍ مِنَ الأُنْـسِ طالَمـا بَكَرْتُ لَها بَـيْنَ الخَمائـلِ ناشِـدا[٤]
لَقيتُ بِلُقْياكَ الأَريبَ الَّـذي حَكـى بسـيرَتِهِ الحَسْـناءِ جَـدّاً وَوالِـدا[٥]
ذَكَرْتُهُمـا عِنْـدَ اللِّقـاءِ، وَإِنَّمـا ذَكَـرْتُ عُلومـاً جَمَّـةً ومَحامِـدا
وَلَمْ أَنْسَ أَنْ كـانَ المُـوَقَّرُ جَـدُّكُمْ غَداةَ امْتِحاني مُسْتَشاراً وَشـاهِدا[٦]
فَنَــوَّهَ بـي عَطْفـاً وَتَنْويـهُ مِثْلِـهِ يُـرَوِّجُ ذِكْـراً مِثْـلَ ذِكْـرِيَ كاسِـدا

---

(١) كَهام: كليل، يقال كَهِم السيف: كلَّ.

(٢) أطريت: بالغت في المدح. لِدات: جمع لِدَة: وهو الذي ولد معك وتربى.

(٣) السُّرى: سير عامة الليل. الطائر الميمون: يقال «سر على الطائر الميمون»: دعاء للمسافر، ويقال: «هو ميمون الطائر»؛ أي: مبارك الطلعة.

(٤) الطاقات: جمع الطاقة، وهي القدرة على الشيء. بكر: أتى بُكرة. الخمائل: جمع خميلة: الموضع الكثير الشجر.

(٥) الأريب: العاقل، والماهر، والبصير.

(٦) هو المرحوم العلامة الشيخ محمد الطيب النيفر القاضي المالكي في تونس لذلك العهد.

بِعَيْشِكَ حَدِّثْني عَنِ الْمَعْهَدِ الَّذي قَضَيْتُ بِهِ عَهْدَ الشَّبيبَةِ رائِدا(1)
حَظيتُ بأَشْياخٍ مَلأْتُ الْفُؤادَ مِنْ تَجِلَّتِهِمْ لمَّا خَبِرْتُ الأَماجِدا
بَيانُ أَديبٍ يَقْلِبُ اللَّيْلَ ضَحْوَةً وفِكْرَةُ نِحْريرٍ تَصيدُ الأَوابِدا(2)
فَلَمْ يُرِنِي أَدْرى وأَنْبَلَ مِنْهُمُ رَحيلٌ طَوى بي أَبحُراً وَفَدافِدا(3)
وَيَأْبى قَريضي وَهْوَ ضَيْفُ حِماكَ أَنْ يَمُرَّ بِمَرْسَى المَهْدَوِيِّ مُحايِدا(4)
فَلي في نَقاها جيرَةٌ كُنْتُ أَقْتَني طَرائِفَ مِنْ إيناسِهِمْ وَتَلائِدا(5)
فَدَعْهُ يُحَيِّيهِمْ حِفاظاً لِعَهْدِهِمْ ويَأْوي إلى مَغْناكَ في الطِّرْسِ عائِدا(6)

القاهرة في محرم ١٣٦٩هـ

أنباء تونس

«قالها عندما زاره أديب قادماً من تونس».

أَمُحَدِّثي رُبِّيتَ في الوَطَنِ الَّذي رُبِّيتُ تَحْتَ سَمائِهِ وَبَلَغْتُ رُشْدا

---

(١) المعهد: جامع الزيتونة بتونس. الرائد: الرسول الذي يرسله القوم ينظر لهم مكاناً ينزلون فيه.

(٢) النحرير: الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن، البصير بكل شيء؛ لأنه ينحر العلم نحراً. الأوابد: جمع الآبدة، وهي القافية الشاردة.

(٣) الفدافد: جمع فدفد، وهي الفلاة.

(٤) مرسى المهدوي: بلدة في ضاحية تونس.

(٥) النقا: القطعة من الرمل. الجيرة: يعني بهم: صديقه العلامة المرحوم محمد الطاهر بن عاشور.

(٦) المغنى: المنزل. الطرس: الصحيفة.

وَجَنَيْتَ زَهْرَ ثَقافَةٍ مِنْ رَوْضَةٍ ... كُنْتُ اجْتَنَيْتُ بَنَفْسَجاً مِنْها وَوَرْدا[1]
هاتِ الحَديثَ فَإِنَّني أَصْبو إِلى ... أَنْباءِ تُونُسَ مِنْ صَميمِ القَلْبِ جِدًّا

المعارف والصّنائع[2]

أَيُعاتِبُ الزَّمَنُ الَّذي لا يُسْعِدُ ... وَبَنُوهُ في مَهْدِ البَطالَةِ هُجَّدُ[3]
مَهْلاً فَما هُوَ بالمَلومِ وَمَنْ رَمى ... سَهْمَ المَلامَةِ نَحْوَهُ فَمُفَنَّدُ[4]
لَوْ أَفْرَغوا في وُسْعِهِ ما جَلَّ مِنْ ... عَمَلٍ لأَغْدَقَ فيهِ عَيْشٌ أَرْغَدُ[5]
أَرَأَيْتَ كَيْفَ شَدَتْ بَلابِلُ سَعْدِهِ ... وَزَهَتْ بِبَهْجَتِها غُصونٌ مُيَّدُ[6]
إِذْ أَنْفَقَ الأَسْلافُ في سُبُلِ العُلا ... أَقْصى الجُهودِ وَلَمْ يَفُتْهُمْ مَقْصَدُ[7]
كُنَّا بَني الإِسْلامِ أَصْدَقَ لَهْجَةً ... وَأَصَحَّ عَهْداً بالوَفاءِ يُؤَكَّدُ

---

(١) الروضة: جامع الزيتونة بتونس.

(٢) نشرت في العدد الحادي عشر من مجلة «السعادة العظمى» التي كان يصدرها الشاعر في تونس، وقد صدر العدد الأول منها في ١٦ محرم سنة ١٣٢٢هـ، حتى أغلقها المستعمر الفرنسي بعد صدور العدد الحادي والعشرين منها. وهي أول مجلة في بابها صدرت في تونس.

(٣) هجّد: جمع هاجد، وهو النائم.

(٤) الملامة: العذل. مفنّد: يقال فنّده: أي: خطّأ رأيه وضعّفه.

(٥) الوسع: الطاقة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]. أغدق: اتسع. أرغد: خصب.

(٦) ميّد: مائلة.

(٧) الأسلاف: جمع سلف، وهو كل من تقدمك من آبائك وقرابتك.

عَقَـدَ التَّـواخي فـي الدِّيانَـةِ بَيْنَنـا ... نَسَـباً، قَرابَتُـهُ أَشَـدُّ وَأَفْيَـدُ
مـا سـامَ ذو رَأيٍ سَـديدٍ مَطْلبـاً ... إلاَّ غَـدا بيَـدِ الْمَعونَـةِ يُعْضَـدُ[1]
وَلَنـا نُفـوسٌ لَـمْ تُـنَطْ آمالُهـا ... إلاَّ بِمـا هُـو فـي المَعـالي أَمْجَـدُ
تُنْضـي عَـزائِمَ كالسُّـيوفِ صَـرامَةً ... لَكِـنْ لِـوَفْرِ طِعانِهـا لا تُغْمَـدُ[2]
كُنَّـا بُـدورَ هِدايَـةٍ مـا مِـنْ سَنىً ... إلاَّ وَمِـنْ أَنْوارِهـا يَسْـتَوقِدُ
وإذا تَكامَـلَ وَاسْـتوى بَـدْرٌ بَـدا ... فـي أُفْـقِ طَلْعَتِـهِ السَّـنِيَّةِ فَرْقَـدُ[3]
كُنَّـا بُحـورَ مَعـارِفٍ مـا مِـنْ حِلًى ... إلاَّ وَمِـنْ أَغْوارِهـا يُتَصَـيَّدُ
مـا صَرْصَـرَتْ أَقْلامُنـا فـي مُهْـرَقٍ ... إلاَّ رَأَيْـتَ الـدُّرَّ فيـهِ يُنَضَّـدُ[4]
مِـنْ كُـلِّ مَعْنًـى يَبْهَـرُ الأَلْبـابَ أَوْ ... نَسْـجٍ يَقـومُ لَـهُ الْبَليـغُ وَيَقْعُـدُ
ويَقـومُ فينـا لِلْخِطابَـةِ مِصْـقَعٌ ... فَتَـرى بَنـاتَ الْفِكْـرِ كَيْـفَ تُوَلَّـدُ[5]
كُنَّـا جَـلاءً للصُّـدورِ مِـنَ الْقَـذى ... وَلِواؤُنـا بِيَـدِ السَّـعادَةِ يُعْقَـدُ[6]
مـا صـافَحَتْ راحاتُنـا دَوْحـاً ذَوى ... إلاَّ وَأَيْنَـعَ مِنْـهُ غُصْـنٌ أَغْيَـدُ[7]

---

(١) يعضد: ينصر ويعان.

(٢) تنضي: تسل.

(٣) السنية: الرفيعة. فرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به.

(٤) صرصرت: صاحت. المهرق: الصحيفة.

(٥) المصقع: البليغ ومن لا يرتج عليه في كلامه.

(٦) القذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها.

(٧) الدوح: جمع دوحة، وهي الشجرة العظيمة. أغيد: الناعم المتثنّي.

وَمَنِ احْتَمى بِطِرافِنا السَّامي الـذُّرا   آوى إلى الحَرَمِ الَّـذي لا يُضْـهَدُ[١]
لا يَمْتَـري أَهْـلُ التَّمَـدُّنِ أَنَّهُـمْ   لَـوْ لَـمْ يَسيرُوا إِثْرَنا لَـمْ يَصْعَدُوا
فَسَلوا مَتـى شِـئْتُمْ سَـراتَهُمُ فَما   مِـنْ أُمَّـةٍ إلاَّ لَنـا فيهـا يَـدُ[٢]
لا فَخْـرَ فـي الـدُّنيا بِغَيْـرِ مَجـادَةٍ   تَعْنو لَها الأُمَـمُ الْعِظـامُ وتَسْجُدُ[٣]
لَكِنَّنـا لَـمْ نَـرْعَ فيهـا حُرْمَـةً   بِـذِمامِها مِنَّـا الرِّقـابُ تُقَلَّـدُ[٤]
أَخَذَتْ مَطِيَّاتُ الهَـوى تَحْـدو بِنا   فـي كُـلِّ لاغِيَـةٍ كَسَـاعَةَ نُوْلَـدُ[٥]
حَتَّى انْزَوى مِنْ ظِلِّها المَمْـدودِ مـا   فِيـهِ مُقـامٌ يُسْـتَطابُ ومَقْعَـدُ
أَبْناءَ هـذا العَصْـرِ هَـلْ مِـنْ نَهْضَـةٍ   تَشْـفي غَلـيلاً حَـرُّهُ يَتَصَـعَّدُ[٦]
هـذي الصَّـنائِعُ ذُلِّلَـتْ أَدواتُهـا   وَسَـبيلُها لِلْعـالَمينَ مُمَهَّـدُ
وَكَـذاكَ بَـذْرُ العِلْـمِ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ   وَدَنـا جَناهُ فَمـا لَنـا لا نَحْصُـدُ[٧]
بِهِما جَرى الْقَوْمُ الَّذينَ اسْتُضْـعِفوا   مِنْ قَبْلُ شَوْطاً فـي التَّقَـدُّمِ يَبْعَـدُ[٨]

---

(١) الطراف: بيت من أدم. الحرم: ما يحميه الرجل ويقاتل عنه، وما لا يحل انتهاكه.
يضهد: يقهر.
(٢) السراة: جمع السري، وهو السيد الشريف السخي.
(٣) مجادة: مصدر مجد؛ أي: كان ذا مجد، وهو العز والشرف. تعنو: تخضع وتذل.
(٤) الذمام: الحق.
(٥) المطية: الدابة تمطو في سيرها. اللاغية: اللغو.
(٦) الغليل: العطش، وقيل: شدته.
(٧) الشَّطْأُ: فراخ النخل والزرع، وقيل: ورقة. الجنى: ما يجنى من الشجر.
(٨) الشوط: الغاية، أو الجري مرة إلى الغاية.

أَفَلا نَسيرُ مَسيرَ ذي رُشْدٍ إلى ... آثارِ ما قَدْ أَسَّسوهُ وشَيَّدوا
فَلَطالما حَوَتِ الغَنائِمَ جَوْلَةٌ ... مِنْ رائِدِ النَّظَرِ الَّذي لا يَخْمُدُ[١]
إنَّ المَعارِفَ والصَّنائِعَ عُدَّةٌ ... بابُ التَّرَقِّي مِنْ سِواها مُوصَدُ

فلسطين

«كان أحد الأدباء بتونس بعث ببيتين إلى الشاعر مقترحاً تشطيرهما، فأجاب اقتراحه، وهذان البيتان مع التشطير».

«وَخَبِّرْهُمْ وأَنْتَ بِهِمْ خَبيرٌ» ... بِما فَعَلَتْهُ جالِيَةُ الْيَهودِ[٢]
وَذَكِّرْ آلَ يَعْرُبَ أَيْنَ كانوا ... «بِأَنَّ الذُّلَّ شِنْشِنَةُ الْعَبيدِ»[٣]
«وأَنَّ نُفوسَ هذا الخَلْقِ تَأْبى» ... حَياةً تَحْتَ سَيْطَرَةِ المَسودِ[٤]
وإنْ خَضَعَتْ لَها فَقَدِ اسْتَحَلَّتْ ... «لِغَيْرِ إِلهِها ذُلَّ السُّجودِ»

الحياة الاجتماعية

لَيْسَ الحَياةُ نَماءَ الجِسْمِ في أَمَدِ ... ولا الحِمامُ تَواري الجِسْمِ بالنَّفَدِ[٥]
إنَّ الحَياةَ هِيَ الأَيّام زاهِرَةٌ ... وَلَيسَ بالمَوْتِ غَيْرُ الْعَيْشِ في نَكَدِ
ولا يَطيبُ الْفَتى عَيْشاً إذا نَسَجَتْ ... في أَرْضِهِ مُزْنَةٌ والنَّاسُ في جَرَدِ[٦]

---

(١) الرائد: اسم فاعل: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه.

(٢) الجالية: الجماعة جلت عن أوطانها ومنازلها.

(٣) الشنشنة: الخلق، أو الطبيعة، أو العادة.

(٤) المسود: ضد السيد.

(٥) الأمد: الغاية، المنتهى: الحِمام: قضاء الموت وقدره. النفد: الفناء والذهاب.

(٦) المزنة: القطعة من السحاب. الجرد: الفضاء لا نبات فيه.

وإنمـــا الشَّـــعْبُ أَفْـــرادٌ مُؤَلَّفَـــةٌ   في هَيْئَةِ الفَرْدِ ذو قَلْـبٍ وذو جَسَـدِ
أَمّـا الْفُـؤادُ فأَرْبـابُ السِّياسَـةِ إنْ   هَمُّوا بِخَيْرٍ فباقي الجِسْمِ في رَشَـدِ
وإنْ ذَكَـتْ أُمَّـةٌ لانَـتْ قِلادَتُهـا   بِكَفِّ قائِدِها في السَّـهْلِ والسَّـنَدِ[1]
والْعِزُّ في الدَّوْلَةِ العُظْمى إذا بُنِيَتْ   عَلـى أَسـاسٍ مِـنَ الأَحْكـامِ مُطَّـرِدِ
ولا عَواطِـفَ إلاَّ أنْ تُسَـوِّيَ فـي   إِجْرائِهـا نـازِحَ الأَوْطـانِ بِالوَلَـدِ
تَحْمي حُقوقَ بَنـي الإنسـانِ قاطِبَـةً   لا يَعْتَـدي أَحَـدٌ مِـنْهُمْ علـى أَحَـدِ
والْعَدْلُ أَنْ يَلِجوا فَصْلَ الخُصومَةِ مِـنْ   بابِ المُساواةِ لا إيثـارِ ذي حَفَـدِ[2]
وكيـفَ يَـرْجَحُ أَقْـوامٌ وَوَزْنُهُـمُ   فيمـا يُحَـدُّ بـه الإنسـانُ لَـمْ يَـزِدِ
إِنَّ الرَّعِيَّـةَ أَعْضـاءٌ مُسـاعِدَةٌ   لِلْمُلْكِ بالرَّأْيِ والأَمْـوالِ والحَشَـدِ[3]
تِلْـكَ الْعَظـائِمُ لا تَشْـتَدُّ أَزْمَتُهـا   وَطْئـاً إذا ضَـرَبوا فيهـا يَـداً بِيَـدِ[4]
كَـذا المَشـاكِلُ لا تَجْلـو غَوامِضَـها   إلاَّ بِمَجْلِسِ شُـورى راسِـخِ الْعُمُـدِ
فَمِـنْ تَصـادُمِ أَفْكـارِ الرِّجـالِ يُـرَى   بَرْقُ الحَقيقَةِ وَضَّاحاً لِذي رَصَـدِ[5]

---

(١) القِلادة: ما جعل في العنق من حلـي. السـند: ما قابلك من الجبـل وعـلا عن السطح.

(٢) الحفد: جمع حافد، وهو ولد الولد.

(٣) الحشد: الجماعة، وتجمع على حشود.

(٤) العظائم: جمع عظيمة، وهي الكبيرة والنازلة الشديدة. الأزمة: الشدة والقحط، والسنة الشديدة. وطئاً: مصدر وطئ : داس بقدمه.

(٥) الرصد: القوم يرصدون؛ كالحرس والخدم.

وَنَفْثَـةُ الْقَلَـمِ الرَّاقـي لَهـا أَثَـرٌ   أَشَدُّ مِنْ أَثَـرِ النَّفَّـاثِ فـي الْعُقَـدِ(1)
والْقَابِضـونَ علـى أَمْـرِ السِّياسَـةِ لا   يَسُرُّهُـمْ أَنْ تُرى الأَقْلامُ فـي صَـفَدِ(2)
يَسْمو بِهِمْ شَرَفُ الوِجْدانِ أَنْ يَضَعوا   نِظـامَهُمْ بِمكـانِ الْعِيـرِ والوَتِـدِ(3)
يَسـوءُهُمْ أَنْ يَرَونـا نـائِمينَ عَلـى   صِماخِ آذانِنا فـي صـورَةِ الجَمَـدِ(4)
لا نَسْتَميتُ على أرضِ الخُمـولِ ولا   نَرْمي بِسَهْمٍ مِنَ الأَقْـوالِ ذي أَوَدِ(5)
ولا يَطيشُ بِنا داعي الشَّـجاعَةِ عَـنْ   رَسْمِ اعْتِـدالِ فَـإِنَّ الحـقَّ ذو جَلَـدِ

❐ ❐ ❐

---

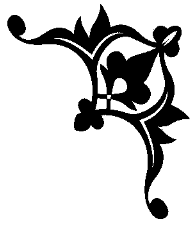
(١) النفثة: ما يخرج من القلم. النفّاث: السحّار، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[الفلق: ٤]؛ أي: من شر السواحر من النساء يعقدن عقداً من الخيوط، وينفثن عليها، أو: من شر النفوس.

(٢) الصفد: الوثاق.

(٣) العير: القافلة. الوتد: مارزٌ في الأرض أو الحائط.

(٤) الصماخ: خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس. الجمد: الثلج، الماء الجامد.

(٥) الأود: الاعوجاج.

قافية الذال

صيانة النفس عن الملق

«قالها في مصر سنة ١٣٦٤هـ».

قـالوا: رَكِبْـتَ بالانْقِبـاضِ مِطيَّـةً   أَقْصَتْكَ عَنْ عَيْشِ الثَّـرِيِّ لمـاذا؟[١]
قُلْتُ: انقِباضي أَنْ أَصونَ النَّفْسَ عَـنْ   مَلَـقٍ يُعـاقِرُهُ الطَّغـامُ لِـواذا[٢]
إِنْ يَنْتَجِـعْ فِئَـةٌ بـهِ وَبْـلاً فَخُـذْ   إِخْـذَ الْكِـرامِ وَلَـوْ نَجَعْـتَ رَذاذا[٣]
ومِنَ السَّلامَةِ أَنْ أَصونَ الْوَجْهَ عَـنْ   مَلَـقِ الَّـذي اتَّخَـذَ النِّفـاقَ مَـلاذا[٤]

❐ ❐ ❐

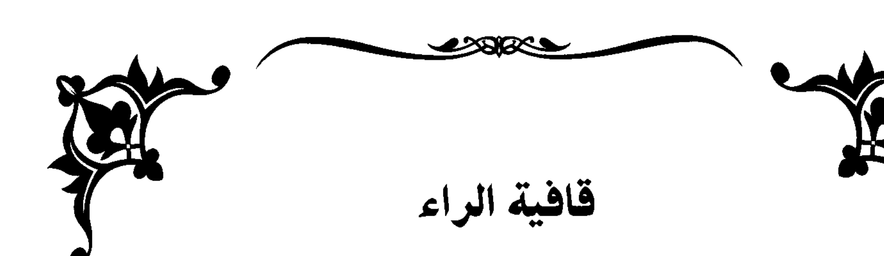
---

(١) المطية: الدابة تمطو في سيرها. الثري: الكثير المال.

(٢) الملق: اللطف الشديد. عاقر: لازم. الطغام: أوغاد الناس. لواذاً: لاذ به لواذاً: استتر به واحتصن والتجأ.

(٣) ينتجع: يطلب. الوبل: المطر الشديد. الرذاذ: المطر الضعيف.

(٤) الملاذ: الحصن والملجأ.



قافية الراء

حياة اللغةالعربية

«قيلت في تونس سنة ١٣٢٦هـ».

بَصَـري يَسْـبَحُ فـي وادي النَّظَـرْ　　يَتَقَصَّـــى أثَـــراً بَعْـــدَ أَثَـــرْ(١)
وَسَــبيلُ الرُّشْـــدِ مَمْهــودٌ لِمَـــنْ　　يَتَحامَى الْغُمْضَ ما اسْـطاعَ السَّـهَرْ(٢)
إنَّمـــا الْكَـــونُ سِـجِلٌّ رُسِـــمَتْ　　فيـــهِ للأَفْكـــارِ آيٌ وَعِبَـــرْ(٣)
وإذا أَرْخـــى الـــدُّجى أَسْـــتارَهُ　　ظَفِـرَ السَّــمْعُ بِمــا فــاتَ البَصَــرْ
لَسْــتُ أَنْسـى جُـنْحَ لَيْـلٍ خَفَقَـتْ　　فيــهِ بِالأَحْشــاءِ أَنْفــاسُ الضَّــجَرْ
قُمْـــتُ أَسْـــعى لِتَقاضِـــي سَـلْوَةٍ　　وَمَطايــا السَّــعْيِ مِرْقــاةُ الــوَطَرْ(٤)
لَـجَّ بـي التَّسْـهيدُ حتّـى أَوْشَـكَتْ　　غُـرَّةُ الإصْـباحِ أَنْ تَغْشـى السَّـحَرْ
حَبَّــذا ريــحُ الصَّــبا ريحــاً جَـرَتْ　　بِحَسـيسٍ مِـنْ أحاديـثِ السَّـمَرْ(٥)

---

(١) تقصى: بالغ في البحث.

(٢) الغُمض، والغِماض: النوم. اسطاع: استطاع.

(٣) آي: جمع آية، وهي العلامة.

(٤) المرقاة: الدرجة. الوطر: الحاجة.

(٥) الصّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. الحسيس: الصوت الخفي، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[الأنبياء: ١٠٢].

فَحَــدَتْ بــي نَحْــوَ نــادٍ نَشَــبوا　　فــي لِحــاءٍ ولَجـاجٍ مُنْتَشِــرْ[1]

وإذا الخَصْــمانِ لَــمْ يَهْتَــدِيَا　　سُــنَّةَ الْبَحْـثِ عَـنِ الحـقِّ غَبَـرْ[2]

هــذِهِ طائِفَــةٌ تَشْــدو بِمــا　　في لِسانِ الْعُـرْبِ مِـنْ فَضْـلٍ ظَهَـرْ

وَجَفَتْــهُ فِئَــةٌ فاهْتَضَــمُوا　　حَقَّــهُ والجَهْـلُ مَـدْعاةُ الهَـذَرْ[3]

وتَراضَــوْا بَعْــدَ ذا أَنْ نَصَــبوا　　حَكَمــاً بَيْــنَهُمْ فيمــا شَــجَرْ[4]

أَبْــدَعَ الْقَــوْلَ وَقَــدْ أَسْــعَدَهُ　　لَهْجَــةٌ فُصْـحى وَجَـأْشٌ مُسْـتَقِرّ[5]

لُغَــةٌ أُودِعَ فــي أَصْــدافِها　　مِــنْ قَــوانينِ الْهُـدى أَبْهـى دُرَرْ

أَفَلَــمْ يَنْسُــجْ عَلــى مِنْوالِهــا　　كَلِـمُ التَّنْزيـلِ فـي أَسْمى سُـوَرْ[6]

لُغَــةٌ تَقْطِــفُ مِــنْ أَغْصــانِها　　زَهْــرَ آدابٍ وأَخْــلاقٍ غُــرَرْ

هِــيَ بَحْــرٌ غُـصْ على حِلْيَتِهـا　　فَلآلــي الْبَحْـرِ لَيْسَــتْ تَنْحَصِـرْ

ضَــرَبَتْ فــي كُــلِّ فَــنٍّ ســاحِرٍ　　مِنْ فُنـونِ الْقَـوْلِ بالسَّـهْمِ الأَغَـرْ[7]

أَفَمــا أَحْسَسْــتَ فــي أَجْراسِــها　　رِقَّــةً تُــذْهِلُ عَــنْ نَغْـمِ الــوَتَرْ

---

(١) نشب: علق. اللِّحاء: النزاع. اللجاج: التمادي في العناد.

(٢) سنّة البحث: طريقته. غبر: ذهب.

(٣) الهذر: سقط الكلام الذي لا يُعبأ به.

(٤) الحكم: الحاكم ومنفذ الحكم. شجر بينهم الأمر: تنازعوا فيه.

(٥) الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع.

(٦) المنوال: النسق والأسلوب. كلم التنزيل: كلام القرآن.

(٧) الأغر: الحسن.

وَرَقيـقُ اللَّفْـظِ يَسْـري فـي الحَشـا　　ما سَـرَتْ نَظْـرَةُ ظَبْـيٍ ذي حَـوَرْ(١)
لَفظُهـا الجَـزْلُ لـهُ وَقْـعٌ كَمـا　　يَقَـعُ السَّـيْفُ إذا السَّـيْفُ خطَـرْ(٢)
وابْنُهـا المِنْطيـقُ إنْ زُجَّ بِـهِ　　فـي مَجـالِ القَـوْلِ جَلّـى وَبَهَـرْ(٣)
يُبْـرِزُ المَعْنـى مَتـى شـاءَ علـى　　صُـوَرٍ شَـأْنَ الغَنِـيِّ المُقْتَـدِرْ
ثُـمَّ لا يُعْجِـزُهُ السَّـيْرُ علـى　　طَرْزِهـا فـي كُـلِّ مَعْنـىً مُبْتَكَـرْ(٤)
فاسْـأَلِ التَّـاريخَ يُنْبِـئْكَ بِمـا　　أَنْجَبَـتْ أَرْضُ قُـرَيْشٍ وَمُضَـرْ(٥)
مِـنْ خَطيـبٍ مِصْـقَعٍ أوْ شـاعِرٍ　　مُفْلِـقٍ يَسْـحَبُ أَذْيـالَ الفَخَـرْ(٦)
ضَـلَّ قَـوْمٌ سَـلَكوا فـي حِفْظِهـا　　سَـبَباً أَوْهَـنَ مِـنْ حَبْـلِ القَمَـرْ(٧)

---

(١) الظبي: الغزال للذكر والأنثى. حور العين: اشتداد بياض بياضها وسواد سوادها.

(٢) الجزل: خلاف الركيك من الألفاظ.

(٣) المنطيق: البليغ. زجّ به: رمى به. جلّى: كشف.

(٤) الطرز: الهيئة.

(٥) قريش: قبيلة عربية نزلت مكة المكرمة في العصر الجاهلي، فتحضرت، ومنها كبار تجار القوافل بين جنوبي الجزيرة العربية إلى شمالها. ومن أهم فروعها: أمية ونوفل ومخزوم وهاشم وعدي. مضر: مضر بن نزار الجد الأعلى لفريق من القبائل العدنانية.

(٦) المصقع: البليغ، ومن لا يرتج عليه في كلامه. الشاعر المفلق: الذي يأتي بالعجائب في شعره.

(٧) السبب: الطريق. أوهن: أضعف.

أُلْقِمَـتْ فـي نُطْـقِ قَـوْمي أَحْرُفـاً   مِنْ لُغًى أُخْرى فَأَضناها الخَـدَرْ[1]
بَعْـضُ مَـنْ لَـمْ يَفْقَهـوا أَسْـرارَها   قَـذَفوها بِمَـوَاتٍ مُسْـتَمِرْ[2]
نَفَـروا مِنْهـا لِـواذاً، وإذا   جَفَّ طَبْعُ المَرْءِ لَـمْ تُغْـنِ النُّـذُرْ[3]
مـا زَكـا تُفَّـاحُ لُبْنـانَ عَلـى   حَسَكِ السَّعْدانِ في ذَوْقِ مَـذِرْ[4]
واسْتوى في نَظَـرِ الأَعْشـى ضُحـىً   زَهْـرُ رَوْضٍ وَهَشـيمُ المُحْتَظِـرْ[5]

كذلك كان في الدنيا عليٌّ

«أقامت جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة حفلة تأبين للمرحوم الأستاذ علي محفوظ الوكيل الأول للجمعية، وذلك يوم الخميس ١٥ محرم ١٣٦٢هـ، وقد افتتح الشاعر الحفلة بكلمة صدرت بها هذه الأبيات».

هُمـا السَّـهْمانِ يَشْتَبِـهانِ مَرْمَـى   وَمـا كُـلُّ السِّـهامِ يَصيـدُ عُمْـرا
وَمـا سَـهْمُ المَنـونِ كَسَـهْمِ قَـوْسٍ   إذا جَرَيـا إلـى الأَهْـدافِ قَسْـرا[6]

---

(١) ألقم الطعام: أكله سريعاً. لغى: جمع لغة. الخدر: الكسل والفتور.

(٢) الموات: ما لا روح فيه.

(٣) لواذاً: لاذ به لواذاً: استتر به واحتصن والتجأ. النذر: أنذر بالأمر نذراً: أعلمه وحذره من عواقبه قبل حلوله.

(٤) زكا: نما وزاد. حسك السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل، له شوك تشبه به حلمة الثدي، فيقال له: السعدانة. المذر: الفاسد والخبيث.

(٥) الأعشى: الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار. الهشيم: النبات اليابس المتكسر. المحتظر: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾[القمر: ٣١]؛ أي: أنهم قد بادوا وهلكوا، فصاروا كيبيس الشجر إذا تحطم.

(٦) المنون: الموت. قسر: أكره وقهر.

فَسَهْمُ الْقَوْسِ كالْعَشْواءِ يَعْدو فَيُخْطِئُ مَرَّةً ويُصيبُ أُخْرى[١]
وَلا تَرْمي المَنونُ بِغَيْرِ سَهْمٍ يَهُبُّ بِنَصْلِهِ وَيُصيبُ نَحْرا[٢]
وأَحْزَمُ مَنْ رَأَتْ عَيْني أَريبٌ يُقَدِّمُ قَبْلَ أَنْ يَغْشاهُ ذُخْرا[٣]
ولا مِثْلَ امْرِئٍ يَدْعو بِجِدٍّ إلى طُرُق السَّعادَةِ مُسْتَمِرّا
تَلينُ بِهِ قُلوبٌ لَوْ مَدَدْتَ الْـ ـبنَانَ يَجُسُّها لَلَمَسْتَ صَخْرا[٤]
يُذَكِّرُنا بِمَنْطِقِهِ وتُهْدي لَنا أَقْلامُهُ عِظَةً وَذِكْرى
كَذلِكَ كانَ في الدُّنْيا عَلِيٌّ وَعاقِبَةُ التُّقى رُحْمى وبُشْرى[٥]

تشطير بيتين

«تشطير بيتين لأحد أدباء العراق، وها هما ذان مع التشطير».

(سَيِّدَ الرُّسْلِ وَمَنْ بِعْثَتُهُ) سَطَعَتْ فانْقَلَبَ اللَّيْلُ نَهارا
سُلِبَتْ أُمَّتُكَ الْعِزَّ وَكَمْ (كَسَتِ الْكَوْنَ بَهاءً وَفَخارا)
(قُمْ إلى النُّورِ الَّذي جِئْتَ بِهِ) والوَرى في غَسَقِ الجَهْلِ حَيارى[٦]
تَلْقَ نارَ الْغَيِّ تَسْطو حَوْلَهُ (أَفَتَرْضى أَنْ يَصيرَ النُّورُ نارا)

---

(١) العشواء: الناقة التي لا تبصر أمامها.

(٢) النصل: حديدة السهم. النحر: أعلى الصدر.

(٣) الأريب: الماهر البصير. الذخر: ما أعددته لوقت الحاجة إليه.

(٤) البنان: أطراف الأصابع، الواحدة بنانة. يجس الشيء: يمسه ليتعرفه.

(٥) العاقبة: آخر كل شيء، والجزاء بالخير.

(٦) الورى: الخَلْق. الغسق: دخول أول الليل حين يختلط الظلام.

حادي السّفينة

حادِي سَفِينَتِنا اطْرَحْ مِنْ حُمولَتِها ... زادَ الوقودِ فَما في طَرْحِهِ خَطَرُ[1]
وَخُذْ إذا خَمَدَتْ أَنْفاسُ مِرْجَلِها ... مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ مِقْباساً فَتَسْتَعِرُ

ابتغ العزة للشرق

«قيلت في عهد رياسة الشاعر لمشيخة الأزهر بالقاهرة».

لا تُسامَى كُلَّما خُضْتَ غِمارا ... وإذا رُضْتَ جَواداً لا يُجارى[2]
هاتِ مِنْ عَزْمِكَ ما تَرْقى بِهِ ... أُمَّةٌ هِيضَتْ جَناحاً وفَقارا[3]
إنْ يَصِحَّ الْعَزْمُ مِنْ قَوْمٍ فَلا ... يَلْتَقِي شانِئُهُمْ إلاَّ تَبارا[4]
فَابْتَغِ العِزَّةَ لِلشَّرْقِ ولا ... تَرْجُ بِالبُغْيَةِ جاهاً أَوْ نُضارا[5]
وَلِقاءُ المَوْتِ في ذَوْدِكَ عَنْ ... ساحِهِ يُكْسِبُ ذِكْراكَ فَخارا
وبُغاةٌ فَتَحوا في صَفِّنا ... ثُغْرَةً أَنْ نُبْدِلَ الْعَطْفَ نِفارا[6]

---

(١) أبيات قالها عند ميناء تونس سنة ١٣٣٠هـ، وقد أخذ الحنو إلى الوطن يتزايد.

(٢) تُسامى: تُبارى. الغِمار: جمع الغمر، وهو الماء الكثير، ومعظم البحر. راض الجواد: ذلَّلَه، وجعله مسخراً مطيعاً، وعلمه السير.

(٣) هيضت: كُسرت. الفَقَار: جمع الفقارة: الخرزة من خرزات الظهر.

(٤) الشانىء: المبغض. التبار: الهلاك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[نوح: ٢٨]؛ أي: هلاكاً.

(٥) البغية: الحاجة. النضار: الذهب والفضة، والجوهر الخالص من التبر.

(٦) بغاة: جمع باغٍ وهو الظالم. النِّفار: الجُزع والتباعد.

حَسْـبُنا مـا فَـتَّ فـي أَعْضـادِنا ... مِنْ سُمومِ الْبَيْنِ بَثُّوهـا ضِـرارا[١]

سَـلَبونا الـرَّأْيَ حَتـى أَصْـبَحَتْ ... أَوْجُهُ الحُكْمِ مِنَ الشُّـورى قِفـارا[٢]

نَنْطِـقُ الحَـقَّ صُـراحاً مَـرَّةً ... فَنَـرى هُجْـراً مِـنَ الْقَـوْلِ مِـرارا

لا يَطيـبُ الْعَـيْشُ حَتـى تَنْثَنـي ... خَيْلُهُمْ عَنْ مَطْلَعِ الشَّـمْسِ عِثـارا[٣]

فاسْـأَلِ المَغْـرِبَ كَيْـفَ امْتَلَكـوا ... بَعْـدَ الاسْـتِعمارِ زَرْعـاً وعَقـارا

أَبْرَمـوا الْعَهْـدَ وَلَـمْ يُوفـوا عَلـى ... أَنَّهُـمْ لاقَـوْا كِرامـاً وخِيـارا[٤]

وَرَعَيْنـا مِـنْهُمُ الْجـارَ ولَـوْ ... أَنْصَـفونا حَمِـدوا مِنَّـا الجِـوارا

سَـبَقونا بِفُنـونٍ وَعَلَـتْ ... يَدُهُمْ في الحُكْمِ قَسْراً لا اخْتِيـارا[٥]

وخِـداعٌ حـينَ وَلَّـوا حَكَمـاً ... مُسْتَبِـدّاً ودَعَـوْهُ مُسْتَشـارا

أَنْشَـؤوا فينـا رِياضـاً لَيْتَنـا ... نَجْتَني مِـنْ نـاعِمِ الْغُصْنِ ثِمـارا

وَأَبـاحوا الشَّـيْصَ مِـنْ عَـذْقٍ ذَوى ... لِفَتـىً فـاقَ ذَكـاءً وَوَقـارا[٦]

---

(١) بثَّ: نشر وأذاع.

(٢) الشورى: اسم بمعنى التشاور.

(٣) عثاراً: يقال: عَثَر الفرس: زلَّ وكبا.

(٤) الخِيار: جمع الخير.

(٥) القسر: القهر والإكراه.

(٦) الشيص: تمر لا يشتد نواه، وقيل: حمل النخلة الذي لا نوى له، وهو رديء مذموم.
العذق: النخلة بحملها.

وضَــعوا للــدَّرْسِ مِنْهاجــاً وَلَــمْ يَكُ في المِنْهاجِ ما يَشْفي الأُوارا[1]
شَــذَّ مِنّــا فِئَــةٌ ســاروا علــى أَثَــرِ المِنْهــاجِ فارْتَــدُّوا حَيَــارى[2]
مَــدَّ هــذا الشَّــرْقُ باعــاً واسْــتَوى وأَتَــى الْغَــرْبَ فأَضْــناهُ وَجــارا[3]
كــادَ يَنْســى الْمَجْــدَ لَــوْلا فِتْيَــةٌ أَصْبَحوا مِنْ نَشْوَةِ الْعِلْمِ سُكارى
بَحَثــوا فــي مَكْمَــنِ الْعِلْــمِ وَلَــمْ يَــدَعوا مِنْــهُ جِبــالاً أَوْ بِحــارا
وَعَلَــتْ أَعْناقُنــا بَعْــدُ فَيــا طَالَما ظَلَّتْ مِنَ الْعَسْفِ قِصارا[4]
وَشُــعورٌ كَشُــعاعِ الشَّــمْسِ إنْ جــالَ فــي أَرْضٍ يَمينــاً ويَســارا
مَــلأَ اللهُ بِــهِ أَفْئِــدَةً فَـدَرَتْ كَيْـفَ يَخونـونَ الـذِّمارا[5]
مـا عَلَيْنـا لَـوْ تَمـادَوا فـي الْـوَغى أَوْ أَرَوْنا مِنْ رَحى الحَرْبِ قَـرارا[6]
وَلَــدى قَــوْمي قَنــاً مُرْهَفَــةٌ وإذا رامُــوا صُــعوداً فَمَطــارا[7]

---

(١) المنهاج: الطريق الواضح. الأوار: حر النار والشمس.

(٢) شـذّ عن الجماعـة: ندر عنهم وانفرد. حيارى: جمع حيران: الذي لم يدر وجه الصواب.

(٣) أضنى: أثقل. جارَ: ظلَم.

(٤) العسف: الظلم.

(٥) الأفئدة: جمع فؤاد، وهو القلب. الذمار: كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه.

(٦) الوغى: الصوت والجلبة، والحرب لما فيها من الصوت والجلبة. رحى الحرب: حومتها.

(٧) القنا: جمع القناة: الرمح. مرهفة: المرققة الحد.

ونُفُــوسٌ سَــئِمَتْ مِــنْ تَــرَفٍ ... وَتَعَشَّــقْنَ الْقَتــامَ المُسْــتَثارا[1]

لا رَعــى اللهُ عُهــوداً قَــدْ كَسَــتْ ... بِلَظــى الضَّــيْمِ صِــغاراً وكِبــارا[2]

حــاوَلوا أَنْ يَهْبِــطَ الأَزْهَــرُ مِــنْ ... شــاهِقٍ إذْ كــانَ للــدُّنْيا مَنــارا

تَنْبُــعُ الحِكْمَــةُ مِــنْ صَــدْرِ فَتــىً ... لَبِــسَ الرُّشْــدَ شِــعاراً وَدِثــارا[3]

مِــنْ يَــدٍ تُحْسِــنُ صُــنْعاً وحِجــاً ... يَسْــتَدِرُّ الْفِكْــرَ لَــيْلاً ونَهــارا

مناجاة الفكر

أَسْــهرُ اللَّيْــلَ وَإنْ طــالَ وَمَــنْ ... يَعْشَــقِ المَجْــدَ يَلَــذَّ السَّــهَرا

لَسْــتُ مِمَّــنْ يَفْقِــدُ الأُنْــسَ إذا ... أَصْــبَحَ الــرَّوْضُ كَئِيبــاً أَغْبَــرا[4]

لَسْــتُ آســى إِنْ مَضــى لَيْــلٌ وَمــا ... صــاحِبٌ زارَ ولا طَيْــفٌ سَــرى[5]

هُــوَ ذا الْفِكْــرُ يُنــاجيني مَتــى ... رُمْــتُ أُنْســاً ضَــحْوَةً أَوْ سَــحَرا[6]

يَتَســامى بــي إلــى أُفْــقٍ أَرى ... فــي مَعالِيــهِ السُّــها والْقَمَــرا[7]

---

(١) القَتام: الغبار الأسود.

(٢) الضيم: الظلم جمع ضُيوم.

(٣) الشعار: ما تحت الدثار من اللباس، وهو ما يلي شعر الجسد. الدثار: الثوب الذي فوق الشعار.

(٤) أغبر: ما لونه الغبرة.

(٥) الطيف: الخيال الطائف في المنام. سرى: سار عامة الليل.

(٦) الضحوة: ارتفاع النهار بعد طلوع الشمس. السحر: قبيل الصبح.

(٧) السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

لـــي يَـــراعٌ كُلَّمـــا اسْـــتَهْدَيْتُهُ جَالَ فـي الطِّـرسِ وَأَهْـدى دُرَرا(١)

فَلْـيَكُنْ فـي النَّـاسِ بُخْـلٌ إِنَّنـي لَسْتُ مِمَّنْ يَشْتَكي بُخْـلَ الـوَرى(٢)

على لسان قلم ناضل عن حق

«قيلت هذه الأبيات على لسـان القلم الذي كان آخـر أقلام استعملها الشاعر في الرد على كتاب «في الشعر الجاهلي» لطه حسين، وقد أهديت بقية القلم إلى خزانة المرحوم أحمد تيمور بالقاهرة».

سَفَكَتْ دَمي في الطِّرْسِ أَنْمُلُ كاتِبٍ وَطَـوَتْنِيَ المِبْـراةُ إلاَّ مـا تَـرى(٣)

ناضَلْتُ عَنْ حَقٍّ يُحـاوِلُ ذُو هَـوًى تَصْـويرَهُ للنَّـاسِ شَـيْئاً مُنْكَـرا(٤)

لا تَضْـرِبوا وَجْـهَ الثَّـرى بِبَقِيَّـةٍ مِنِّي كمـا تُرْمـى النَّـواةُ وَتُـزْدَرَى(٥)

فَخِزانَـةُ الأُسْـتاذِ تَيْمـورَ ازْدَهَـتْ بِحِلًى مِـنَ الْعِرْفـانِ تُبْهِـرُ مَنْظَـرا(٦)

فأَنا الشَّـهيدُ وَتِلْـكَ جَنَّـاتُ الهُـدى لا أَبْتَغـي بِسِـوى ذُراهـا مَظْهَـرا(٧)

---

(١) اليراع: القصب، الواحدة يراعة، ويقصد بها: القلم. الطرس: الصحيفة، جمع أطراس وطروس.

(٢) الورى: الخلق.

(٣) سفكت: صبّت. الطرس: الصحيفة. المبراة: السكين يبرى به القلم.

(٤) الهوى: العشق يكون في الخير والشر، ويقال: فلان من أهل الأهواء: أي: ممن زاغ عن الطريقة المثلى. المنكر: ما ليس فيه رضا الله.

(٥) الثرى: الأرض. النواة: عجمة التمر ونحوه؛ أي: حبه، أو بزره، جمع نوى ونويات. تزدرى: تُحتقر ويستخف بها.

(٦) تيمور: أحمد تيمور الكاتب والمؤرخ المعروف، وقد مرت ترجمته.

(٧) الشهيد: القتيل في سبيل الله. الذرى: جمع ذروة، والذروة من الشيء: أعلاه.

أنت بدر الضّحى

«قالها بمناسبة مجلس ذكر فيه الفن المعروف في البديع باسم: «المراجعة»، والمراجعة: أن يحكي المتكلم مراجعة في القول، ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة، وأرشق سبك، وأسهل لفظ في بيت أو أبيات».

وَعَـدَ الخِـلُّ أَنْ يَـزورَ بِلَيْـلٍ قُلْـتُ: دَعْ لِلنَّهـارِ هـذا المَـزارا(١)

قـالَ: إِنِّي أَخـو الْبُـدورِ وَمَـنْ ذا يَتَمَلَّـى أُنْـسَ الْبُـدورِ نَهـارا

قَلْـتُ: لِلْقَلْـبِ مُقْلَـةٌ لا تَـرَى إِنْ زُرْتَ إِلاَّ بَهاجَـةً وازْدَهـارا(٢)

أَنْتَ بَدْرُ الضُّحى فَـإِنْ غِبْـتَ عُـدْنا في ظَلامٍ والشَّـمْسُ لَـمْ تَتَـوارى(٣)

قـالَ: هـذا شِـعْرٌ فَهـاتِ قياسـاً يَتَحَنَّـى «أَرِسْـطُ» منْـهُ انْبِـهارا(٤)

قُلْـتُ: بَـدْرٌ طِلاعُـهُ الأُنْـسُ أَنَّـى لاحَ في رَوْنَقِ الضُّحى لا يُبـارى(٥)

شهر صوم وجهاد

«أبيات ختم بها حديث رمضان المنشور في جريدة الأهرام بالقاهرة سنة ١٣٦٥هـ».

شَـهْرُ صَـوْمٍ وَجِهـادٍ والْفَتـى إنْ رَمى عَنْ قَـوْسِ رُشْـدٍ لا يُبـارى

---

(١) الخل: الصديق. المزار: الزيارة، أو موضعها.

(٢) بهاجة: بَهُج بهاجة: حَسُن.

(٣) الضحى: حين تشرق الشمس. تتوارى: تستتر.

(٤) تحنى: تعطف. أرسطو: مرت ترجمته. الانبهار: انقطاع النفس من الإعياء.

(٥) الطلاع من الشيء: ملؤه. يبارى: يقال: بارى فلاناً: عارضه.

أَنِّـبِ الـنَّفْسِ إذا هَمَّـتْ بِـأَنْ   تَقْضِيَ اليَوْمَ كما يَقْضي السُّكارى
إِنَّمـا الحـازِمُ مَـنْ صـامَ وَلَـوْ   لَمَـحَ الْعِـزَّةَ فـي الـنَّجْمِ لَطـارا
هِمَـمٌ يَخْتَطُّهـا الْفِكْـرُ دُجًـى   وَيَـدُ الإصْـلاحِ تَبْنيهـا نَهـارا

قاذفات القنابل

وَلَقَـدْ ذَكَرْتُـكِ فـي ظَـلامٍ آذَنَـتْ   بِخُطوبِـهِ صَـفَّارَةُ الإنْـذارِ[١]
والطَّـائِراتُ تَحـومُ فَـوْقَ رُؤوسِـنا   تَرْمـي الحُتـوفَ بِيَمْنَـةٍ ويَـسارِ[٢]
وَلَوِ اطَّلَعْتِ على الشَّظايا خِلْتِهـا   شَـرَرَ الجَحـيمِ يَطيـرُ كُـلَّ مَطـارِ
فَعَلِمْـتُ أَنَّ نَـواكِ أَرْوَعُ لِلْحَـشا   مِـنْ هَـوْلِ مُحْرِقَـةِ الجُـسومِ بِنـارِ

التواضع والكبر

أَرى مُثْمِرَ الأَغْصانِ يَدْنو مِنَ الثَّرى   وعَاطِلُها يَبْغـي بِهامَتِـهِ الـشِّعْرى[٣]
فَـأَذْكُرُ إذْ يَهْـوي الهُمـامُ تَواضُـعاً   وَيَرْفَـعُ مَـسْلوبُ العُـلا أَنْفَـهُ كِبـرا

المحجر الصّحيّ بالمريجات

«قيلت في المريجات بلبنان سنة ١٣٣٠هـ».

بَيْنَ المِرَيْجـاتِ مـا تَحْلـو مَنـاظِرُهُ   في الْعَيْنِ لكِنَّ نَفْسي مَسَّها ضَـجَرُ[٤]

---

(١) أول من نهج هذا المنهج عنترة بن شداد إن صح ما ينسب إليه من قوله:

ولقـد ذكرتـك والرمـاح نواهـل   مني وبيض الهنـد تقطـر مـن دمـي

(٢) الحتوف: جمع الحتف، وهو الموت.

(٣) الثرى: الأرض. الشِّعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر.

(٤) المريجات: قرية في جبل لبنان.

وَالنَّفْسُ تَضْجَرُ مِنْ دارِ المُقامِ على رَغْمٍ وإنْ كانَ مِنْ سُمَّارِها الْقَمَرُ

البرد في الحديقة

«قالها في برلين سنة ١٣٣٧هـ».

هَزَّ النَّسيمُ غُصونَ الرَّوضِ في سَحَرٍ كما يَهُزُّ بَنانُ الْغادَةِ الوَتَرا[١]
لَذَّ الحَفيفُ عَلى سَمْعِ الْغَمامِ أَمَا تَراهُ يَحْثو عَلى أَدْواحِهِ دُرَرا[٢]

القطار في غوطة دمشق

«قالها عندما دخل القطار في بساتين دمشق لأول مرة سنة ١٣٣٠هـ».

لَجَّ القِطارُ بِنا والنَّارُ تَسْحَبُهُ ما بَيْنَ رائِقِ أَشْجارٍ وأنْهارِ
وَمِنْ عَجائِبِ ما تَدْريهِ في سَفَرٍ قَوْمٌ يُقادونَ لِلْجَنَّاتِ بِالنَّارِ

الوفاء في اليسر والعسر

مَسَّتِ الْعَيْشَ عَسْرَةٌ فَدَعِيها تَبْتَلي الصَّبْرَ ساعَةً وَتَمُرُّ
جارَتي هَكَذا الزَّمانُ يُوافيـ ـنا بِيَوْمٍ يَجْفو وَيَوْمٍ يَسُرُّ
ما افْتَقَدْنا في الحالَتَيْنِ وَفاءً واحْتِفاءً بِهِ الْعُيونُ تَقَرُّ[٣]

أرى سفري

أَرَى سَفَري شِعْراً ولَكِنْ بُيوتُهُ مُفَصَّلَةٌ في غيرِ بَحْرٍ وفي بَحْرِ

---

(١) البنان: أطراف الأصابع، الواحدة بنانة. الغادة: المرأة الناعمة اللينة الأعطاف.

(٢) الحفيف: صوت أغصان الأشجار. حثا التراب: هاله بيده.

(٣) الاحتفاء: المبالغة في الإكرام. تقر العين: تبرد سروراً.

وَمَقْطَعُ عــودي مــن بدائِعِــهِ ألا ... تَرى عَجُزاً قد ردَّ فيه على صَـدْري

عهد الشّبيبة والمشيب

«قالها بمناسبة خطاب جاءه من شقيقه المرحوم العلامة الشيخ زين العابدين حسين التونسي[1] يصف فيه حسن مناظر الربيع في دمشق، وطيب هوائه، ويدعوه إلى الزيارة».

دَعَـوْتَ إلـى دِمَـشْقَ وَفـي فُـؤادي ... لَهـا شَـوْقٌ أَحَـرُّ مِـنَ الهَجيـرِ[2]
تَقـولُ: حَنـا الرَّبيـعُ عَلـى رُباهـا ... وَحـاكَ طَنـافِسَ الزَّهْـرِ النَّـضيرِ[3]
وهَــبَّ نَـسيمُها الْفَيَّـاحُ يُهْـدي ... إلــى أَرْجائِهـا أَذْكـى عَبيـرِ
هَلُـمَّ نُعِـدْ عَهْـداً مَليئـاً ... بمـا نَهْـواهُ مِـنْ عَـيْشٍ غَريـرِ[4]
أَزَيْـنَ الْعَابِـدينَ لَمَحْـتَ مِنِّـي ... قُـصوراً فـي اللِّقـاءِ فَكُـنْ عَـذيري
أَثَـرْتَ بِمُهْجَتـي ذِكْـرى لَيَـالٍ ... قَـضَيْناها بِـدُمَّرَ فـي حُبـورِ[5]
تَمَلَّينـا سُـلافَ الأُنْـسِ صِـرْفاً ... وَلا قَـدَحٌ سِـوَى أَدَبِ الـسَّميرِ[6]

---

(١) زين العابدين حسين التونسي: (١٨٨٨ ـ ١٩٧٧م) شقيق الشاعر، مربٍّ كبير، ولد في تونس، وتوفي بدمشق. له آثار لغوية ودينية مطبوعة.

(٢) الهجير: شدة الحر.

(٣) حنا: عطف. حاك: نسج. الطنافس: الواحدة طنفسة، وهي البساط. النضير: الذهب والفضة.

(٤) غرير: طيب.

(٥) دمر: منتزه في ضاحية غرب مدينة دمشق.

(٦) السلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر. الصِّرْف: الخالص.

مَـضى عَهْـدُ الـشَّبيبَةِ فـي صَـفاءٍ ... وَرَنَّــقَ كَأسَــنا عَهْــدُ الْقَتيــرِ[١]

يَـضيقُ الْبـاعُ عَـنْ هِمَـمٍ جِـسامٍ ... فَيـا وَيْلـي مِـنَ الْبـاعِ الْقَـصيرِ

وفَـلَّ الـدَّهْرُ عَزْمـاً كـانَ يَـسْطو ... عَلـى الأَخْطـارِ مَـصْقولَ الأَثيـرِ[٢]

أَعِـدْ لـي يـا زَمـانُ حُـسامَ عَـزْمٍ ... يُناهِضُ صَـوْلَةَ الخَطْـبِ الْعَـسيرِ[٣]

وخَــلِّ سِــوايَ يَــسْتَمْتِعْ بِعَــيْشٍ ... حَــلاَ بَــيْنَ الخَوَرْنَــقِ وَالــسَّديرِ[٤]

أمنية عليل

عَليـلٌ وَمَـا لـي عِلَّـةٌ غَيْـرَ رَجْفَـةٍ ... تَهُــزُّ فُــؤادي يَمْنَــةً وَيَــسارا

أَلَمَّـتْ كَإِلْمـامِ النَّـذيرِ لِمَـنْ طَغـى ... وَلَمْ تَتَّخِذْ ذِكْرى المَصيرِ شِـعارا[٥]

وَيالَيْتَــهُ طُهْــرٌ يُعيــدُ صَــحيفَتي ... كَما سَطَعَتْ شَـمْسُ الـسَّماءِ نَهـارا

إِذَنْ لا أُبــالي أَنْ أُلاقِــيَ مَــصْرَعي ... وَأَلْبَسَ مِنْ تُـرْبِ الـضَّريحِ دِثـارا[٦]

---

(١) رنّق: كدّر. القتير: أول ما يظهر من الشيب.

(٢) فلَّ: كسر وهزم. الأثير: وشي السيف وجوهره.

(٣) الحسام: السيف القاطع. الخطب: الأمر، صغُر أو عظُم.

(٤) الخورنق: موضع في العراق قرب النجف، سكنه بنو إياد، أقام فيه النعمان اللخمي قصراً أشاد بذكره شعراء الجاهلية. السدير: قصر في الحيرة قريب من الخورنق اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم.

(٥) النذير: الإنذار، والمنذر. الشعار: العلامة في الحرب والشعر، ويطلق على ما يمس الجسد من اللباس.

(٦) الضريح: القبر. الدثار: الثوب الذي فوق الشعار.

أَأُوثِــرَ عَيْــشاً والعَــدُوُّ بِأَرْضِــنا يُــشَيِّدُ حِــصناً أَوْ يَخُــطُّ مَطَــارا

نجوم الأرض

«قيلت بمناسبة ما ذكر في أحد المجالس في النوع المسمى في البديع بالمطابقة، والمطابقة هنا في الجمع بين الليل والنهار، والبياض والسمرة، والقبة الزرقاء (أي: السماء) والأرض».

نُجــومُ الْقُبَّــةِ الزَّرْقــاءِ تَبْــدو بِلَيْــلٍ فــي بَيــاضٍ وازْدِهــارِ(١)
وَسُــمْرُ الْغيــدِ مِــنْ فَتَيَــاتِ حــامٍ نُجومُ الأَرْضِ تَخْطُـرُ فـي النَّهـارِ(٢)

ذكرى

«بعث أمير شعراء تونس السيد الشاذلي خازندار(٣) بقصيدة إلى الشاعر، فأجابه بالقصيدة التالية»(٤).

طالَ البَقـاءُ وبـاعُ الْعَـزْمِ فـي قِـصَرِ فَمـا قَـضَيْتُ بِـهِ لِلْمَجْـدِ مِـنْ وَطَـرِ

---

(١) القبة الزرقاء: السماء.

(٢) حام: ابن نوح، منه تحدر الجنس الأسود، أو الحاميون.

(٣) محمد الشاذلي خازندار (١٢٩٧ ـ ١٣٧٢هـ) أمير شعراء تونس، له ديوان مطبوع من جزأين، وله مسامرات وخواطر أدبية.

(٤) نص قصيدة أمير الشعراء الشاذلي خازندار:

يزجى القـوافيَ بـين الأنجـم الزهـر تَحنـانُ تونـسنا الخـضراء (للخـضر)
فـي كـل منحًـى لزيتـونيٍّ جامعــه يعقــوبُ يوسـفَ يـستأسيه للبـصر
وفـي الـشوارد مــن (مكيّـه) أدب فيــه اسـتعادة مـا للـشيخ مـن أثـر
وللأخـــوة منـــه والبنـــوة فـــي أبنـاء جلدتـه مـستلفت النظـر=

= و(للسعادة) فيما خط من صحف ... ذكرى تعيد لمثلي سالف العمر
لي في البواكر من غرسي بروضتها ... ما استظهرته بنات الفكر من زهر
للجانبين بها الذكرى تعيد لنا ... عهد الشباب ونيل الفخر من صغر
سائل (سعادتنا العظمى) وثالثنا ... فيها (ابن عاشور) شيخ الجامع النضر
ما بيننا نصف قرن برزخ فصلت ... فيه الحقائق واجتزناه بالصور
يسائل (النيل) يا أستاذ (مجردة) ... فيم استبيح بك استئثار محتكر
و(للكنانة) في الإيثار من قدم ... شواهد المبتدا في النحو والخبر
ذرني وشأن الليالي في تحكمها ... فلست أجهل ما فيها من العبر
راجعت ملهمتي في ما اهتممت به ... مما عليه عموم الناس من غير
لا سيما ما عليه نحن من خطل ... ومن مَخازٍ ومن خُلْف ومن خَوَر
براً وبحراً تولانا الفساد فما ... في القوم من خلق ترضى ولا سير
أما الديانة فالموءودة انطمست ... آثارها وانمحت محواً من الزبر
قالوا الصدور قبور للرفات وفي ... يوم القيامة نحييها لمنتظر
زلوا وضلوا وحلوا كل رابطة ... وحللوا كل محظور من الكبر
واستبدلوا الخالص الأزكى بزيفهم ... واستهدفوا في الهوى للمأزق الخطر
لم تلق في المظهر القومي من أثر ... يرضيك مرآه من أنثى ومن ذكر
ساد التنطع واسترعى بصائرهم ... فلا استنارة للأذواق والفكر
عزّ التطيب واستعصى الشفاء فهل ... من رحمة تنقذ المرضى من الخطر
لا يأسَ عندي وللديان متجهي ... ما دام مثلك في الأزكى من البشر
فلتحيَ يا أيها الأستاذ منتصراً ... للدين في ذروة التوفيق والظفر
وهذه نزعتي فالخلق أجمعهم ... دون اعتقاد أولو الإفساد في نظري
وما عليه الحياة اليوم من قلق ... يكفي دليلاً وتكفي ومضة الشرر
فلنسع سعي الهداة الراشدين معاً ... أمّا النجاح فموكول إلى القدر

أَبيتُ سَبْعينَ عاماً والهَوى يَقِظٌ | أرى بِمِرْآتِـهِ الحَصْباءَ كالـدُّرَرِ[١]
وحُسْنُ ظَنِّكَ بـي وارى نَقـائصَ لا | تَغيبُ عَـنْ أَعْيُنِ النُّقّـادِ لِلسِّيَرِ[٢]
ولِلرِّضا مَنْطِـقٌ لَـوْ شـاءَ صَـوَّرَ لـي | وَجْـهَ الدَّميمَـةِ مَنْحوتـاً مِـنَ الْقَمَـرِ
ماذا يَرى شاعِرُ الخضْراءِ في صِلَةٍ | شَدَّتْ عُراها يَـدٌ مَحْمـودَةُ الأَثَـرِ[٣]
ذَكَرْتَ عَهْـداً ذَكَـتْ آدابُـهُ وَزَهَـتْ | كما زَهَتْ حِلْيَةٌ فـي سَيْفِ مُنْتَصِرِ
نَـسيتُ نَفْـسيَ إِنْ أُنـسيتُهُ وَلَـهُ | في طَيِّها صورَةٌ مِـنْ أَبْهَـجِ الـصُّوَرِ
ما زِلْتُ أَذْكُرُ ما خَطَّتْ يَمينُـكَ فـي | سِفْرِ الـسَّعادَةِ مِـنْ آدابِـكَ الغُـرَرِ[٤]
ولمْ تَفُتْني قَوافٍ كُنْـتَ تُرْسِـلُ فـي | يَوْمِ النِّضالِ بِها نَـبْلاً مِـنَ الـشَّرَرِ[٥]
وأَنْفَعُ الشِّعْرِ ما هاجَ الحَماسَـةَ فـي | شَعْبٍ يُقاسي اضْطِهادَ الجائِرِ الأَشِـرِ[٦]
لَوْ لَمْ أَخَفْ وَخزَ تَثْريبٍ يَـصولُ بـهِ | عَلَيَّ ناقِدُ شِعْري مِنْ بَنـي مُـضَرِ[٧]
لَقُلْتُ: لا شِعْرَ إلاّ في قَريحَـةِ مَـنْ | يَبيتُ مِنْ شَقْوَةِ الأَوطانِ فـي سَـهَرِ

(١) سبعون عاماً: إشارة إلى سن صاحب الديوان بتاريخ نظم القصيدة. الحصباء: الحصى، والواحدة حَصبَة.
(٢) وارى: ستر وأخفى.
(٣) الخضراء: تونس.
(٤) السفر: الأثر. السعادة: مجلة «السعادة العظمى» التي أصدرها الشاعر بتونس. الغُرر: جمع الغرة: كل شيء ترفع قيمته.
(٥) القوافي: جمع القافية، وهي آخر كلمة تكون في البيت. النبل: السهام العربية.
(٦) الجائر: الظالم. الأشر: الذي يكفر بالنعمة.
(٧) التثريب: اللوم. مضر: ابن نزار الجد الأعلى لفريق من القبائل العربية العدنانية.

مَــنْ ذا يُقــيمُ علــى أرضٍ يُظَلِّلُهــا ضَيمٌ ويُحْسِنُ وَصْفَ الـدَّلِّ والحَـوَرِ[١]
دَرَيــتَ حَقّــاً ومــا أَدْراكَ أَنِّــيَ مِــنْ حَرٍّ اشْتياقي إلى الخَضْراءِ في ضَجَرِ[٢]
أَقْبَلْتَ تَبْحَثُ عَنْ ذِكرى أَبيــتُ لهــا في سَلْوَةٍ عُصِرَتْ مِنْ جَأْشٍ مُضْطَبِـرِ[٣]
وصُغْتَها كالـصَّبا فـي رِقَّـةٍ فَـسَرَتْ والطَّلُّ بَلَّلَ زَهْرَ الرَّوْضِ في سَـحَرِ[٤]
وافَتْ فَخِلْنا صَباحَ العيـدِ حَـنَّ لنـا وَعادَ كَيْ نَتَمَلَّى الأُنْسَ في صَـفَرِ[٥]
مَنْ لي بِأَنْ أَرِدَ الأَرْضَ الَّتي صَدَرَتْ مِنْها وأَفْتَحَ فـي أَرْجائِهـا بَـصَري[٦]
هُناكَ ما شِئْتَ مِنْ عِلْـمٍ وَمِـنْ أَدَبٍ وَمِـنْ حَـدائِقَ تُـؤْتي أَطيـبَ الثَّمَـرِ
أُسيمُ طَرْفِيَ (بالمرْسـى) وشـاطِئِها وأَحْتَـسي بِلِقاهـا قَهْـوَةَ الـسَّمَرِ[٧]
وَمِـنْ نَفائِـسِها أَنِّـي صَـحِبْتُ بِهـا مَنْ لَوْ كَدَرْتُ لَلاقَى بِالصَّفا كَدَري[٨]

---

(١) الضيم: الظلم. الدل: الدلال. الحور: اشتداد بياض وسواد العين.

(٢) الضجر: القلق من غم وضيق نفس مع كلام.

(٣) السلوة: النسيان. جأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع.

(٤) الصّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. الطلّ: أخف المطر وأضعفه، الندى.

(٥) صفر: الشهر المعروف في السنة الهجرية بعد المحرم.

(٦) يصور الشاعر في هذا البيت حنينه إلى تونس موطنه الأول.

(٧) المرسى: بلدة في ضاحية العاصمة تونس على البحر.

(٨) هذا البيت إشارة إلى ما كان بينه وبين العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من ود خالص.

ما ضَـرَّ (أَرْيانَـةَ) الغَنّـاءَ لَـوْ قَرُبَـتْ   مِنْ مِصْرَ في نَفْحَةٍ مِنْ وَرْدِها العَطِـرِ(١)
نَصَحْتَ يا شاذِلِيُّ الْقَـوْمَ فـي عَـذَلٍ   وغَيْرُكَ اخْتـانَهُمْ فـي زِيٍّ مُعْتَـذِرِ(٢)
والنَّاسُ مَذْ دَرَجوا فَوقَ الثَّرى اخْتَلَفَـتْ   طُعومُهُمْ كـاخْتِلافِ الـشَّهْدِ والـصَّبِرِ(٣)
تَفاوَتوا بِالنُّهى حَتَّى جَـرُؤَتْ عَلَـى   رَهْطٍ وبَرَّأَتْ مِـنْهُمْ أُسْـرَةَ الْبَـشَرِ(٤)
هَــذا دَرِيٌّ بِأَسْــرارِ الأُمــورِ فَـلا   يَرْمـي إِلـى هَـدَفٍ إِلاَّ عَلـى حَـذَرِ
وذاكَ كالظِّلِّ يَقْفـو الـدَّهْرَ صـاحِبَهُ   والرَّأْيُ في خَطَلٍ والقَوْلُ في هَـذَرِ(٥)
كُـلٌّ لَـهُ نَزْعَـةٌ تَـدْعو الحَكـيمَ إِلـى   ما يَنْتَقي في دُعاءِ الخَيْرِ مِنْ عِبَـرِ(٦)
ما أَقْرَبَ الرُّشْدَ مِـنْهُمْ والفَـلاحَ إِذا   ما ساسَهُمْ مُحْكِمٌ لِلْوِرْدِ والصَّدَرِ(٧)

كيف ينشق القمر

«قالها على شاطئ اسكندروتة سنة ١٣٣١هـ».

لاحَ شَـطْرُ البَـدْرِ مِـنْ فَـوقِ الرُّبـى   وَلَـهُ فـي الْبَحْـرِ تِمْثـالٌ أَغَـرّ(٨)
مَثَـــلٌ أُبْــصِرُ فـــي مِرْآتِـــهِ   بِجَــلاءٍ كَيْــفَ يَنْــشَقُّ القَمَــرْ

---

(١) أريانة: ضاحية من ضواحي تونس.
(٢) العذل: الملامة.
(٣) درجوا: مشوا. الشهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه. الصَّبِر: عصارة شجر مر.
(٤) الرهط: قوم الرجل وقبيلته.
(٥) يقفو: يتبع. الخطل: الكلام الفاسد الكثير. الهذر: سقط الكلام الذي لا يُعبأ به.
(٦) الحكيم: العالم صاحب الحكمة المتقن للأمور.
(٧) الورد: الماء الذي يورد. الصَّدَر: الرجوع عن الماء.
(٨) الربى: جمع ربوة، وهو ما ارتفع من الأرض. أغر: الحسن، والأبيض من كل شيء.



قافية الزاي

«كم أخزى الهوى عرضاً!»

رَأَتْ إِذْ كُنْـتَ تَخْطِبُهـا غَرامـاً ... وَمِـنْ بَعْـدِ البِـناءِ رَأَتْ نُـشوزا[1]

أَكانَـتْ يَـوْمَ خِطْبَتِهـا فَتـاةً ... وصـارَتْ إِذْ بَنَيْـتَ بِهـا عَجـوزا؟

هِـيَ العُقْبَـى لِمَـنْ رَكِبَـتْ هَواهـا ... وكَمْ أَخْزى الهَوى عِرْضاً عَزيـزا[2]

ولَـوْ نَـشَدَتْ أَخـا خُلُـقٍ مَجيـدٍ ... بَنَـتْ حِـرْزاً لِعِـصْمَتِها حَريـزا[3]

❐ ❐ ❐

---

(١) البناء: يقال: بنى فلان على أهله: زفت إليه. النشـوز: نشـزت المرأة نشـوزاً: استعصت على زوجها وأبغضته.

(٢) العقبى: جزاء الأمر، الآخرة. أخزى: أهان.

(٣) نشـدت: طلبت. الحرز: الموضع الحصين. العصـمة: المنع. الحـرز الحريز: الحصن المنيع.



قافية السين

خواطر في دمشق

«قصيدة ألقاها الشاعر في حفلة وداع أقامها له نخبة من رجال النهضة الإصلاحية في دمشق سنة ١٣٦٣هـ»(١).

وَلَـدَتْكَ تَبْغـي فـي الحَيـاةِ أَنيـسا   يَرْعـى عُقـولاً أَو يَقـودُ خَميـسا(٢)

ولَـرُبَّ أُمٍّ أَمَّلَـتْ فـي طِفْلِهـا   هِمَمَ المُلوكِ فَقامَ يَحْدو العِيسا(٣)

فَكُنِ الهُمامَ يَخوضُ لُجَّةَ حِكْمَةٍ   أَوْ يَرْتَـدي سَـيْفاً وَيَفْـتَحُ خِيـسا(٤)

وَلَدَتْكَ سَمْحَ النَّفْسِ لا تَـدْري لِما   وَضعوا السُّجونَ وأَرْسَلوا الجاسوسا(٥)

تَبْـدو علـى فَمِـكَ ابْتِـسامَةُ زَهْـرَةٍ   جـادَ الحَيـا بُـسْتانَها المَأْنوسـا(٦)

---

(١) نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزآن الثالث والرابع من المجلد السابع عشر.

(٢) الأنيس: المؤانس، وكل ما يؤنس به. الخميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة.

(٣) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

(٤) اللجة: معظم البحر. الخيس: غابة الأسد.

(٥) الجاسوس: المتتبع الأخبار.

(٦) جاد: تكرم. الحيا: الخصب.

وَقَــضَيْتَ حينــاً لا تُــسِرُّ ضَــغينَةً ... يَوْمــاً ولا تُبْـدي الرِّضــا تَدْليــسا[1]
وشَعَرْتَ مِنْ رُعْيـا أَبيـكَ بـأَنَّ فـي ... أَبْنـاءِ قَوْمِـكَ سائِـساً ومَـسوسا[2]
يا لَيْتَ قَلْبَ أَبيكَ بَـيْنَ ضُـلوعِ مَـنْ ... سَـتَكونُ فـي يَـوْمٍ لـه مَرؤوسـا
ما كُنْتَ تَفْقَهُ أَنَّ فَوْقَ الأَرْضِ مَجْــ ... ــروماً عليـهِ وَجارِمـاً غِطْريـسا[3]
فَظَنَنْتَهـا الْفِـرْدَوسَ حتَّـى أَبْـصَرَتْ ... عَيْنـاكَ حَـقَّ ضَـعيفِهِمْ مَبْخوسـا[4]
يَسْطو القَوِيُّ على الضَّعيفِ وَرُبَّمـا ... صارَ الضَّعيفُ علـى القَـوِيِّ رَئيـسا
حَبَسوا عَصيراً فـي الـدِّنانِ وطَالمـا ... تَرَكـوهُ فـي ظُلماتِهـا محبوسـا[5]
أَرأَيْـتَ كَيْـفَ سَـطا علـى أَلْبـابِهِمْ ... بِقَنـاً تُـسَمَّى فـي الْبَيـانِ كُؤوسـا[6]
مـاذا أَبـى لَـكَ أَنْ تَعـيشَ مُقَدَّسـاً ... كَملائِـكِ الـسَّبْعِ العُـلا تَقْديـسا[7]
أُعْطيـتَ مَطْلَـعَ أَسْعَدٍ، فَحَـذارِ أَنْ ... يَضَعَ الهَوَى بَدَلَ الـسُّعودِ نُحوسـا[8]

---

(١) الضغينة: الحقد. التدليس: كتمان عيب السلعة على المشتري.

(٢) رعيا أبيك: حفظه لك، وقيامه عليك. السائس: القائم على الأمر. مسوس: ضد السائس.

(٣) الغطريس: الظالم المتكبر المعجب.

(٤) الفردوس: الجنة، البستان. مبخوس: ناقص ومُعاب.

(٥) الدنان: جمع الدن، وهو الوعاء.

(٦) سطا: مال عليه ووثب. الألباب: العقول. القنا: جمع القناة: الرمح.

(٧) السبع العلا: السموات السبع.

(٨) السعود: جمع السعد: اليمن. النحس: نقيض السعد.

هِـيَ فِطْـرَةُ الخَـلاَّقِ كـالمِرْآةِ لا ... تَلْقـى بِهـا عِوَجـاً ولا تَدْنيـسا[١]

تَـزْدادُ يُمْنـاً مـا اتَّقَيْـتَ، فـإنْ دَنـا ... مِنْها الخَنا كانـتْ عليـكَ بَسوسا[٢]

وَرِيَـتْ زِنـادُ يَـدٍ تُؤاسـي بائِـساً ... ويَـدٍ تُحَطِّـمُ للطُّغـاةِ رُؤوسـا

وكَبـتْ زِنـادُ يـدٍ غَـدَتْ تَبْنـي لآ ... مالِ الـدُّعاةِ المُـصْلِحينَ رُموسـا[٣]

يا مَنْ يَعـوقُ الخَيْـرَ لَـسْتَ بفائـتٍ ... يَوْمـاً وإنْ طـالَ الزَّمـانُ عُبوسـاً[٤]

نَرْثي لأَقْمـارِ الـدُّجى والأَرْضُ قَـدْ ... طَمَسَتْ سَناها بِالخُسوفِ طُموسـا[٥]

والأَرْضُ لـولا هـذهِ الأَقْمـارُ لَـمْ ... تَلْـبَسْ لأَيّـامِ الكُـسوفِ دُموسـا[٦]

فـي العَـيْشِ آلامٌ وفـي الآلامِ مـا ... يُـدْني رَغائِـبَ أَوْ يُـزيحُ بُؤوسـا

شَدُّوا على الطِّفْلِ القِماطَ فَصاحَ مِـنْ ... جَـزَعٍ يَـرومُ لِـشِدَّةٍ تَنْفيـسا[٧]

والْغُمْـرُ يَـأْبى أَنْ يَطـوعَ لِفاصِـدٍ ... يَنْفـي دَمـاً مِـنْ راهِـشَيْهِ خَسيـسا[٨]

---

(١) الفطرة: الخلقة التي خُلق عليها المولود.

(٢) اليُمن: البركة. الخنا: الفحش. البسوس: المرأة يتشاءم بها.

(٣) كبت: لم تور. الرموس: جمع الرمس: وهو القبر مستوياً مع سطح الأرض.

(٤) عبوساً: تقطيباً

(٥) الدجى: الظلمة، أو سواد الليل. طمس الشيء: محاه. الخسوف: ذهاب القمر.

(٦) الكسوف: استتار وجه الشمس المواجه للأرض، وذلك لحيلولة القمر بينهما. الدموس: اشتداد الظلام.

(٧) القماط: الحبل يشد به الأسير. التنفيس: يقال: نفّس عنه كربته: فرّجها ولطّفها.

(٨) الغُمر: من لم يجرب الأمور. الفاصد: الذي يشق العِرق. الراهشان: عرقان في باطن الذراعين. قال الشاعر:

وحكّمـت الحديـد براهـشيه ... فـألفى قولهـا كـذباً ومينـا

والشَّهْمُ مَنْ عانى الخُطوبَ وراضَـها   فَغَـدَتْ أَرَقَّ مِـنَ النَّسيمِ مَسيـسا
ونفاسَـةُ الأَشـياءِ فـي غاياتِهـا   فاحْمَدْ رِماءَكَ إِنْ أَصَبْتَ نَفيـسا[١]
ضَلَّتْ سَبيلَ المَجْدِ نَفْسٌ فـاخَرَتْ   نَفْـساً وَعَـدَّتْ مَنْـزِلاً ولَبوسـا[٢]
كَمْ شَبَّ وَغْدٌ فـي الحلـى وَمقامُـه   صَـرْحٌ يَكـادُ يُنـاطِحُ البِرْجيسا[٣]
لا فَخْـرَ فـي الـدُّنْيا بِغَيْـرِ عَـزائِمٍ   تَفْري الحَديدَ ولا تَهـابُ وَطيسا[٤]
وإذا الرَّوِيَّـةُ أَيْقَظَـتْ عَـزْمَ الْفَتـى   مَـلأَتْ مَعاليـه الْفِخـامُ طُروسـا[٥]
أَفَتى دِمَـشْقَ لَـدَيْكَ ذِكْـرى راحِـلٍ   لاَقـى بِهـا التَّرْحيـبَ والتَّأْنيـسا
تَرْتـادُ رَوْضـاً مُخْـصِباً وهَـزارُهُ   يَشْدو على الغُصْنِ الأَنيقِ مَيوسـا[٦]
تَجْنـي ثِمـاراً أَوْ تُمَتِّـعُ نـاظِراً   وتَـشُمُّ رَيّـا أَوْ تَلَـذُّ حَسيـسا[٧]
أَمّـا نَعـيمُ الـرُّوحِ فهـي هِدايَـةٌ   تَلْقـى بِهـا وَجْـهَ الحَيـاةِ أَنيـسا
هـذا كِتـابُ اللهِ يُبْـدي للـوَرى   حِكَماً كما تُبْدي السَّماءُ شُموسـا[٨]

---

(١) الرماء: الرمي.

(٢) لَبوس: ما يلبس.

(٣) الصرح: القصر، وكل بناء عال. البِرجيس: نجم، ويقال: إنه المشتري.

(٤) تفري: تقطع وتشق. الوطيس: التنور، ومنه قيل: حمي الوطيس؛ أي: اشتد الحرب.

(٥) الطروس: الصحائف.

(٦) الهَزار: العندليب. الميوس: المتبختر.

(٧) ريّا: الريح الطيبة. الحسيس: الصوت الخفي.

(٨) الورى: الخلق.

حُجَجٌ تذودُ عنِ النُّهى شُبَهاً ولوْ ... حامَ الجُحودُ بِها لَخَرَّ فَريسا[1]

أَلقى زِمامَ سِياسةِ الدُّنيا إلى ... مَلأٍ رَعَوْهُ وَأَقْرَضوهُ نُفوسا[2]

وأَقامَ سُوقاً لِلْمَكارِمِ ناشِراً ... فيها بِمِذْياعِ الْبَيانِ دُروسا

لولا هُداهُ لَحارَ أَذْكى النَّاسِ في ... إِصْلاحِ أُمَّتِهِ وَعادَ يَؤوسا

في الاعتقال

«قيلت في رمضان سنة ١٣٣٤هـ، وكان ذلك في عهد جمال باشا في دمشق».

جَرى سَمَرٌ يَوْمَ اعْتُقِلْنا بِفُنْدُقٍ ... ضُحانا بِهِ لَيْلٌ وَسامِرُنا رَمْسُ[3]

فقالَ رَفيقي في شَقا الحَبْسِ: إنَّ في الْـ ... ـحَضارَةِ أُنْساً لا يُقاسُ بِهِ أُنْسُ[4]

فَقُلْتُ لَه: فَضْلُ البَداوَةِ راجِحٌ ... وَحَسْبُكَ أَنَّ الْبَدْوَ لَيْسَ بِهِ حَبْسُ

❒ ❒ ❒

(١) النهى: جمع النهية: العقل. الفريس: القتيل.

(٢) الملأ: الأشراف، الجماعة.

(٣) الرمس: القبر مستوياً على وجه الأرض.

(٤) رفيق الحبس: الأستاذ سعدي ملاّ الذي كان سكرتيراً لشكري الأيوبي وقت الاعتقال، ثم أصبح رئيساً للوزارة اللبنانية.



قافية الشين

لحا الله الغواية

رَأَوْا فــي كَفِّــهِ ذَهَبــاً فَطاشُــوا   إِلَيْــهِ وطــالَ بَيْــنَهُمُ الهِــراشُ[1]
كَــأَنَّ التِّبْــرَ نــارٌ فــي ظَــلامٍ   وَهُــمْ مِــنْ حَــوْلِ صُــفْرَتِهِ فَــراشُ[2]
يُــدارُ الْغَــيُّ بــينَ يَدَيْــهِ صِــرْفاً   فَتَغْمُــرُهُ الْبَــشاشَةُ والهَــشاشُ[3]
وإنْ مَــرَّ الرَّشَــادُ بِــهِ تَثَنَّــتْ   وَكَــشَّتْ تَحْــتَ بُرْدَتِــهِ رَقــاشُ[4]
لَحــا اللهُ الْغَوايَــةَ مِــنْ طَريــقٍ   يُنــالُ بِــهِ طَعــامٌ أَوْ رِيــاشُ[5]

□ □ □

---

(١) الهراش: الخصام والقتال، وهو مستعار من هراش الكلاب، يقال: تهارشت الكلاب، واهترشت: تحرشت بعضها على بعض وتواثبت.

(٢) التبر: ما كان من الذهب غير مضروب، فإن ضرب دنانير، فهو عين. الفَراش: جمع الفراشة التي تهافت في السراج.

(٣) الغي: الضلال. الصِّرْف: الخالص. الهَشاش: الارتياح والخفة والنشاط.

(٤) كشَّت: عضت بفيها وانتزعت. الرقاش: الحية.

(٥) الغَواية: الغي. الرياش: لباس فاخر كريش الطائر في نعومته.




قافية الصاد

التعليم الدّيني بمدارس الحكومة وجامعاتها

كَـمْ بَنـى ساسَـةُ العُلـومِ بِمِـصْرٍ ... مِـنْ صُـروحٍ رَصـينَةٍ وَصَياصـي[1]
وَبَلَوْنـــا بُنْيانَهـــا فَلَمَـــسْنا ... ثَغْـرَةً لَـمْ يَـسُدَّها كَـفُّ راصـي[2]
وإذا فُلَّـــتِ القِـــلاعُ فَهـــاتوا ... فارِقـاً بَيْنَهـا وبَـيْنَ الخِـصاصِ[3]
حـامِيَ الْعِلْـمِ إِنَّ فـي الـدِّينِ بَحْـراً ... حـافِلاً بِـالحُلِيِّ سَـهْلَ المَغـاصِ[4]
يَرْفَـعُ الـنَّفْسَ مِـنْ جُحـودٍ فَتَغْلـو ... بالهُـدى بَعْـدَ شَـقْوَةٍ وارْتِخـاص[5]
ويُريهـا نَهْـجَ الْمَعـالي سَـوِيّاً ... غَيْـرَ نـاءٍ عَنْهـا ولا مُتَعـاصِ
ويَهُـــزُّ الأَرواحَ بالمُثُـــلِ الأَبْـــ ... ـكارِ هَزَّ الحُداةِ رَكْبَ الْقِلاصِ[6]

---

(١) الصروح: جمع الصرح: القصر، وكل بناء عالٍ. الصياصي: جمع صيصة، وهي الحصن وكل ما امتُنع به.

(٢) الراصي: المحكم المتقن.

(٣) فُلَّت: أُحدث فيها خلل، ثُلمت. الخِصاص: جمع خُصّ: بيت من شجر أو قصب.

(٤) المغاص: موضع الغوص.

(٥) ارتخاص: ارتخص الشيء: عدّه رخيصاً.

(٦) الأبكار: جمع البكر: العذراء، وأول مولود لأبيه، وأول كل شيء. الحداة: =

هُـوَ سَـيْفٌ نَـضاةُ كَـفُّ حَكـيمٍ ... لِيُـذيقَ الطُّغـاةَ حَـرَّ الْقِـصاصِ[1]
جـاءَ يَهْـوي بِمِـلْءِ جَنْبَيْـهِ هَـدْياً ... وعُقــولُ الأَنــامِ فــي أَقْفــاصِ
فَـكَّ عنْهـا الإِسـارَ والخَيْـرُ فـي أَنْ ... يَفْحَصَ الْعَقْـلُ كُـلَّ دانٍ وقـاصِ[2]
وحَيــاةُ الإنــسانِ مَيْــدانُ حَــرْبٍ ... ما لَـهُ عَـنْ وُرودِهـا مِـنْ مناصِ[3]
وأخـو الـدِّينِ يَحْتَمـي مِـنْ أذاهـا ... بِحُــسامٍ عَــضْبٍ ودِرْعٍ دِلاصِ[4]
إنَّمــا الــدِّينُ عِــزَّةٌ وعَفــافٌ ... يَصْرِفُ الطَّرْفَ عَنْ وُجوهِ المعاصـي
وحِجـاجٌ مِثْـلُ الْقَواضِــبِ إنْ لَـمْ ... يَـكُ إلاَّ الْيَقِـينُ وَجْـهَ الخَـلاصِ[5]
وَقَــوانينُ إنْ تَــصَدَّتْ لَفَــصْلٍ ... أَخَـذَتْ بـالقُلوبِ لا بالنَّواصـي[6]
لَــوْ تَــراءَتْ لِلْعَــيْنِ يَوْمــاً لَقُلْنـا ... هَـلْ لِهـذا الجُمـانِ مِـنْ قَنَّـاصِ[7]
وَكَــأَيِّنْ مِــنْ حِكْمَــةٍ لَــوْ تَبَنَّــتْ ... طَلْعَةَ الْبَدْرِ لَـمْ يُـصَبْ بانْتُقـاصِ[8]

= جمع الحادي: الذي يسوق الإبل، ويغني لها. القلاص: جمع القلوص: الشابة من الإبل.

(١) نضا السيف: سلَّه. القصاص: أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل.

(٢) الداني: القريب. القاصي: البعيد.

(٣) المناص: الملجأ والمفر.

(٤) الحسام: السيف. عضب: قاطع. دلاص: ملساء لينة.

(٥) الحِجاج: جمع حُجة: البرهان. القواضب: جمع القاضب: السيف القطّاع.

(٦) النواصي: جمع ناصية: منبت الشعر في مقدّم الرأس.

(٧) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. القناص: الصيّاد.

(٨) تبنى: اتخذ ابناً.

فَمِــنَ الخَيْــرِ أَنْ يَــشُبَّ علــى آ دابِــهِ نَــشْؤُنا بِغَيْــرِ خِــصاصِ[1]
وَيْــحَ نَـشْءٍ مِــنَ الـصَّباءِ بِطـانٍ وَمِـنَ الرُّشْـدِ والتُّقـاةِ خِمـاصِ[2]
حَامِيَ الْعِلْـمِ أَقْـرِضِ الـشَّرْعَ حَظّـاً فائِقـاً مِــنْ رِعايَــةٍ واحْتِــراصِ[3]
والـرَّئيسُ الهُمـامُ مَـنْ لا يُجـاري شَهَواتِ الأَحْـزابِ والأَشْـخاصِ[4]
يَتَــوَخَّى الإِصْـلاحَ أَنَّـى تَبَـدَّى بِجَــلاءٍ لِفِكْــرِهِ الغَــوَّاصِ[5]

❒ ❒ ❒

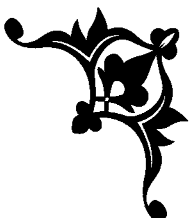
(١) شبّ: صار فتياً.

(٢) الصَّباء: جهلة الفتوة. بطان: جمع بطين: العظيم البطن. خماص: جمع خميص: الضامر البطن.

(٣) الاحتراص: الحرص والاجتهاد.

(٤) الهمم: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع.

(٥) الغواص: من يغوص في البحر على اللؤلؤ ونحوه.

قافية الضاد

المحبّة الصادقة

«قالها تصويراً للصداقة الصحيحة».

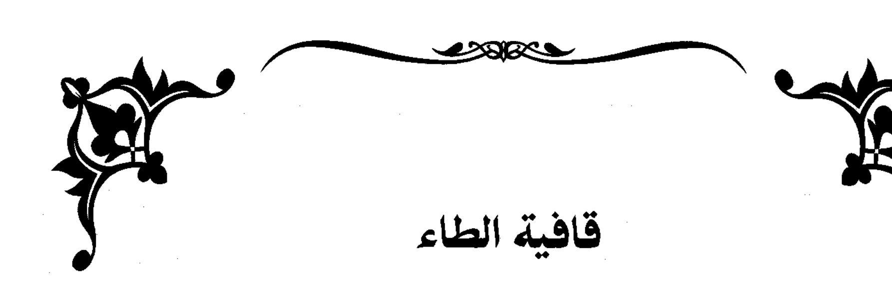
نُبِّئْـــــتُ أَنَّـــــكَ مُوجَـــــعٌ   فارْتـــاعَ قَلْبـــي وانْـــتَفَضْ[1]
مـــا ضَـــرَّ لَـــوْ كُنْـــتُ الْمَريـــ   ـــضَ وزالَ عـــن خِلِّـي المَـرَضْ[2]
وَجَـــعُ الْقُلـــوبِ أَشَـــدُّ مِـــنْ   وَجَـــعِ الجُـــسومِ إذا عَـــرَضْ
لا خِـــلَّ إلاَّ مَـــــنْ يَبيـــــ   ـــتُ إذا مَرِضْـتَ عَلـى مَـضَضْ[3]

❐ ❐ ❐

(١) نبئت: أُخبرت. ارتاع: فزع.

(٢) الخلّ: الصديق.

(٣) مضض: وجع المصيبة.



قافية الطاء

العيد في برلين

«قيلت في برلين سنة ١٣٣٣هـ، عندما أدركه عيد الفطر هناك».

أَسـوارٌ مِـنْ عَـسْجَدٍ وجُمـانٌ   تَقْتَنيـهِ الحِـسانُ فـي الأَقْـراطِ[1]

أَمْ هِـلالٌ حَفَّتْـهُ فـي لَيْلَـةِ الْعيـ   ـدِ نُجـومٌ بِبَهْجَـةٍ واغْتِبـاطِ

هَـذِهِ طَلْعَـةُ الهِـلالِ وَمـا لـي   لَمْ أَجِدْ في الْفُؤادِ بَعْضَ انبِساطي

يَـوْمُ عيـدٍ وَمـا تفتّـقَ كِـمٌّ   عَـنْ أَنيسٍ ولا كَـسَمِّ الخِيـاطِ[2]

ما تَملّـى سَمْعي تَهانِئَ صيغَتْ   فـي قُلـوبٍ مَوْصـولةٍ بِنيـاطي[3]

أَيْـنَ جيرانُنـا، وأَيْـنَ المُـصلّى،   وخطيـبٌ يَهْـدي لِخَيْـرِ صِـراطِ[4]

---

(١) العسجد: الذهب. الجمان: اللؤلؤ. الأقراط: جمع القرط: ما يعلق في شحمة الأذن من درة ونحوها.

(٢) الكِمّ: الغلاف الذي ينشق عن الثمر، غطاء الزهر. سم الخياط: ثقب الإبرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[الأعراف: ٤٠].

(٣) النياط: الفؤاد.

(٤) الصراط: الطريق.

أَيْـنَ مِنِّـي شَـفيقَةُ الْقَلْـبِ تُهْـدي دعَـواتِ مِثْـلَ الظِّبـاءَ عَـواطي[١]
لَـوْ تَقَاضَـيْتُ فـي اغْتِرابِـيَ أَمـراً نهَــضَتْ هِمَّتــي لَــهُ ونَــشاطي
لأَدَرْتُ الْعِنــانَ نَحْــوَ دِمَــشْقٍ وَحَمِدْتُ السُّرى على الأَشْـواطِ[٢]

يا منطقياً

«قالها في مجلس أدب بمصر ذُكر فيه بيتان من النسيب ملمَّح بهما إلى مسألة منطقية»[٣].

يـا مَنْطِقِيّـاً عِـشْتَ أَحْقابـاً وَلَـمْ تَبْرَحْ تَقـولُ لِمَـنْ يَعـي ويُخَطِّـطُ[٤]
الـشَّمْسُ كُلِّـيٌّ ولـيسَ لَـهُ سِـوى فَـرْدٍ يُـصَعِّدُ فـي الـسَّماءِ وَيَهْبِـطُ
لَـوْ آنَـسَتْ عَيْنـاكَ طَلْعَـةَ عِـزَّةٍ لَـدَرَيْتَ أَنَّـكَ قَـدْ تَقـولُ فَـتَغْلَطُ

❑ ❑ ❑

---

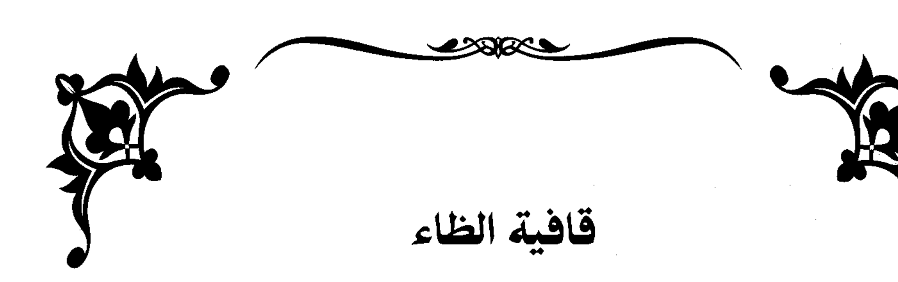
(١) شفيقة القلب: يقصد بها والدته المتوفاة بدمشق في رمضان سنة ١٣٣٥هـ. الظباء: الواحد ظبي، وهو الغزال.

(٢) السُّرى: سير عامة الليل. الأشواط: الواحد شوط: الجري مرة إلى الغاية.

(٣) البيتان هما قول الشاعر:

مـا للقيـاس الـذي مـا زال مـشتهرا للمنطقيـين فـي الـشرطي تـسديد
أمـا رأوا وجـه مـن أهـوى وطرتـه الـشمس طالعـة والليـل موجـود

(٤) المنطقي: نسبة إلى المنطق، وهو الكلام. الأحقاب: الدهور.



قافية الظاء

رثاء أبي حاجب

«قال هذه الأبيات بمصر، عندما تلقى نبأ وفاة أستاذه العلامة الشيخ سالم أبي حاجب سنة ١٣٣٩هـ».

فَقَدتْ سَماءُ المَجْدِ بَدْراً عَزَّ أَنْ ... تَحظى بِرُؤْيَةِ مِثْلِهِ الأَلْحاظُ(١)

بَدْرٌ سَناهُ هِدايَةٌ وَمعارفٌ ... وشُعاعُهُ الأَقْلامُ والأَلْفاظُ

أَوْدى الحِمامُ «بسالمٍ» فَبَكاهُ مِنْ ... فَرْطِ الأَسى الْعُلَماءُ والوُعَّاظُ(٢)

لَمْ أَدْرِ إِذْ نَعَقَ النَّعِيُّ أَراعني ... مَنْعاهُ أَمْ لَفَحَ الْفُؤادَ شُواظُ(٣)

يَلْقى حُماةُ النَّحْوِ في نَظَراتِهِ ... نَبْلاً إذا أَعْيا الحُماةَ حِفاظُ

يَتَرَسَّمونَ بِهِ الخَليلَ كَأَنَّما ... شَهِدَتْهُ أَعْيُنُهُمْ وَهُمْ أَيْقاظُ(٤)

---

(١) الألحاظ: جمع لحظ: باطن العين.

(٢) الحمام: قضاء الموت وقدره. سالم: سالم بو حاجب: ومرت ترجمته.

(٣) نعق: صاح. النعي: الذي يأتي بخبر الموت. شواظ: لهب لا دخان فيه.

(٤) يترسمون: ينظرون ويتأملون. الخليل: (١٠٠ ـ ١٧٠هـ) الخليل بن أحمد الفراهيدي، إمام اللغة والأدب، وواضع علم العروض، ولد ومات بالبصرة، وهو أستاذ سيبويه. له مؤلفات عديدة.

وكـأَنَّ دَرْسَ الْفِقْـهِ مَجْلِسُ مالِـكٍ   وكَأَنَّمـا دَرْسُ الْبَيـانِ عُكـاظُ(١)
وَيغوصُ في دَرْسِ الحَديثِ على حُلًى   غَفَلَـتْ عَـنِ اسْـتِنْباطِها الحُفّـاظُ(٢)
وإذا تَـسَنَّمَ لِلْخَطابَـةِ مِنْبَـراً   لانَتْ قُلـوبٌ كالـصُّخور غـلاظُ(٣)
رُحْمى له قـد كـانَ لـي مِـنْ عَطْفِـهِ   وَجَنـى قَريحَتِـهِ اللَّذيـذِ حِظـاظُ(٤)

بين الشفقة والشوق

«قالها عند زيارة بعض الأصدقاء في تونس».

وأديـبٍ أَيْقَظْتُـهُ مِـنْ رُقـادٍ   لِنَـصيدَ الإينـاسَ مِـنْ أَلْفاظِـهِ
طـابَ فـي جَفْنِـهِ النُّعـاسُ وَظنَّـتْ   رُفْقَـةٌ أَنْ تَهـيجَ نـارُ اغْتِياظِـه(٥)
وَصـحا باسِـماً وَحيًّـا فَأَبْـصَرْ   نـا سَـنا الْبِـشْرِ جـالَ فـي أَلْحاظِـهِ
نَحـنُ نَهْـوى لَـهُ الهَنـاءَةَ لَكِـنْ   حَـرُّ شَـوْقٍ دَعـا إلـى إيقاظِـه

---

(١) مالك: (٩٣ ـ ١٧٩هـ) الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة، وإليه تنسب المالكية، ولد وتوفي بالمدينة المنورة، له كتاب «الموطأ»، ومؤلفات أخرى.

(٢) غاص على المعاني: بلغ أقصاها حتى استخرج ما بَعُدَ منها. استنبط: استخرج.

(٣) تسنم: علا. المنبر: كان الأستاذ بو حاجب خطيباً بجامع «سبحان الله» في مدينة تونس.

(٤) حِظاظ: جمع حظ، وهو النصيب والجَدّ.

(٥) الرفقة: الجماعة ترافقهم في سفرك. الاغتياظ: الغضب، وقيل: هو الغضب الكامن للعاجز.



قافية العين

أعمار زائفة[1]

نَفِـدَ العُمْـرُ وفـي الْقَلْـبِ ارْتِيـاعُ　　وارْتِجـاعُ الْعُمْـرِ مـا لا يُـسْتَطاعُ[2]
مَثَلــي لَمَّــا انْقَــضى دَهْــرٌ وَلَــمْ　　يَــكُ لــي فيــهِ نُهــوضٌ وارْتِفــاعُ
طــائِرٌ هِــيضَ جَناحــاهُ فَمــا　　دَأْبُــهُ إلاَّ جُثــومٌ واضْــطِجاعُ[3]
مُــرَّ يــا ســائِقُ بالــسُّوقِ الَّتــي　　تُعْــرَضُ الأَعْمــارُ فيهــا وتُبــاعُ
عَلَّنــي أَبْتــاعُ عُمْــراً أُفْعِمَــتْ　　مِنْــهُ بالإِحْـسانِ أَعْــوامٌ وسِــاعُ[4]

* * *

قِيــلَ: هــذا عُمْــرُ مُثْــرٍ غَمَــرَتْ　　ســاحَهُ الْفِــيحَ زُروعٌ وَرِبــاعُ[5]

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر من المجلد الرابع عشر.

(٢) نفِد: فني وذهب. الارتياع: الفزع.

(٣) هِيض: كُسر بعد الجبور. جثوم: يقال: جثم الطائر: لزم مكانه فلم يبرح، أو وقع على صدره.

(٤) أفعم: ملأ. وِساع: جمع وسيع: ضد الضّيق.

(٥) مثرٍ: غني. الفيح: السعة. رِباع: جمع رَبْع، وهي الدار بعينها حيث كانت.

قُلْـتُ: عُمْـرٌ مِلْـؤُهُ الْبِـرُّ وَكَـمْ　　سَـعِدَتْ فيـهِ عُـراةٌ وجِيَـاعُ[١]
فَـإذا الإمْـساكُ يُـوحي حَوْلَـهُ:　　ما لِهذا الْعُمْرِ في الإِحْسانِ بـاعُ[٢]

* * *

قيـلَ: هـذا عُمْـرُ والٍ كـانَ إنْ　　أَمَـرَ النـاسَ اسْـتَكانوا وَأَطـاعوا[٣]
قُلْـتُ: عُمْـرٌ كالـسَّماءِ امْـتَلأَتْ　　بِـالنُّجومِ الزُّهْـرِ يَعْلوهـا شُـعاعُ
فَـإذا الإتْـرافُ يُـوحي حَوْلَـهُ:　　هَـمُّ هـذا الْعُمْـرِ لَهْـوٌ وَرِتَـاعُ[٤]

* * *

قيـلَ: هـذا عُمْـرُ حَبْـرٍ كـانَ فـي　　بَيْتِـهِ كُتُـبٌ وفـي الْكَـفِّ يَـراعُ[٥]
قُلْـتُ: عُمْـرٌ كَـسَحابٍ غَيْثُـهُ　　حِكْمَـةٌ غَـرَّاءُ أَوْ فَتْـوى تُـذاعُ
فَـإذا الأَهْـواءُ تـوحي حَوْلَـهُ:　　حَشْوُ هذا الْعُمْـرِ خَـبٌّ وابْتِـداعُ[٦]

* * *

---

(١) البِر: الخير والفضل والصلة.

(٢) الإمساك: البخل. الباع: قدر مدّ اليدين.

(٣) الوالي: الحاكم.

(٤) الإتراف: الترف، التنعم. الهَمُّ: ما همَّ به الرجل، أو أجال فكره لفعله وإيقاعه. الرتاع: الأكل والشرب في رغد وسعة.

(٥) الحبر: العالم الصالح. اليراع: القصب، ويقصد بها: القلم.

(٦) الأهواء: جمع الهوى: ميل النفس إلى الشهوة. الخبّ: الخداع. الابتداع: زيادة في الدين، أو نقصان منه بعد الإكمال.

قيـلَ: هـذا عُمْـرُ راعٍ وُضـِعَتْ تَحْـتَ رَعْيـاهُ عُقـولٌ وطِبـاعُ[١]
قُلْـتُ: عُمْـرٌ يُرْتَجى مِنْـهُ عُـلا لِبَنـي الْعِلْـمِ وَرُشْـدٌ واجْتِمـاعُ
فـإذا الخَيْبَـةُ تـوحي حَوْلَـهُ: سِـرُّ هـذا الْعُمْـرِ زَهْـوٌ وَخِـداعُ[٢]

* * *

قيلَ: هـذا عُمْرُ قـاضٍ يُبْصِرُ الْـ ـحَقَّ إذْ يَعْلـو ادِّعـاءٌ ودِفـاعُ
قُلْـتُ: عُمْـرٌ طالمـا زالَـتْ بِـهِ إحَـنٌ بَـيْنَ خُـصومٍ ونِـزاعُ[٣]
فَـإذا الرَّشْـوَةُ تـوحي حَوْلَـهُ: شَأْنُ هـذا العُمْـرِ حَيْـفٌ وطِمـاعُ[٤]

* * *

قيـلَ: هـذا عُمْـرُ أَسْـتاذٍ رَوَى وَرأَى، والْعِلْـمُ رَأْيٌ وسَـماعُ
قُلْـتُ: عُمْـرٌ مِثْـلُ وادٍ مُمْـرِعٍ طابَ في مَرْعـاهُ لِلنَّـاسِ انْتِجاعُ[٥]
فَـإذا الْعَـيُّ يُنـادي حَوْلَـهُ: فاتَ هذا الْعُمْرَ غَوْصٌ واخْتِـراعُ[٦]

* * *

قيـلَ: هـذا عُمْـرُ داعٍ لِلتُّقـى يَـأْمُرُ النَّـاسَ وَيَنْهـى فَيُطـاعُ

---

(١) رعياه: رعايته وحفظه.
(٢) الزهو: الكذب، والكبر والتيه، والظلم.
(٣) الإحن: جمع الإحنة: الحقد والغضب.
(٤) الحيف: الجور والظلم. الطماع: الطمع.
(٥) الممرع: المخصب. الانتجاع: الرحيل في طلب الكلأ.
(٦) العي: يقال: عيَّ بأمره، وعن أمره: لم يهتد لوجه مراده، ولم يطق إحكامه.

قُلْتُ: عُمْرٌ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَمْ يَكُ في أوقاتِهِ وَقْتٌ مُضاعُ
فَإذا الخُسْرُ يُنادي حَوْلَهُ: فاتَ ذا الْعُمْرَ امْتِثالٌ وارْتِداعُ

* * *

قيلَ: هذا عُمْرُ مَنْدوبٍ لأَنْ يَشْهَدَ الشُّورى وأراءً تُشاعُ
قُلْتُ: عُمْرٌ يُنْقِذُ الحَقَّ إذا هاجَمَ الحَقَّ لُصوصٌ أَوْ سِباعُ
فَإذا الْعَجْزُ يُنادي حَوْلَهُ: فاتَ هذا الْعُمْرَ نُطْقٌ واسْتِماعُ

* * *

قيلَ: هذا عُمْرُ ذي سَيْفٍ لَهُ طَعْنَةٌ نَجْلاءُ إنْ ثارَ النِّقاعُ(١)
قُلْتُ: عُمْرُ الْعِزِّ، والأَبْطالُ إنْ هوجِمَ الْقَوْمُ دُروعٌ وقِلاعُ
فَإذا الرُّعْبُ يُنادي حَوْلَهُ: فاتَ ذا الْعُمْرَ طِعانٌ وقِراعُ

* * *

قيلَ: هذا عُمْرُ ساعٍ مُعْوِلٍ ضاقَ عَنْ تَرْفيهِهِ كَفٌّ صَناعُ(٢)
قُلْتُ: عُمْرٌ خَفَّ بِالعُسْرِ وَمَنْ يَحْمِلُ الْكَلَّ كَريمٌ وشُجاعُ(٣)
فَإذا السُّخْطُ يُنادي حَوْلَهُ: فاتَ هذا العُمْرَ صَبْرٌ واقْتِناعُ

* * *

---

(١) النقاع: جمع النقع، وهو الغبار.

(٢) المعول: كثير العيال. الصَناع: يقال: رجل صَناع اليدين: أي: حاذق في الصنعة.

(٣) الكلّ: اليتيم، الثقيل لا خير فيه، والضعيف.

يـــا رَفيقـــاً طالَمـــا أَفْــصَحَ لــي عَــنْ خَبايـا فَــانْجَلى عَنْهـا الْقِنـاعُ
لِـمَ لا يُعْـرَضُ فـي الـسُّوقِ سِـوى عُمُــرٍ لَــمْ يَرْضَــهُ إلاّ الرَّعـــاعُ(١)
قــالَ: جَـدَّ الجِـدُّ، مـا مِـنْ عُمُـرٍ ناصِــعِ الطَّلْعَــةِ فــي الــدُّنْيا يُبــاعُ

تحية المقام النّبوي ومناجاة الرّسول

«من قصيدة ألقاها أمام المقام النبوي سنة ١٣٣١هـ».

أُحَيِّــكَ والآمــاقُ تُرْسِــلُ مَـدْمَعا كَــأَنِّيَ أَحْــدو بِالــسَّلامِ مُوَدِّعــا(٢)
ومــا أَدْمُـعُ البُـشْرى تَلـوحُ بِوَجْنَـةٍ سِوى ثَغْـرِ صَـبٍّ بالوِصـالِ تَمتَّعـا
وَقَفْتُ بِمَغْنىً كانَ يا أَشْرَفَ الـوَرى لِطَلْعَتِكَ الحُسْنى مَصيفاً ومَرْبَعـا(٣)
فَذا مَوْقِفٌ لامَـسْتُ فيـهِ بِأَخْمَـصي أَجَـلَّ مِـنَ الـدُّرِّ النَّضيدِ وأَرْفَعـا(٤)
وذلِـكَ مَرْقـى كُنْـتَ تَـصْدَعُ فَوقَـهُ بِما حازَ في أَقْـصى الْبَلاغَـةِ مَوْقِعـا
وذاكَ مُــصَلًّى طالَمــا قُمْــتَ قانِتــاً بِهِ، وَيَقومُ الصَّحْبُ خَلْفَكَ خُـشَّعا(٥)
وَذي حُجْـرةٌ كــانَ الأَمــينُ يَؤُمُّهــا بِــوَحْيٍ فَكَانــتْ للــشَّريعَةِ مَنْبَعــا
وَأَرْوَعُ مــا شَــقَّ الْفُــؤادَ بِحَــسْرَةٍ وَهــاجَ بِــهِ الأَشْـجانَ حَتّـى تَقَطَّعـا

---

(١) الرَّعاع: السفلة من الناس، الواحد رعاعة.

(٢) الآماق: جمع المأق: مجرى الدمع من العين.

(٣) المغنى: المنزل. المصيف: المكان يقيمون فيه صيفاً. المربع: الموضع يُقام فيه في فصل الربيع.

(٤) الأخمص: القدم، أو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.

(٥) القانت: القائم بالطاعة الدائم عليها، والمصلّي.

تَخاذُلُ حالِ المُسْلِمينَ وما أَتى ... مِنَ الخَطْبِ في أَرْجائِهِمْ وتَجَمَّعا
وما شَأْنُنا إلاَّ كَعِقْدٍ تَناثَرَتْ ... جَواهِرُهُ في سَطْحِ أَحْدَبَ أَنْزَعا[١]
فَهذا يُحاذي في قَضاياهُ نَزْعَةً ... تَخُطُّ وَراءَ الحَقِّ للنَّاسِ مَرْتَعا[٢]
وهذا يَصوغُ الْقَوْلَ في قالَبٍ يُرى ... بِجانِبِهِ قَوْلُ الشَّريعَةِ أَوسَعا
وذاكَ يُنادي بالضَّلالةِ ماسِحاً ... بِصَبْغَةِ دينٍ كَيْ يَغُرَّ ويَخْدَعا
ونِمْنا على الآذانِ نَوْمَةَ جاهِلٍ ... بِما يَضَعُ المُسْتَيْقِظونَ لِنُصْرَعا
ولَمْ نَسْتَفِقْ لِلْقَوْمِ حتّى تَحَفَّزوا ... وَأَوْجَسَ كُلٌّ بَيْنَ جَنْبَيْهِ مَطْمَعا[٣]
ولَمْ نَسْتَفِقْ لِلْقَوْمِ إذْ كُلٌّ انْتَضَى ... لِيَظْفَرَ باسْتِعْبادِنا السَّيْفَ مَقْرَعا[٤]
ولَمْ نَسْتَفِقْ للقارِعاتِ وقَدْ جَنَتْ ... إلى مُهْجَةِ الإسْلامِ حتّى تَصَدَّعا[٥]
وفي النّاسِ مَنْ حاكَ الأَياسُ بِصَدْرِهِ ... فَجَرَّدَ أَفْراسَ الجِهادِ وأَقْلَعا[٦]
ونَدْبٌ دَرى صَرْفَ اللَّيالي وأَنَّها ... تُزَلُّ بِأَعْلامٍ وتُونِسُ بَلْقَعا[٧]

---

(١) الأنزع: الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته، والمقصود الأملس.

(٢) النزعة: نزع إلى الشيء: ذهب إليه، يقال: له نزعة إلى كذا. المرتع: الموضع الذي يتنعم فيه.

(٣) أوجس: أحس وأضمر.

(٤) انتضى السيف: استله من غمده.

(٥) القارعات: جمع القارعة وهي الداهية.

(٦) حاك: أثَّر وعمل. الأياس: القنوط.

(٧) الندب: السريع إلى الفضائل. تونس: أي: تؤنس، يقال: أنس به: ألفه، وسكن قلبه به. البلقع: الأرض القفر التي لا شيء فيها.

فَقــامَ عَلــى جِــدٍّ يُهيــبُ بِقَوْمِــهِ   لِيَرْفَــأَ فَتْقــاً أَوْ يُــشَيِّدَ مَــصْنَعا[(١)]
يَقــولُ أُنــاسٌ إنَّمــا الــدِّينُ عَثْــرَةٌ   بِسابِلَةِ العُمْرانِ تَهْوي بِمَنْ سَعى[(٢)]
رَمى بِهِـمُ التَّقْليـدُ فـي إثْـرِ مُلْحِـدٍ   ولم يكْشِفوا عن مِيسَمِ الحَـقِّ بُرْقُعـا[(٣)]
تجَلَّيْتَ في شَعْبٍ جَرى في عُروقِـهِ   دَمُ الكِبْـرِ وارْتـادَ الْغَوايَـةَ إمَّعـا[(٤)]
تَجَلَّيْتَ والْبَغْضاءُ تَـشْوي صُـدورَهُمْ   بِنــارٍ فَأَصْــلَتْها قُلوبــاً وأَضْــلُعا
فَلَقَّنْتَهُمْ كَيْفَ الطُّمـوحُ إلـى العُـلا   إلى أَنْ عَلَوا فَوْقَ السِّماكَيْنِ مَطْلَعـا[(٥)]
عَلَيْكَ سَـلامُ اللهِ مـا انْـسَجَمَ الحَيَـا   وحَيَّــا صَــباحٌ بِالــضِّياءِ وَوَدَّعــا

وما الودّ إلا عهود تُراعى

نَــشَدْتُ أَريبــاً يَجُــسُّ الطِّباعــا   وَيكْــشِفُ عَمَّــا يَريــب الْقِناعــا[(٦)]
فَمَــنْ لــي بِــهِ يَــوْمَ يُبْــدي أُنــاسٌ   إخــاءً وَهُــمْ يُــضْمِرونَ الخِــداعا
قَــضَيْتُ لَيــاليَّ فــي غِــرَّةٍ   فَلَـمْ أَعْـرِفِ الخَـبَّ إلاَّ سَـماعا[(٧)]

---

(١) رفأ: أصلح.

(٢) السابلة: الطريق المسلوكة.

(٣) الميسم: أثر الجمال، يقال: امرأة ذات مِيْسَم؛ أي: ذات حسن وجمال. البرقع: ما تستر به المرأة وجهها.

(٤) الإمَّع، والإمَّعَة: الرجل يتابع كل أحد على رأيه، ولا يثبت على شيء.

(٥) السماكان: كوكبان نيّران يقال لأحدهما: السماك الرامح، والآخر: السماك الأعزل.

(٦) نشدت: طلبت. الأريب: الماهر البصير.

(٧) الغرة: الأول من الشهر. الخب: الخدّاع.

أُبــاهي بِــأَنَّ عِــدادَ الأُلــى ... أَصــاحِبُ يَــزْدادُ ســاعاً فَــساعا

أَبيــتُ علــى عَهْـدِهِمْ ســاهِراً ... ومــا الْــوِدُّ إلاَّ عُهــودٌ تُراعــى

ولَــمْ أَكُ أَنْقُــدُ خاطِــبَ وُدٍّ ... كَمــا يَنْقُـدُ النَّـاسُ تِبْـراً مُباعــا[١]

ومَــنْ عــاشَ لاقــى ابْتِـسامَةَ خِـلٍّ ... عَلى شَـفَتَيْ مَـنْ يَـدُسُّ الْقِـذاعا[٢]

ولَــوْلا أَخٌ يَنْـشُرُ الحُـبَّ مـا الْتَــ ... ـقَيْنا علــى وَجْنَتَيْـهِ شُـعاعا[٣]

رأَيْــتُ الهُـدى أَنْ أَعـيشَ وَحيـداً ... ولا أَصْـحَبُ الـدَّهْرَ إلاَّ الْيَراعــا[٤]

خائنو أوطانهم

عُجْــتُ يَوْمــاً بِريــاضٍ أَجْتَنــي ... عِبَــراً مِمَّــا أَرى أَو أَسْــمَعُ[٥]

فَلَمَحْــتُ الْفَــأْسَ مُلْقــاةً ومِــنْ ... حَوْلِهــا أَعْنــاقُ دَوْحٍ خُـضَّعُ[٦]

دَوْحَــةٌ تَلْحَظُهــا قائِلَــةً ... والأَســى ســاوَرَها والْفَــزَعُ

هــذِهِ قاصِــمَةُ الظَّهْــرِ متــى ... نزَلَـتْ بِالـدَّوْحِ حـانَ المَـصْرَعُ[٧]

فَأَجابَــتْ جــارَةٌ تُطْفِــئُ مِــنْ ... رَوْعِهــا والــرَّوْعُ نــارٌ تَلْــذَعُ

---

(١) التبر: الذهب.

(٢) القذاع: الخنا والفحش.

(٣) ما التقينا: أي: مدة التقائنا.

(٤) اليراع: القصب، ويعني به: القلم.

(٥) عاج: أقام. العبر: جمع العبرة: العظة يُتَّعظ بها.

(٦) الدوح: جمع الدوحة: وهي الشجرة العظيمة.

(٧) قاصمة: يقال: نزلت بهم قاصمة الظهر؛ أي: أصابهم الهلاك.

لا يَرُوعَنْكِ الحَديدُ الصُّلْبُ في أَرْضِنا يَنْحَطُّ أَوْ يَرْتَفِعُ
فَهْوَ ما لَمْ يَلْقَ مِنْ أَعْوادِنا عَضُداً يُسْعِدُهُ لا يَقْطَعُ(١)
قُلْتُ: مَرْحى! حِكْمَةٌ لَوْ ساغَها خائِنو أَوطانِهِمْ لارْتَدَعوا

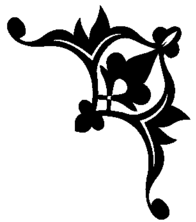
لم أذق طعم الذل

إذا ما تَلاقَيْنا وطَرْفُكَ طامِحٌ إلى عِزَّةٍ أَطْرَقْتُ طَرْفي تَواضُعا
وإنْ تَلْقَني يَوْماً وأَنْفُكَ شامِخٌ رَأَيْتَ فَتىً بَيْنَ السِّماكَيْنِ طالِعا
وما ذُقْتُ طَعْمَ الذُّلِّ لَكِنْ أَعافُهُ كما عِفْتُ سُمّاً في فَمِ الصِّلِّ ناقِعا(٢)
ولا أَرْتَدي بِالكِبْرِ أَسْحَبُ ذَيْلَهُ وَلَوْ جاءَ في أَسْمى الأَماني طائِعا

❒ ❒ ❒

(١) العضُد: الساعد، وهو من المرفق إلى الكتف. وهنا بمعنى: الناصر والمعين.

(٢) الصل: الحية، وقيل: الحية الدقيقة الصفراء. سم ناقع: أي: بالغ قاتل ثابت.

قافية الغين

كرم الأصل

«قالها في مصر سنة ١٣٦٥هـ تصويراً لحالة التلميذ الطيب المنبت».

تَقَلَّدْتَ في صَدْرِ الحَياةِ عَزيمَةً ... وباكَرْتَ تَجْني الْعِلْمَ والْعَيْشُ رابِغُ(١)
فكنت ترى الأيام غُرًّا سواسياً ... كأسنان مشط ليس فيها زوائغ(٢)
وكُنْتَ تَخالُ النّاسَ طُرّاً مَلائِكاً ... لِكُلِّ امْرِئٍ بُرْدٌ مِنَ الطُّهْرِ سابِغُ
وتَحْسَبُ مَنْ يَشْكو الزَّمانَ وأَهْلَهُ ... يُزَوِّرُ في تَخْييلِهِ ويُبالِغُ
سَميرُكَ سِفْرٌ والدُّروسُ حَدائِقٌ ... وَإِنْ أَقْبَلَ الأُستاذُ فالبَدْرُ بازِغُ
تُراوِحُ بَيْنَ الدَّرْسِ والْبَيْتِ دائباً ... لِتُحْرِزَ ما يَصْبو إِلَيْهِ النَّوابِغُ
وَوَفَّيْتَ أَيّامَ التَّلَقّي حُقوقَها ... فَرأْيُكَ وَضّاحٌ وقَوْلُكَ دامِغُ
وصِرْتَ تُصافي النّاسَ أَنّى لَقيتَهُم ... وقَلْبُكَ مِنْ سوءِ الأَظانينِ فارِغُ
وحَسْبُ السُّرى في بُغْيَةِ الْعِلْمِ أَنَّها ... وَقَتْكَ فَلَمْ يَنْزَغْ فُؤادَكَ نازِغُ(٣)

---

(١) تقلد السيف: احتمله، ووضع نجاده على منكبيه. رابغ: ناعم.

(٢) سواسياً: متساوية.

(٣) السرى: سير عامة الليل. نزغ: أفسد وأغرى.

وأَعْطَتْـكَ مـا فـوْقَ الحُلِـيِّ نفَاسَـةً ... وهَلْ صاغَ كالإخْلاصِ في الودِّ صـائِغُ[1]

يَروعُكَ أَنْ يَنْدَسَّ بَيْنَ أُولـي النُّهـى ... ذِئـابٌ عَـوادٍ أَوْ أَفـاعٍ لـوادغُ[2]

خُذِ الحَزْمَ لا يُلْهيـكَ عَنْـهُ ابْتِـسامَةٌ ... ولا رائقٌ مِنْ زُخْرُفِ الْقَـوْلِ سـائغُ[3]

❏ ❏ ❏

---

(١) الصائغ: من حرفته أن يعمل حلياً من الذهب والفضة.

(٢) أولي النهى: أصحاب العقول.

(٣) سائغ: السهل المدخل من الطعام والشراب، ويقال: شراب سائغ: عذب.



قافية الفاء

مناجاة النفس

«خواطر سنحت للشاعر في مستشفى الروضة بالقاهرة حيث أقام به ستة عشر يوماً لإجراء عملية جراحية».

مَسَّها سُقْمٌ، وفي الأَسْقامِ ما ... كانَ طُهْراً مِنْ ذُنوبٍ سالِفَهْ[1]

تَتَلَقَّاهُ عَلى صَبْرٍ وإِنْ ... كانَ رَحْلاً لِمَنونٍ خاطِفَه[2]

ثِقَةٌ مِنْها بِرُحْمى قادِرٍ ... ما لِكَرْبٍ مِنْ سِواهُ كاشِفَه[3]

مَلأَ الْعالَمَ آياتٍ هِيَ الـ ... ـزُّهْرُ والأَلْبابُ أَيْدٍ قاطِفَه

فاحْذَري أَيَّتُها النَّفْسُ هَوًى ... يَسْتَرِقُّ الْعَقْلَ قَبْلَ الْعاطِفَه

هُوَ ذا الْفُرْقانُ يُلْقي حِكَماً ... تَتَمَلاَّها فُهومٌ ثاقِفَه[4]

عِصْمَةٌ مِنْ كُلِّ ما تَكْبو بِهِ ... نَظَراتُ الفَيْلَسوفِ القائِفَه[5]

---

(١) مسها: الضمير عائد على نفس الشاعر. السقم: المرض.

(٢) الرحل: مركب للبعير. المنون: الموت.

(٣) كاشفة: أي كشف.

(٤) ثاقبة: حاذقة وفطنة.

(٥) تكبو: كبا لوجهه: انكب على وجهه. القائفة: مؤنث القائف، وهو من يعرف الآثار.

فَـــرِدي مَنْهَلَـــهُ فـــي لَهَـــفٍ   تَجِـدي طِـبَّ النُّفـوسِ اللاَّهِفَـه[١]
هــذِه الــدُّنيا كِتــابٌ فَــاعْرِفي   رَمْــزَهُ إنْ لَــمْ تَكــوني عارِفَــه
مَعْــرِضُ الأَضْــدادِ تَلْقَــيْنَ بِهــا   دُرَّةَ التَّـــاجِ وأُخْـــرى زائِفَـــه
وَوُجوهـــاً حُـــرَّةً زاهِـــرَةً   وَوُجوهـاً فـي هَـوانٍ خاسِـفَه[٢]
وعُيونـــاً بِـــالكَرى طافِحَـــةً   وعُيونـــاً بِـــدُموعٍ ذارِفَـــه[٣]
وَقُلوبـــاً فـــي المُنـــى راتِعَـــةً   وقُلوبـــاً بالمَآســـي واجِفَـــه[٤]
تَخْطُـــرُ الـــسَّرَّاءُ فـــي رَوْنَقِهـــا   فَـــإذا الْبَأْســـاءُ تَغْـــدو رادِفَـــه[٥]
إنْ جَنَتْـكِ النَّحْـلُ شَـهْداً فَـارْقُبي   أَنْ تَـــرَيْ رُقطـــاً بِـــسُمٍّ زاحِفَـــه[٦]
هِـيَ سِـلْمٌ حـينَ تَلْقـى خـامِلاً   لا يُنـــادَى لِخُطـــوبٍ آزِفَـــه[٧]
وَهْـيَ حَـرْبٌ حـينَ تلقـى ناهِـضاً   لا يَهـابُ المُرْهَفـاتِ القاصِـفَه[٨]
يَسْلَمُ الْكـوخُ وتَنْـصَبُّ علـى الْــ   ـحِـصْنِ نـارُ الطَّـائِراتِ القاذِفَـه
وَضَـعَ الـشَّيطانُ فِيهـا نُـصُباً   مِــنْ مَــلاهٍ شــاتِياتٍ صــائِفَه

---

(١) اللاهفة: المظلومة المضطرة تستغيث وتتحسر.

(٢) خاسفة: ذهبت ضوءها وأظلمت. يقال: خسف القمر: ذهب ضوءه وأظلم.

(٣) الكرى: النعاس.

(٤) واجفة: مضطربة.

(٥) السرّاء: الرخاء. رادفة: تابعة.

(٦) الرُّقط: جمع رقطاء، ويقصد بها: الحية فيها سواد يشوبه نقط بياض، أو عكسه.

(٧) آزفة: قريبة.

(٨) المرهفات: جمع مرهف: محدد مرقق الحد؛ أي: السيوف.

فَاسْــكُبي أَدْمُعَــكِ الحُمْــرَ علــى أُمَّـــةٍ ظَلَّـــتْ عَلَيْهـــا عاكِفَـــه
وَيْــحَ مَــنْ يَطْغِيــهِ عَــيْشٌ رافِــهٌ والحُمَيَّـــا بِالنَّـــدامى طائِفَـــهْ[١]
رُبَّ زَهْــرٍ راحَ مِــنْ خَمْــرِ النَّــدى ثَمِـــلاً فَاكْتَـــسَحَتْهُ العاصِـــفَه
لِكِفـــاحِ الــشَّرِّ قِــسْطاسٌ فَــإِنْ لَمْ تُقيمـي الـوَزْنَ كُنْـتِ الآسِـفَه[٢]
يَـصِفُ الطِّـبُّ سُـموماً لـو عَـدَتْ وَصْــفَهُ كانَــتْ سِــهاماً جائِفَــه[٣]
وأَنـــاةٌ سَـــمْحَةٌ تَكْفيــكَ فــي دَفْعِــكَ الــشَّرَّ سُــيولاً جارِفَــه[٤]
فارْشُـقي عَـنْ قَـوْسِ حِلْـمٍ تُطْفِـي نــارَ غَـيْظٍ مِـنْ صُـدورٍ راجِفَــه[٥]
لا تَـشُحِّي بِاسْـمِ «غـازٍ» عَـنْ فَتـىً ســاسَ بِــالحِلْمِ لِيُوثــاً ناكِفَــه[٦]
مَنْطِــقٌ يَلْهَــجُ بالحُــسْنى وَلَــوْ جَبَهَتْــهُ اللَّهَجــاتُ العاســِفَه[٧]
تَنْعِــقُ الْغِرْبــانُ والوَرْقــاءُ فــي دَوْحِهــا المَيَّــادِ تَــشْدو هاتِفَــه
أَنــا لَــمْ أَنْــسَ غَريبــاً زَجَّ فــي بَطْــنِ وادينــا جُنــوداً ســائِفَه[٨]

---

(١) الحميا: شدة الغضب وأوله.

(٢) القسطاس: الميزان.

(٣) عدت: جاوزت. الجائفة: الطعنة التي تبلغ الجوف.

(٤) الأناة: الحلم والوقار.

(٥) ارشقي: رشق: رمى.

(٦) ناكفة: نكف عنه: أنف منه وامتنع، فهو ناكف.

(٧) جبهته: قابلته. العاسفة: يقال: عسف الطريق: خبطه على غير هداية، والعسف: الظلم.

(٨) الغريب: المستعمر. زجّ: رمى. سائفة: أي: ذوي سيوف.

أَنْكَــدُ النَّـــاسِ حَيـــاةً أُمَّـــةٌ　　سَــلَبَتْها الحُكْــمَ أَيْــدٍ حائِفَــه[١]
لا يَروعَنْـــكِ سُـــيوفٌ وَقَنـــاً　　مُـــشْرَعاتٌ وسَـــفينٌ ناسِـــفَه[٢]
مِنْـكَ عَـزْمٌ مُرْهَـفُ الحَـدِّ وَمِـنْ　　قَـــدَرِ اللهِ صُـــروفٌ ســـاعِفَه[٣]
لا تَخـــالي خَيْرَهـــا وَقْفـــاً عَلـــى　　عَـسْجَدٍ يَهْمـــي كَعَـــيْنٍ واكِفَـــه[٤]
شَـــرُّ أَيَّامِـــكِ يَـــوْمٌ يَنْقَـــضي　　فـــي سِـــوى مَعْرِفَـــةٍ أَوْ عارِفَـــه[٥]
لا يُبـــاهي بِتَليـــدِ المَجْـــدِ مَـــنْ　　ظَـــلَّ يَوْمـــاً لا يُبـــالي طارِفَـــه[٦]
أَيُّ فَـــضْلٍ لِحَيـــاةٍ لا يَـــرى　　ناقِـــدوها غَيْـــرَ بِئْـــرٍ نازِفَـــه[٧]
فَأْنَـــسي بِـــالعَيْشِ إِنْ مَـــدَّ التُّقـــى　　مِـــنْ حَوالَيْـــهِ ظِـــلالاً وارِفَـــه
وَأْنَـسي بِـالمَوْتِ إِنْ أَصْـبَحْتِ فـي　　أُفُـــقِ الْعَلْيـــاءِ شَمْـــساً كاسِـــفَه

الصّداقة وحريّة الرأي

أَيَـصْفو لـي مِـنَ الأَصْـحابِ خِـلٌّ　　لَـــهُ أَدَبٌ أَرَقُّ مِـــنَ الـــسُّلافِ[٨]

---

(١) حائفة: جائرة وظالمة.

(٢) سفين: جمع سفينة، وهي المركب.

(٣) ساعفة: مساعدة.

(٤) يهمي: يسيل لا يثنيه شي. واكفة: سالت دموعها قليلاً.

(٥) العارفة: العطية والمعروف.

(٦) التليد: المال القديم. الطارف: المال الحديث المستحدث.

(٧) بئر نازفة: التي نُزح ماؤها.

(٨) الخل: الصديق. السلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر.

أَهِــيمُ بِــهِ الحَيـاةَ وَمـا هُيـامي بِغَيْــرِ الأَلْمَعِيَّــةِ والْعَفــافِ[1]
يُنـاقِشُ أَوْ يُخـالِفُ بَعْـضَ رَأْيِـي فَــأَبْهَجُ بِالنِّقــاشِ وبِــالخِلافِ
وأُوثِــرُ أَنْ أَكــونَ مُحِــبَّ حُــرٍّ فَحُـرُّ الـرَّأْيِ أَمْثَـلُ مَـنْ تُـصافي

كبر الهمّة

يَرْمي الهُمامُ وما غَيْـرَ العُـلا هَـدَفاً ولا يُبـاكِرُ إلاَّ الرَّوضَــةَ الأُنُفــا[2]
والنَّاسُ كالـشِّعْرِ إنْ وافَيْـتَ تَنْقُـدُهُ أَلْفَيْتَ سَبْكَ الْقَـوافي مِنْـهُ مُخْتلِفـا
كَم بَيْنَ شَهْمٍ يَـدوسُ الـصَّعْبَ فـي شَـمَمٍ وخامِلٍ باتَ في مَهْدِ الهـوى دَنِفـا[3]

التلميذ العاق

بَسَطْتَ شُـعاعَ عِلْمِـكَ فـي نُفـوسٍ تَسوقُ إلَيْـكَ مـا اسْـطاعَتْ حُتوفـاً
كَـذا الأَقْمـارُ تَكْـسو الأَرضَ نـوراً وَلَــولا الأَرْضُ مـا لَقِيَـتْ خُـسوفاً

من عجيب السّحر

يَــزْعُمُ الــسَّاحِرُ زُوراً أَنَّــهُ يَقْلِـبُ الـسَّوْطَ حُـساماً مُرْهَفـا[4]
وَيُرينــا الحَبْــلَ فــي تَخْيِيلِــهِ ســاعِياً فَــوْقَ الثَّـرى مُنْعَطِفــا
يَعْجَــبُ المَــرْءُ لِــسِحْرٍ وأَرى فيــهِ سِــحْراً عَجَبــاً لَــوْ أَنْـصفا

---

(١) الألمعية: الذكاء.

(٢) الهمام: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع. الروضة الأنف: لم يرعها أحد.

(٣) الدَّنِف: الذي ثقل من المرض أو العشق، ودنا من الموت.

(٤) السوط: ما يضرب به من جلد مضفور ونحوه. الحسام المرهف: السيف القاطع الرقيق.

شَـهْوَةٌ تَحْـدو عَلـى إثْـمٍ فَـإنْ ... قُـضيَ الإثْـمُ اسْـتحالَتْ أَسَـفا
وإذا مـا لاذَ بِالـصَّبْرِ انْثَنَـتْ ... بَـيْنَ جَنْبَيْـهِ رَواحـاً وَصَـفا[١]

نشوة الشّعر

«قالها وقد رأى شخصاً في تونس أخذته هزة طرب عند سماعه قصيدة رائعة ينشدها ذو صوت جميل».

هـذا الْفَتـى ثَمِـلٌ فَقُـلْ لِنَديمِـهِ ... أَتَلَـوْتَ شِـعْراً أَمْ أَدَرْتَ سُـلافا[٢]
هاتِ الَّـذي رَقَّـتْ حَواشـي طَبْعِـهِ ... وأَدِرْ مِـنَ الـشِّعْرِ الأَنيـقِ قُحافـا[٣]
تَأْخُـذْهُ نَـشْوَةُ طـافِحٍ مِـنْ خَمْـرَةٍ ... تَـدَعُ الرَّواسـي كالرِّيـاشِ خِفافـا[٤]
ولَرُبَّمـا أَبْـصَرْتَهُ مُتَرَنِّحـاً ... ومُـصَفِّقاً أَعْيَـا اللَّهـاةَ هُتافـا[٥]

معلّم الكشّاف

حَـضَنَتْكَ ذاتُ قَـوادِمٍ وخَـوافي ... قَنعَتْ بِقُوتٍ فـي الحَياةِ كَفـافِ[٦]

---

(١) الرَّواح: وجدانك السرور الحادث من اليقين.

(٢) الثمل: السكران.

(٣) الحواشي: الجوانب. القِحاف: جمع قِحف: إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح.

(٤) طافح: ملآن. الرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ.

(٥) المترنح: المتمايل من السكر وغيره. اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم، جمع لهوات ولهيات.

(٦) القوادم: جمع قادمة، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش. الخوافي: صغار الريش، وهي تحت القوادم. القوت: ما يأكله الإنسان ويقتات به. الكفاف من القوت: ما كف عن الناس وأغنى.

3352

تَحْنو عَلَيْكَ وما دَرَتْ مَنْ ذا الَّـذي ... أَوحـى إلَيهـا بـالحُنوِّ الـضَّافي[١]

حَتَّى سَرى في جِسْمِكَ الرُّوحُ الَّـذي ... خَـلاَّكَ تُطْـرَحُ بِالـسِّياجِ الْجـافي[٢]

بارَحْـتَ قَيْـضاً كُنْـتَ فيـهِ مُحَجَّباً ... فَـاللُّؤْلُؤُ المَكْنـونُ فـي أَصْـدافِ[٣]

أَلْفَيْـتَ بَيْتَـاً لا بـساطَ بـهِ سِـوى ... لَقَطاتِ عَصْفٍ كالرِّياشِ خِفـافِ[٤]

فَجَثَمْـتَ لا مُـسْتَحْنِياً فَرْشـاً ولا ... مُسْتَوْحِـشاً مِـنْ قِلَّـةِ الأُلاَّفِ[٥]

ووَقْفَـتْ حَـوْلَ الـوَكْرِ تَرْقُـبُ أَوْبَةً ... مِنْ ذاتِ طَـوْقٍ تَغْتَـدي وتُـوافي[٦]

تُوليـكَ إسْـعافاً ورِفْقـاً والَّـذي ... سَـوَّاكَ رَبُّ الرِّفْـقِ والإِسْـعافِ

رَفَعَتْـكَ حِكْمَتُـهُ إلـى طَـوْرٍ أَبـى ... لَـكَ أَنْ تَظَـلَّ غَنيمَـةَ الخُطَّـافِ[٧]

راشَتْ جَناحَـكَ فَانْتَـضيْتَ عَزيمـةً ... وعَلَوْتَ تَكْشِفُ عَنْ قُرًى وَفَيافي[٨]

لَـوْ أَنْـصَفوكَ دَعَـوكَ فيمـا بَيْـنَهُم ... يَـوْمَ الْفَخـارِ: مُعَلِّـمَ الْكَـشَّافِ[٩]

---

(١) الضافي: السابغ.

(٢) السياج: ما أحيط به على شيء. الجافي: الغليظ.

(٣) القيض: القشرة العليا اليابسة على البيضة.

(٤) اللقطات: جمع اللقطة: الشيء تجده ملقى فتأخذه. العصف: ورق الزرع.

(٥) الألاف: جمع الإلف: العشير المؤانس.

(٦) الوكر: عش الطائر. الأوبة: الرجعة. ذات الطوق: الحمامة.

(٧) الطور: الحال، الهيئة.

(٨) راش السهم: ألزق عليه الريش.

(٩) الكشاف: يقال: كشف الشيء: أظهره، ورفع عنه ما يواريه.

منار بشاطئ نابلي

«قال هذين البيتين عند رسو السفينة بشاطئ «نابلي» وهو عائد من الآستانة إلى تونس سنة ١٣٣٠هـ».

كَأَنَّ مَناراً لاحَ في فَحْمَةِ الدُّجى ومَنْظَرُهُ المُحْمَرُّ يَبْدو ويَخْتَفي[١]
حَشًا تَقْذِفُ الأَشْواقُ فِيهِ بِجِذْوَةٍ وآوِنَةً يَرْجو الوِصالَ فَتَنْطَفي[٢]

□ □ □

(١) فحمة الدجى: أي: شدة سواد الليل.

(٢) الجذوة: الجمرة الملتهبة، القبسة من النار.



قافية القاف

ذكرى المولد

«قيلت في احتفال جمعية الهداية الإسلامية بذكرى المولد النبوي الشريف سنة ١٣٥٩هـ».

أَمِـــنْ خَفَقـــانِ أَفْئِـــدَةٍ رِقـــاقِ ... تَأَلَّقَــتِ المَــدامِعُ فــي المَــآقي[١]
إذا أَهْــدَتْ يَــدُ الإقْبــالِ بُــشْرى ... تَلَقَّتْهــا الــضَّمائِرُ باخْتِنــاقِ[٢]
كمــا اهْتَــزَّتْ غُــصونٌ لاعَبَتْهــا ... جَنــوبٌ باعْتِنــاقٍ وانْطِــلاقِ[٣]
وأَرْشَــفَها الرَّبيــعُ نَــدَى فَطابَــتْ ... رُباهــا لاصْــطِباحٍ واغْتِبــاقِ[٤]
لِلَيْلَتِنــا الفَخــارُ إذا اللَّيــالي ... تَباهَــتْ بالمَحاسِــنِ وَالمَراقــي[٥]
أشــارَتْ بالمَغيــبِ عَلــى ذُكــاءٍ ... وجــاءَتْ بالكَواكِــبِ فــي اتِّساقِ[٦]

---

(١) تألقت: لمعت. المآقي: جمع مأق: مجرى الدمع من العين.

(٢) الضمائر: القلوب والبواطن. اختفاق: خفقان.

(٣) الجَنوب: الريح المقابلة للشمال.

(٤) الاصطباح: شرب الصبوح. الاغتباق: شرب الغبوق.

(٥) المراقي: جمع المرقى والمَرقاة: الدرجة.

(٦) ذكاء: الشمس.

وَمَـدَّتْ فـي الـسَّماءِ الْبَـدْرَ كَفّـاً   تُـديرُ الأُنْـسَ بالكَـأْسِ الـدِّهاقِ(١)
ولَـــوْ أَرْخَـــتْ ذُؤابَتَهـــا لَقُلْنـــا   خُذوا هذا الـسَّوادَ إلـى الحِـداقِ(٢)
ذَكَرْنـــا إذْ تَقَلَّـــدَتِ الْمَعـــالي   حُـساماً قَـدْ تَهَيّـأَ لامْتِـشاقِ(٣)
ذَكَرْنـا كَيْـفَ لاحَ جَبِـينُ طـه   وَهَـبَّ الْفَجْـرُ يُـؤْذِنُ بانْبِـثاقِ
كَـأَنَّ الْفَجْـرَ والمـيلادَ جـاءا   لإجْـلاءِ الظَّـلامِ علـى اتِّفـاقِ
أَلا مَـنْ مُبْلِـغٌ قَمـراً تَـوارى   وسـاطِعُ نُـورِهِ فـي النَّـاسِ بـاقِ
سَـلاماً كالـصَّبا مَـرَّتْ بِـرَوْضٍ   وَلاقَتْهـا الْكَمـائِمُ بانْفِتـاقِ(٤)
أَرومُ مَديحَـــهُ وَإخــالُ أَنِّــي   سَـأَحْظى مِنْـهُ بالـسَّيْلِ الـدُّفاقِ(٥)
فَيَبْهَرُنــي عُــلاهُ كَــأَنَّ فِكْــري   تَوَثَّـبَ وَهْـو مَـشْدودُ الوَثـاقِ
تَمَلَّــى نــورَهُ صَــحْبٌ فَــأَغْنَوْا   غَناءَ النَّجْمِ فـي الظُّلَـمِ الـصِّفاقِ(٦)
نُفُـوسٌ أَخْـصَبَتْ هَـدْياً وَأَدْنَـتْ   إلـى الـدُّنْيا جَنـىً عَـذْبَ المَـذاقِ
تَحَلَّــتْ بالمَكــارِمِ وَهْــيَ أَغْلــى   مِنَ الحَلْيِ المُخَبَّأِ في الحِقـاقِ(٧)

---

(١) الكأس الدهاق: الممتلئة.

(٢) الذؤابة: الضفير من الشعر. الحداق: جمع حدقة: سواد العين الأعظم.

(٣) الامتشاق: امتشق السيف: استله؛ أي: أخرجه من غمده.

(٤) الصّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٥) السيل الدفاق: الذي يملأ جنبي الوادي.

(٦) الظُّلَم: جمع ظلمة: ذهاب النور. الصِّفاق: جمع الصفيقة: الكثيفة.

(٧) الحِقاق: جمع الحق: الوعاء.

وتُـــؤْثِرُ غَيْرَهــا بــالزَّادِ زُهْــداً وتَقْنَـعُ فـي المَعِيْـشَةِ بِالرِّمـاقِ(١)
ولا تَرْضى إذا خُطِبَتْ خِـصالُ الْـ ـــعُلا إلاَّ بِغالِيَـــةِ الـــصَّداقِ(٢)
سَـراةٌ أَحْكَمـوا الإِصْـلاحَ عِلْمـاً وَهَبُّـوا لِلْجِهـادِ علـى وِفـاقِ(٣)
دَعَــوا والحُجَّــةُ الْغَــرَّاءُ تَهْـدي إلـى سُـبُلِ الحَقـائِقِ مَـنْ تُلاقـي
وناَصَـبَهُمْ خُـصومُ الحَـقِّ حَرْبـاً فَـــلاذوا بالمُثَقَّفَـــةِ الرِّقـــاقِ(٤)
وهَـلْ يُجْـدي الأَصَـمَّ بَيـانُ قُـسٍّ وهَلْ يَـشْفي أَخـا الأَمْـواتِ راقِ(٥)
فَكَـمْ شَـرَعوا الأَسِـنَّةَ فـي كِفـاحِ وَكَـمْ مَلَـؤوا الأَعِنَّـةَ فـي سِـباقِ(٦)
وإنْ قـاموا قُنوتـاً لَـمْ يُقاسُـوا بِغَيْـرِ مَلائِـكِ الـسَّبْعِ الطِّبـاقِ(٧)
هُـمُ الأَعْـلامُ إنْ طَمَحَـتْ نُفـوسٌ إلـــى عَلْيـــاءَ واسِـــعَةِ النِّطـــاقِ

---

(١) الرماق: ما يسد الحاجة.

(٢) الصّداق: مهر المرأة.

(٣) السراة: سادة القوم ورؤساؤهم، جمع السريّ.

(٤) المثقفة: الرماح.

(٥) قس: (. . . ـ نحو ٢٣ق. هـ) قس بن ساعدة من بني إياد، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، يقال: إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه: «أما بعد».

(٦) الأعنة: جمع عنان: سير اللجام الذي تُمْسَك به الدابة.

(٧) القنوت: الطاعة والقيام في الصلاة والدعاء. السبع الطباق: السماوات السبع، مطابقة بعضها على بعض.

ولا أَدْري أَقَــوْميَ فـــي سُـــباتٍ   فَـأَرْجو صَـحْوَهُمْ أَمْ فـي سِـياقِ[١]
فَأَشْـياعُ الـضَّلالِ الْيَـوْمَ صـالوا   بِأَلْـــسِنَةٍ وأَقْـــلامٍ حِمـــاقِ[٢]
وَهُـمْ مـا بَـيْنَ إِلْحـادٍ وَقـاحٍ   وإِلحـــادٍ تَقَنَّـــعَ بالنِّفـــاقِ[٣]
وإِنْ شَـؤُمَ النُّعـاقُ فَمـا أَزاغُـوا   بِـهِ الْفَتَيَـاتِ أَشْـأَمُ مِـنْ نُعـاقِ[٤]
فَمِـنْ قِـصَصٍ تُعـاطي قارِئيهـا   شَـراباً دِيـفَ بالـسُّمِّ الزُّعـاقِ[٥]
ومِـنْ صُـوَرٍ تُثيـرُ هَـوًى وتَحْـدو   نُفوسـاً كالبُـدورِ إِلـى مُحـاقِ[٦]
أَمـا لِـشبابِ أَحْمَـدَ أَنْ يَـذودوا   خُطوبـاً كالمَطـاعِنِ فـي التَّراقـي[٧]
ويَرْمــوا لِلــسِّيادَةِ عَــنْ قِــسِيٍّ   مِـنَ الإيمـانِ والتَّقْـوى رِشـاقِ[٨]
كَفَـى مـا قَـدْ خَسِرْنا مِـنْ شَـبابٍ   رَأَوْا سُـوقَ الخَلاعَـةِ فـي نَفـاقِ[٩]

---

(١) السبات: النوم. السياق: نزع الروح.

(٢) الأشياع: الأتباع والأنصار. حماق: جمع أحمق.

(٣) الوقاح: ذو الوقاحة للذكر والأنثى.

(٤) النعاق: صياح الغراب. أزاغوا الشيء: أمالوه.

(٥) ديف: خُلط. الزّعاق: المر الغليظ.

(٦) المحاق: آخر الشهر القمري، أو ثلاث ليالٍ من آخره.

(٧) الترافي: جمع الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، أو أعلى الصدر.

(٨) القسي: جمع القوس.

(٩) نفَاق: يقال نفقت السلعة: أي: كثر طلابها.

فَغادَوْهــا، وكَيْــفَ تَــرى فَراشــاً   تَهافَتَ فـي لَظـى النَّـارِ الحِـراقِ[١]
ومــا لِلـــنَّفْسِ إنْ رَكِبَــتْ هَواهــا   وحَطَّتْ في المَجانَةِ مِـنْ خَـلاقِ[٢]
هِـــيَ الـــشَّكْوى يُرَدِّدُهـــا لِـــسانٌ   ومـا بَـيْنَ الجَـوانِحِ فـي احْتِـراقِ

ولقد ذكرتك

«قالها في دمشق مجاراة لمن نظموا على هذا الأسلوب».

ولَقَدْ ذَكَرْتُكَ في الدُّجى والجُنْـدُ قَـدْ   ضَـرَبوا علـى دارِ الْقَـضاءِ نِطاقـا[٣]
وقُـضاةُ حَـرْبٍ أَرْهَفـوا أَسْـماعَهُمْ   وصُـدورُهُمْ تَغْلـي عَلَـيَّ حِناقـا[٤]
والمُدَّعي يُغْري الْقُـضاةَ بِمَـصْرَعي   ويَـرى مُعانـاتي الـدِّفاعَ سِـياقا[٥]
أَتَــروعُ أَهْــوالُ المَنــونِ مُتَيَّمــاً   جَرَّعْتِــهِ بَعْــدَ الوِصــالِ فِراقــا

أنت ريحانة الحياة

«قالها عقب وداع أحد أصدقائه».

قُلْــتُ إذْ هَــمَّ صــاحِبي بِرَحيــلٍ   أَتُــذيقَ الحَـشا عَــذابَ الحَريــقِ
أَنْــتَ رَيْحانَـــةُ الحَيـــاةِ إذا مـــا   غِبْتَ عَنْ ناظِري غَصَصْتُ بِريقـي

---

(١) فغادوها: باكروها. نار حراق: لا تبقي شيئاً.

(٢) المجانة: الهزل. الخَلاق: النصيب الوافر من الخير.

(٣) دار القضاء: المحكمة.

(٤) قضاة حرب: الحكام العسكريون الذين حاكموا الشاعر في عهد جمال باشا بدمشق.

(٥) المدّعي: ممثل النيابة العامة، السياق: نزع الروح.

فَـابْقَ للأُنْـسِ واتْـرُكِ الْبَيْنَ يَحْـدو   بالأَعــادي إلــى مَكــانٍ سَــحيقِ

لم أضع للودّ حقاً

أَتَنَـسَّمْتَ الـصَّبا مِـنْ «حـاجِرٍ»   حَـادِيَ الأَيْنَـقُ أَمْ شِـمْتَ بُروقَـهْ(١)

عُـجْ بِـهِ نَـشْفِ بِملْقـى جيـرَةٍ   ضَـرَبوا الْخَيْمَ بِـهِ نَفْـساً مَـشُوقَه(٢)

وإذا مــا عاقَنــا بُــطْءُ الــسُّرى   عَنْ صَبوحِ الوَصْلِ أَدْرَكْنا غَبوقَـه(٣)

هاهُنــا مَــرْتَعُهُمْ، خُــذْ بِيَــدي   وَدَعِ الأَيْنُـقَ فـي الـرَّوضِ طَليقَـه

طـالَ بـي الْبَـيْنُ إلـى أنْ أَطْفَـأَتْ   نَظْـرَةٌ مِـنْ سـاكِني الْبـانِ حَريقَـه(٤)

يـا بُـدوراً حُـسْنُها ابْتَـزَّ النُّهـى   وهَواها مَـدَّ فـي الْقَلْـبِ عُروقَـه(٥)

عــادتِ الأيــامُ مِــنْ هِجْــرانِكُمْ   لِيَ خَـصْماً بَعْـدَ أنْ كانَـتْ صَـديقَه

مِـنْ دُجًـى يَقْـضيهِ جَفْنـي أَرَقـاً   وضُـحًى يُلْبِـسُهُ اللَّيْـلُ غُـسوقَه

وكَفــى جِــسْمي نُحــولاً أنْ تَخــا   لَــوهُ كــالطَّيْفِ خَيــالاً لا حَقيقَــه

لَــمْ أُضِــعْ لِلْــوُدِّ حَقّــاً، أَفَمــا   حـانَ أَنْ يَرْعـى الأَخِـلاَّءُ حُقوقَـه؟

---

(١) الحاجر: المنزل في البادية، والأرض المرتفعة ووسطها منخفض. الأنيق: جمع الناقة، وهي الأنثى من الإبل. شِمتُ البرق: نظرت إليه أين يقصد وأين يمطر.

(٢) الخيم: الخيمة: بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر.

(٣) السرى: سير عامة الليل. الصبوح: كل ما أُكل أو شُرب غدوة. الغبوق: ما يشرب بالعشي.

(٤) البان: شجر ليّن القوام، الواحدة بانة.

(٥) ابتزّ الشيء: استلبه. النهى: العقل.

الرّتيمة(١)

ما النَّجْمُ تَجْري بهِ الأَفْلاكُ في غَسَقٍ كالـدُّرِّ تَقذِفُـهُ الأَقْـلامُ فـي نَـسَقِ
لَقَدْ سَلَوْتُ مُحَيَّا البَـدْرِ إذْ طَلَعَـتْ عَقيلَـةُ الطِّـرْسِ والأَجْفـانُ فـي أَرَقِ
وكُنْتُ أَرْشُفُ مِنْ جَـدْوى بَلاغَتِهـا راحاً فَيَهْدَأُ ما في الجَأْشِ مِنْ قَلَـقِ(٢)
تَخْشى إذا أَفْصَحَتْ عَمَّا تَوَهَّجَ مِـنْ حَماسَةٍ أَنْ تَشُبَّ النَّـارُ فـي الـوَرَقِ

---

(١) كان فضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين مقيماً في دمشق مع عائلته سنة ١٣٣٨ هـ، وكان قد عزم على الارتحال منها إلى تونس، فكتب إليه الشاعر الكبير الأستاذ خليل مردم وزير خارجية سورية ورئيس المجمع العلمي بها في ذاك العهد كتاباً رقيقاً قال فيه:

«إن من خير ما أثبته في سجل حياتي، وأشكر الله عليه، معرفتي إلى الأستاذ الجليل السيد محمد الخضر التونسي وإخوانه الفضلاء، وصحبتي لهم، فقد صحبت الأستاذ عدة سنين رأيته فيها الإنسان الكامل الذي لاتغيره الأحداث والطوارئ، فما زلت أغبط نفسي على ظفرها بهذا الكنز الثمين حتى فاجأني خبر رحلته عن هذه الديار، فتراءت لي حقيقة المثل: «بقدر سرور التواصل، تكون حسرة التفاصل».

فلم يعد لي إلا الرجاء بأن يكون لي نصيب من الذكر في قلبه، وحظ من الخطور على باله، لذلك فأنا أتقدم بهذه القصيدة الوطنية لتكون لي رتيمة عنده، وذكرى أحد المخلصين إليه، أمتع الله به، وأدام الكرامة، وكتب له السلامة في حله وترحاله».

ثم أتبع الخطاب بقصيدة مطلعها:

طيـف للميـاء مـا ينفـك يبعـث لـي فـي آخـر الليـل إن هوّمـت أشـجانا

(٢) الجأش: نفس الإنسان.

فَأَلْبَسْتْها أَساليبَ النَّسيبِ، وَكَمْ ... ذاقَ الحَشا لَوْعَةً مِنْ ناعِسِ الحَدَقِ
هِيَ «الرَّتيمَةُ» فيما قالَ مُبْدِعُها ... وَهَلْ يَغيبُ السَّنا عَنْ طَلْعَةِ الْفَلَقِ[1]
إِنِّي عَلى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّ ذِكْرَكَ لا ... يَنْفَكُّ مُرْتَسِماً في النَّفْسِ كالخُلُقِ
وكَيْفَ أنسى «خليلاً» قَدْ تَضَوَّعَ في ... حُشاشَتي وُدُّهُ كالعَنْبَرِ الْعَبِقِ
وفي الوَرى خَزَفٌ لَكِنْ تَبَرَّجَ في ... نَضارةِ الذَّهَبِ الصَّافي أوِ الوَرِقِ
وَلَوْ عَصَرْتَ بِكَفِّ النَّقْدِ مُهْجَتَهُ ... لَما تَقاطَرَ غَيْرُ الضِّغْنِ والْمَلَقِ[2]
لا عَتْبَ إنْ ضاقَ باعي في الْقَريضِ فَلَمْ ... يُضِئْ كما ضاءَتِ الجوْزاءُ في الأُفُقِ
فَإِنَّ إحْساسِيَ الشِّعْرِيَّ أوشَكَ أَنْ ... يَجودَ بالنَّفَسِ الأَقْصى مِنَ الرَّمَقِ[3]
لَمْ تُبْقِ لي حادِثاتُ الدَّهْرِ مِنْهُ سِوى ... أَثارَةٍ كَبَقايا الشَّمْسِ في الشَّفَقِ[4]

صرخة المغرب[5]

يَصْرُخُ المَغْرِبُ غَيْظاً واحْتِراقا ... صَرْخَةَ النَّاهِضِ لِلْمَوْتِ اشْتياقا
لا تَلومُوهُ إذا خاضَ الوَغى ... وَرَأَيْتُمْ دَمَهُ الْغَضَّ مُراقا[6]

---

(١) الفلق: ما انفلق من عمود الصبح.

(٢) الملق: اللطف الشديد، الود.

(٣) الرمق: بقية الروح، جمع أرماق.

(٤) أثارة: بقية.

(٥) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزآن الأول والثاني من المجلد التاسع عشر.

(٦) الوغى: الصوت والجلبة، والحرب؛ لما فيها من الصوت والجلبة. الغض: الطري، الطلعُ الناعم.

هُـوَ يَلْتَـذُّ الـرَّدى إذْ يَـسْكُبُ الــ ـضَّيْمُ فـي أَكْؤُسِـهِ مـاءً زُعاقـا[١]

أَوْفَـدَ الــشَّرْقُ رِجــالاً طَبَّقــوا أَرْضَــهُ رُشْــداً وعِلْمــاً ووِفاقــا

فَانْبَرى يَـسْمو بِجَنْبِ الـشَّرْقِ فـي هِمَـمٍ تَسْتَـشْرِفُ الـسَّبْعَ الطِّباقـا[٢]

شــادَ بالعِرْفــانِ والْعَــدْلِ عُــلاً عَقَـدَت مِــنْ أَدَبِ الــدِّينِ نِطاقــا

واقْتَنــى لِلــذَّوْدِ عَــنْ ســاحَتِها مُرْهَفاتِ البِيضِ والخَيْلَ الْعِتاقـا[٣]

وجــرى الإصــلاحُ فــي آفاقِــهِ نازِفــاً أَسْــقامَهُ حَتّــى أَفاقــا[٤]

يَحْــسَبُ الوافِــدُ بِــدْءاً أَنَّــهُ جاءَ أَرْضَ الـشّامِ أَوْ وافـى الْعِراقـا

أُمَّــةٌ أَوْدَعَــتِ التّــاريخَ مــا بَهَـرَ الأَحْفـادَ مِـنْ فَخْـرٍ وَراقــا

وَصَــلَ الأَحْفــادُ مَجْــداً تالِــداً بِطَريفٍ فـازْدَهى المَجْـدُ اتِّساقا[٥]

راعَهَـمْ جُنْـدٌ غَريـبٌ حَـلَّ فـي أَرْضِـهِمْ يَخْتَرِطُ الْبِيضَ الرِّقاقـا[٦]

---

(١) الماء الزعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه.

(٢) استشرف الشيء: رفع بصره ينظر إليه، وبسط كفه فوق حاجبيه كالمستظل من الشمس. السبع الطباق: السموات السبع.

(٣) البيض: جمع الأبيض، وهو السيف. مرهفات: يقال: سيف مرهف؛ أي: محدّد مرقق الحد. العتاق: جمع العتيق: الرائع، الكريم من كل شيء.

(٤) النازف: نزف ماء البئر: أي: نزحه كله. أفاق فلان من مرضه: رجعت الصحة إليه، أو رجع إلى الصحة.

(٥) التالد: كل مال قديم. الطريف: المكتسب من المال

(٦) اخترط السيف: استله من غمده. البيض الرقاق: السيوف.

حَـسِبَ الْبَغْـيَ عَلَـيْهِمْ خَمْـرَةً فَتَعاطَـاهُ اصْـطِباحا واغْتِباقـا[١]
ذَكَـروا عَهْـدَ العُـلا والحُـرُّ مَـنْ يَـذْكُرُ الْعَهْـدَ حِفاظـاً وصَـداقا[٢]
نَهَـضوا نَهْـضَ أُسـودِ الْغَـابِ لا يَعْرِفـونَ الـدَّهْرَ لِلـذُّعْرِ مَـذاقا
ظَلَّـتِ الحَـرْبُ سِـجالاً حِقْبَـةً لَـمْ يَـنَمْ فيهـا الْفَريقـانِ فُوَاقـا[٣]
أَيُّ حَـرْبٍ وَضَـعَتْ أَوْزارَهـا أَيُّ أَمْـنٍ مَـدَّ فـي الأَرْضِ رُواقـا[٤]
بَـيْنَ أَيْـدٍ أَمْعَنَـتْ فـي عَـسْفِها وقُلـوبٍ مُلِئَـتْ مِنْـهُ حِناقـا[٥]
يَـسْفِكُ الْبـاغي دِمـاءً ذَنْبُهـا أَنَّهـا تَغْلـي إذا شَـدَّ الخِناقـا
وطَغـى فـي الأَرْضِ حَتّـى إنَّـهُ هَـمَّ بالـدِّينِ خُـسوفاً أَوْ مُحاقـا
يَنْصِبُ الأَشْراكَ كَـيْ يَـصْرِفَ عَـنْ حِكْمَـةِ اللهِ قُلوبـاً وحِـداقا
لاذَ بـالتَّجْنيسِ والقَـوْمُ أَبَـوْا خَوْفَ أَنْ يَصْلَوا بِهِ النَّارَ الحِراقـا[٦]

---

(١) الاصطباح: الشرب بالصباح. الاغتباق: الشرب بالعشي.

(٢) الصداق: إخلاص المودة والنصيحة.

(٣) حرب سجال: أي: سَجْلٌ منها على هؤلاء، وآخر على هؤلاء، يعني: أنها مرة لهم، ومرة عليهم. الحقبة: مدة لا وقت لها. الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت؛ لأن الناقة تحلب، ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر، ثم تُحلب.

(٤) الأوزار: جمع الوزر: الحمل الثقيل. الرواق: بيت، وقيل: سقف في مقدم البيت.

(٥) العسف: الظلم. الحناق: جمع الحنق، وهو الغيظ، وشدة الاغتياظ.

(٦) التجنيس: فتح باب التجنيس بالجنسية الفرنسية. الحراق: التي لا تبقي شيئاً.

وبَنُـــو المَغْـــرِبِ عُـــرْبٌ شِـــيَماً | ولِـــساناً، لا ادِّعـــاءً وَاخْتِلاقـــا
شـــادَ دونَ الـــشرقِ سَـــدّاً فغـــدا | وَصْـــلُ مـــا بَـــيْنَ الـــشَّقيقَيْنِ افْتِراقـــا
يَلْـــذَعُ الأَكْبـــادَ بـــالمُرِّ وقـــدْ | يَلْمِـــسُ الآذانَ بـــالحُلوِ نِفاقـــا
أُمَّـــةٌ أَعْهَـــدُها تَحْنـــو علـــى | ســـانِحِ الآراءِ تَبْغيـــهِ عِتاقـــا[1]
فاسْـــأَلوا أقْلامَهـــا مـــا خَطْبُهـــا | تَتَمَـــشَّى فـــي القَـــراطيسِ رِقاقـــا[2]
أَيُّهـــا الـــدَّائِبُ فـــي تَثْبيطِهـــا | وشُـــعوبٌ دونَهـــا حـــازوا الـــسِّباقا
قَـــوِّضِ الـــسَّدَّ الَّـــذي شَـــيَّدْتَهُ | قَبْـــلَ أَنْ يَجْتابَـــهُ الْقَـــوْمُ اخْتِراقـــا[3]
خُـــذْ إلـــى صَـــدْرِكَ كَفَّيْـــكَ وَدَعْ | خَيْلَهـــا تَعْـــدو إلـــى المَجْـــدِ انْطِلاقـــا
وقُـــلِ الْفَـــصْلَ إذا حـــدَّثْتَها | فَالرِّيـــاءُ الْيَـــوْمَ لا يَلْقـــى نَفاقـــا[4]
أَنْـــتَ تَبْغيهـــا خُمـــولاً وإذا | أَهَّبَتْ للـــصِّيت ضـــاعَفَتِ الوِثاقـــا[5]
مَـــنْ عَـــذولي إنْ أَنـــا مَجَّـــدتُها | يَـــوْمَ تَجْتـــاحُ قُيـــوداً ورِباقـــا[6]

عدو الملق

جِيـــرَةٌ كـــاتَمْتُهُم وُدِّي ومـــا | كَـــتْمُ وُدِّي قَـــبْلَهُمْ مِـــنْ خُلُقـــي[7]

---

(١) العتاق: يقال: عتق العبد عتاقاً؛ أي: خرج عن الرق.

(٢) القراطيس: جمع القرطاس: الصحيفة. الرقاق: جمع الرقيق، وهو المملوك.

(٣) اجتاب: خرق.

(٤) الفصل: الحق من القول. النفاق.: نافق الشخص: أظهر خلاف ما يبطن

(٥) أهّبتْ للأمر: استعدت له. الصيت: الذكر الحسن.

(٦) العذول: الكثير الملامة. الرباق: جمع الرِّبق: حبل فيه عدة عرى تشد به البهم.

(٧) الجيرة: جمع الجار. كاتم الودَّ: كتمه.

إنَّمـــا بـــاحَ بـــهِ جَفْـــنٌ جَـــرى ساعَةَ الْبَـيْنِ بِـدَمْعٍ غَـدَقِ[1]
مَـــنْ عَـذيري إنْ أَنــا وَدَّعْــتُهُمْ بِمَــآقٍ كالْجَهــامِ المُمْلِــقِ[2]
وانْثَنَــوْا بَعْــدَ النَّــوى يُغْــريهِمُ بِاللِّقــا أَنِّــي عَــدُوُّ الْمَلَــقِ[3]
فَجَلَــتْ طَلْعَــتُهُمْ مــا خَلَّفــوا مِــنْ تَبــاريحِ الأَسـى والأَرَقِ[4]
مِثْلَمــا تَجْلــو بُــدورٌ ظُلْمَــةً ضَـرَبَ اللَّيْـلُ بهـا فـي الأُفُـقِ

عند ينبوع زغوان

«زغوان: جبل قريب من مدينة تونس به عين دافقة، يجري ماؤها في أنابيب تحت الأرض إلى المدينة، وحول هذه العين قرية تسمى «زغوان»، وكان الشاعر قد زارها سنة ١٣٣١هـ، وصعد أعلى الجبل الذي يتفجر منه الماء، وهناك نظم هذين البيتين».

رَوَيْنـا عَـنِ الْمـاءِ الْمَعـينِ بِتُـونُسٍ أحاديثَ عَـنْ يَنْبـوعِ زَغْـوانَ رائِقَـه
وخـالَجَني رَيْـبٌ إلـى أَنْ عَرَضْـتُها على السَّنَدِ الْعالي فَكانَتْ مُطابِقَـه[5]

(١) البين: الفرقة. الغدق: الماء الكثير.

(٢) الجَهام: السحاب لا ماء فيه. المملق: الفقير.

(٣) الملق: اللطف الشديد.

(٤) الطلعة: الرؤية، أو الوجه. التباريح: كلف المعيشة في مشقة.

(٥) السند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح، وفي هذا البيت تورية بالسند في الحديث، وهو طريق المتن، أو هو رواة الحديث، والعالي منه ما قلّت رجاله.

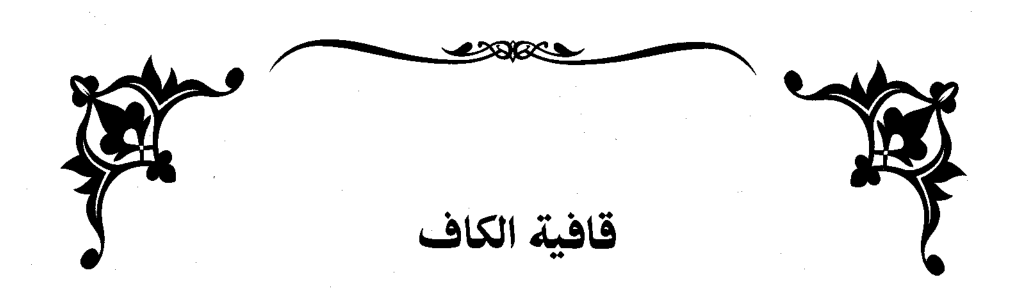
يا قطار

«قيلت عند مسير القطار بعد وداع الأهل بدمشق مسافراً إلى الآستانة سنة ١٣٣٤هـ».

أُرَدِّدُ أَنْفاساً كَذاتِ الوَقودِ إِذْ رَمَتْني مِنَ الْبَيْنِ المُشِتِّ رَوَاشِقُ[1]
وما أَنْتَ مِثْلي يا قِطارُ وإنْ نَأى بِكَ السَّيْرُ تَغْشى بَلْدَةً وتُفارِقُ
فما لَكَ تُلْقي زَفْرَةً بَعْدَ زَفْرَةٍ وَشَمْلُكَ إذْ تَطْوي الفَلا مُتَناسِقُ

❐ ❐ ❐

(١) الرواشق: يقال: رشقه بالنبل وغيره: رماه به.



قافية الكاف

الخلافة والانقلاب التركي

«قالها بمناسبة إلغاء كمال أتاتورك[1] للخلافة الإسلامية، وإعلانه أن الحكومة لادينية سنة ١٩٢٢م».

ما خَطْبُ قَـوْمٍ ـ طالَما وَصَلوكِ ... واعْتَزَّ باسْمِكِ عَرْشُهُمْ ـ هَجَروكِ[2]

حَرَسوكِ أَحْقاباً وحَلَّقَ صِيتُهُمْ ... في الخافِقَيْنِ لأَنَّهُمْ حَرَسوكِ[3]

كُنْتِ الوَقارَ على وُجوهِ غُزاتِهِمْ ... والأَمْنَ إنْ نَظَروا بِعَيْنِ ضَحوكِ

كُنْتِ الْبُطولَةَ تَزْدَري نارَ الوَغى ... والنَّصْرَ يُعْقَدُ بالْقَنا المَشْبوكِ[4]

ما زِلْتِ سِمْطَ قِلادَةٍ خَرَزاتُها ... أُمَمٌ بِأَغْلى فِدْيَةٍ تَفْديكِ[5]

---

(١) مصطفى كمال (١٨٨١ ـ ١٩٣٨م) مؤسس الجمهورية التركية، وأول رئيس لها عام ١٩٢٣م، لقب بـ «أتاتورك» أي: أبو الأتراك.

(٢) الخطب: الشأن والأمر، صغُر أو عظُم.

(٣) الأحقاب: جمع الحُقْب: ثمانون سنة، ويقال أكثر من ذلك، والدهر، والسنة. الخافقان: المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما.

(٤) تزدري: تحتقر وتستخف. المشبوك: يقال شبك الشيء: أنشب بعضه في بعض وأدخله. ويقصد الشاعر هنا: اشتباك بعضها ببعض؛ لكثرتها.

(٥) السمط: الخيط الذي ينظم فيه الخرز واللؤلؤ.

تَـصْبو إلــى دُسْـتورِكِ الأَحْــرارُ إذْ   يَضَعُ المَليـكَ بِجانِـبِ المَمْلـوكِ(١)
وَزَنَ الحُقـوقَ فَمـا الثَّـرِيُّ بِـراجِحٍ   فـي حُكْمِـهِ يَوْمـاً علـى الـصُّعْلوكِ
حتّـى تَحَكَّـمَ فيـهِ رَهْـطٌ بَـدَّلوا   خَبَثَ الحَديـدِ بِعَـسْجَدٍ مَـسْبوكِ(٢)
نَزَعـاتُ وَسْـواسٍ تَخَـبَّطَهُمْ فَمـا   لَبِـثوا أَنِ اغْتَـرُّوا بِـوَحْيِ أَفُـوكِ(٣)
حـازوا مَناصِـبَ أَفْرَغـوا سُـلْطانَها   فيما يَميـدُ بِـصَرْحِكِ الْمَـسْموكِ(٤)
نَكَثـوا بِمـا نَقَـضوهُ مِـنْ لَبِـناتِهِ   عَهْدَ الرَّسـولِ وأَغْـضَبوا أَهْليـكِ(٥)
هذا النُّشوزُ علـى الـشَّريعَةِ مُؤْذِنٌ   بِغُروبِ شَمْسِكِ بَعْدَ طولِ سُـمُوكِ(٦)
هـاجَ الـشِّقاقُ وَفَـتَّ فـي غُلَوائِـهِ   عَضُدَ اتِّحـادِ شُـعوبِكِ المَنْهـوكِ(٧)
أَوْرى الزِّنـادَ كمـا يُقـالُ عِـصابَةٌ   في الْغَرْبِ خَلْفَ سِتارِها الْمَهْتـوكِ
زادَ اللَّظـى حَطَبـاً هَـوى قَوْمِيَّـةٍ   غَشِيَ الْقُلوبَ بِرَجْفَـةِ المَوْعـوكِ(٨)

---

(١) الدستور: يريد به: الشريعة الإسلامية الغراء.

(٢) الرهط: قوم الرجل وقبيلته. خبث الحديد: ما نفاه الكير.

(٣) الوسواس: الشيطان. أفوك: كاذب، ويعني به الشيطان.

(٤) يميد: يتحرك. المسموك: الطويل والمرفوع.

(٥) نكثوا: نقضوا ونبذوا.

(٦) النشوز: يقال: نشزت المرأة: استعصت على بعلها وأبغضته. سموك: ارتفاع.

(٧) فت عضده: كسر قوته، وفرّق عنه أعوانه. المنهوك: المصاب بالمرض والضنى.

(٨) القومية: أن ينتمي كل فريق من المسلمين إلى بلده وإقليمه وصنفه، وينسى لحمة الدين، وقد كان هذا سبب ضعف المسلمين وذهاب ريحهم.

عَبَرَ الخُصومُ «الـدَّرْدَنيلَ» بُعَيْـدَ مـا كُسِيَتْ شَواطئُ بِالدَّمِ المَـسفوكِ[1]
هَبَطوا فَـرُوقَ وقَـصْرُ يَلْـدِزَ مُطْـرِقٌ وقِلاعُهـا بِـصُماتِها تَرْثيـكِ[2]
لَـوْلا اخْـتِلافُ مَطـامِعٍ لَـمْ يُقْلِعـوا مِنْهـا ولَـوْ فُـدِيَتْ بِكُـلِّ نَـسيكِ[3]
وَلَـسُرْعَ مـا نَهَـضَتْ بِـرَهْطٍ عَزْمَـةٌ بارَتْ بِسَهْمٍ في الخِطـارِ وَشـيكِ[4]
هِـيَ عَزْمَـةٌ قَوْمِيَّـةٌ لَكِنَّهـا مَلْفوفَـةٌ بِرِدائِـكِ المَنْـسوكِ[5]
نـادَوا «بِـأَنْقَرَةَ» النَّفيـرَ وأَثْخَنـوا في جُنْدِ مَنْ دَخَلوا بِـزِيِّ شَـريكِ[6]
زَحَفـوا ولا أَدْري سَـريرَةَ قائِـدٍ فَـذَكَرْتُ جُنْـدَ اللهِ فـي اليَرْمـوكِ[7]
رَحَـلَ الطُّغـاةُ وحَـلَّ إِسْـتَنْبولَ مَـنْ صَـدَحَتْ لَـهُ الأَقْـلامُ بِالتَّبْريـكِ[8]
قـالوا: تَنَقَّـذَها بِفَـضْلِ شَـهامَةٍ مِنْ بَعْدِ ما أَشْـفَتْ علـى تُهْلـوكِ[9]

---

(١) الدردنيل: مضيق يقع بين شبه جزيرتي البلقان وآسيا الصغرى، ويصل بحر إيجة ببحر مرمرة.

(٢) فروق: إستنبول: عاصمة تركيا في عهد السلاطين العثمانيين حتى عام ١٩٢٣م. يلدز: قصر السلاطين والخلفاء في إستنبول حيث كانوا يقيمون. الصمات: السكوت.

(٣) النسيك: الذهب والفضة.

(٤) بارت: هلكت. الخطار: جمع الخطر: الإشراف على هلكة. وشيك: قريب وسريع.

(٥) المنسوك: الطاهر.

(٦) أنقرة: عاصمة تركيا. الجند: ويقصد بهم اليونان والإيطاليين.

(٧) القائد: يعني: كمال أتاتورك، وما كان يضمره من إلغاء الخلافة وجعل الحكومة لادينية.

(٨) التبريك: الدعاء بالبركة.

(٩) أشفت: أشرفت. التهلوك: الهلاك.

نــاطوا بــهِ أَمَــلَ النُّهــوضِ بِدولَــةٍ   رَمَــتِ الثَّــرى بِجَناحِهــا المَفْكــوكِ
نَهَضَ الزَّعيمُ وما رَعـى عَهْـدَ الَّتـي   لَوْلا اسْمُها ما صالَ صَوْلَ مُلـوكِ[1]
بَـرِحَ الخَفـاءُ وَحـادَ وهُـو مُظفَّـرٌ   نَـشْوانُ عَـنْ مِنْهاجِهـا المَسْلوكِ[2]
عَـذَروهُ إذْ أَقْـصى الخِلافَـةَ جانبـاً   وَمَحا اسْمَها لِيُزيلَ غَـيْنَ شُـكوكِ[3]
ما بالُ قِسْطاسِ الشَّريعَةِ ضـاعَ فـي   أُفْـقِ الـسِّياسَةِ ضَـيْعَةَ المَتْـروكِ؟!
والْقَوْمُ قَـوْمُ «مُحَمَّـدٍ» إنْ زُحْزِحـوا   عَنْ هَدْيِهِ اقْتَحَموا شِعابَ النُّـوكِ[4]
وهُــداهُ حِـصْنٌ لا أَريكَـةُ مُتْـرَفٍ   وزَئيــرُ لَيْــثٍ لا صِـيَاحُ دُيُــوكِ[5]

على ضريح صلاح الدين[6]

«قالها بمناسبة زيارته لضريح المجاهد العظيم السلطان صلاح الدين الأيوبي[7] في دمشق سنة ١٣٦٣هـ».

لَــوْ لَــمْ تُبَلِّغْــكَ الحَيــاةُ مُناكــا   لَكَفــاكَ أَنَّــكَ قَـدْ قَهَـرْتَ عِـداكا

---

(١) يريد بذلك: الشريعة الإسلامية.

(٢) برح الخفاء: وضح الأمر، وزالت خفيته.

(٣) الغين: الغيم.

(٤) الشعاب: جمع الشِعب: الطريق في الجبل. النوك: جمع الأنوك: الأحمق وقيل العاجز الجاهل.

(٥) الأريكة: سرير منجد مزين في قبة أو بيت.

(٦) نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزآن الخامس والسادس من المجلد التاسع عشر.

(٧) يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر (٥٣٢ ـ ٥٨٩هـ)، ولد بتكريت، وتوفي بدمشق، من أشهر ملوك الإسلام، وصاحب الفتوحات الخالدة، وللمصنفين كتب كثيرة في سيرته.

لَـكَ سِـيرةٌ كـادَتْ تُمَثِّـلُ للنُّهـى ... بَـشَراً يُنـافِسُ فـي الْعُـلا أَمْلاكـا[١]

وَمَفاخِرٌ يَوْمَ اسْتغاثَ الـشَّرْقُ مِـنْ ... خَطَــرٍ أَلَــمَّ ولَـمْ يُجِـرْهُ سِــواكا

صَرَخوا النَّفيرَ وأَطْمَعوا أَحْشادهُمْ ... في ثَلِّ عَرْشِـكَ واقْتِحـامِ حِماكـا[٢]

حَمَلـوا الـصَّوارِمَ والْقَنـا بِحَماسَـةٍ ... وأَتَـوْا مَيـادينَ الْقِتـالِ وشِـاكا[٣]

قُلْتُ «الجِهادَ» فَماجَ حَـوْلَ لِوائِـكَ ... الـسَّامي فَيـالِقُ لا تَهـابُ عِراكـا[٤]

وَلَقيــتَهُمْ بِعَزيمــةٍ لا تَنْثَنــي ... والـرَّأْيُ نِبْـراسٌ يَـؤُمُّ خُطاكـا[٥]

وإذا البُطولَـةُ عُــزِّزَتْ بِدرايَــةٍ ... كانَـتْ لإنْقـاذِ الـشُّعوبِ مِلاكـا[٦]

عــادوا بِخَيْبَــةِ آمِـلٍ وتَمــلَّأَتْ ... مِنْ مُجْتَنى النَّصْرِ المُبـينِ يَـداكا[٧]

عادوا وَلَـمْ يُخْلِـدْ بِهِـمْ وَهْـنٌ إِلـى ... يَـأْسٍ وظَلُّـوا يَفْتِلـونَ شِـباكا[٨]

حَتَّـى إذا أَخَـذَ الْكَـرى بِجُفُونِنـا ... زَحَفـوا ومـا لاقَـوا قَنـاً كَقَناكـا[٩]

---

(١) النهى: العقل. الأملاك: جمع المَلْك: صاحب المُلْك.

(٢) النفير: القوم ينفرون للقتال. الأحشاد: جمه الحشد: الجماعة يحتشدون. ثل: هدم.

(٣) الصوارم: جمع الصارم: السيف القاطع. القنا: الرماح. وشاك: جمع وشيك: القريب والسريع.

(٤) ماج: اختلط. الفيالق: جمع الفيلق: الجيش العظيم.

(٥) النبراس: المصباح.

(٦) المِلاك: قوام الأمر الذي يملك به.

(٧) تملأت: امتلأت. المجتنى: ما يجنى من الشجر.

(٨) يفتلون شباكاً: أي: ينصبون المكائد.

(٩) الكرى: النعاس.

أَوَ ما سَمِعْتَ رَطانَـةَ الإفْـرَنْجِ مِـنْ ... حَوْلِ الضَّريحِ تَخوضُ في ذِكْراكـا[1]
وكَأنَّني بِكَ قَـدْ هَمَمْـتَ بِوَثْبَـةِ الْـ ... أَسَدِ الهَصورِ لَـوِ اسْـتَطَعْتَ حَراكـا
جاسُوا المَدائِنَ والقِفـارَ وَأَرْصَـدوا ... فـي كُـلِّ وادٍ غاشِـماً فَتّاكـا[2]
يـا لَيْتَنـي أَدْري وَمِثْلُـكَ يُقْتَـدى ... بِمثالِـهِ بَـيْنَ الـوَرى ويُحـاكى
أَيُتـاحُ للـشَّرْقِ المُعَـذَّبِ ذائِـدٌ ... يَرْمـي ويَبْلُـغُ فـي النِّضالِ مَـداكا؟

السّواك

«قالها بمناسبة مذاكرة أدبية انجرّ فيها قول مهيار: يغتدي مسواكها ريحانة بعد السواك».

بَـدا الثَّغْـرُ النَّـضيدُ وقَـدْ حَنَـوْتِ ... بَنانـاً كـاللُّجَيْنِ عَلـى سِـواكِ[3]
وَلَـوْ نَـدّاهُ رِيقُـكِ وَهْـوَ شَـهْدٌ ... وَلاقـى ثَغْـرَ مَخْلـوقٍ سِـواكِ
لَقالَ على الْبَديهَـةِ: هَـلْ سَـمِعْتُمْ ... خَلايـا الـشَّهْدِ تُـدْعى بـالأَراكِ[4]

ثلج في السّحر

«قيلت في برلين سنة ١٣٣٧هـ».

تَطـاوَلَ هـذا اللَّيْـلُ والجَـوُّ مُزْبِـدٌ ... تَـضيقُ بِـأَمواجِ الثُّلـوجِ مَـسالِكُهْ[5]

---

(١) الرطانة: الكلام بالأعجمية.

(٢) المدائن: جمع المدينة. أرصدوا الرقيب: نصبوه في الطريق.

(٣) النضيد: يقال: نضد المتاع: جعل بعضه فوق بعض، ومعنى الثغر النضيد: أي: تنضدت الأسنان فيه من الحسن. البنان: الأصابع أو أطرافها. اللجين: الفضة.

(٤) الشهد: العسل ما دام لم يعصر من شمعه. الأراك: شجرمن الحَمْض يستاك بقضبانه، الواحدة أراكة.

(٥) مزبد: قاذف بالزبد.

كأنّي أُذيبُ الصُّبْحَ بالحَدَقِ الّتي　　يُقلِّبُها وَجْدي وتِلْكَ سَبائِكُهْ

طباب الشّرق

يَدُ المُحْتَلِّ تُسْعِدُنا على أَنْ　　نَروضَ الفِكْرَ بالسَّهَرِ الدِّراكِ[1]

وَنوقِظَ لِلْعَظائِمِ رُمْحَ عَمْرٍو　　إذا أَزْرى بِنا رُمْحُ السِّماكِ[2]

يُثيرُ ببَغْيِهِ في كُلِّ يَوْمٍ　　حَفائِظَ مُضهَدٍ وصُراخَ شاكي[3]

يَقولُ: أُجيرُ قَوْمَكَ مِنْ هَلاكٍ　　وَرَفْعُ لِوائِهِ عَيْنُ الهَلاكِ

يُوارِبُ إِذْ يُعاهِدُنا مُسِرّاً　　مَآرِبَ في دَهاءٍ واحْتِباكِ[4]

عُهودٌ إنْ تَوَسَّمَها أَريبٌ　　رأَى الْغِرْبانَ تَنْعَبُ في صِكاكِ[5]

فما لِلشَّرْقِ يَرْسُفُ في وَثاقٍ　　وهذا الْغَرْبُ يَمْرَحُ في فِكاكِ[6]

---

(١) الدراك: المتلاحق والمتصل.

(٢) رمح عمرو: نسبة إلى عمرو بن معدي كرب بن ربيعة (... - ٢١هـ) فارس اليمن، وصاحب الغارات، يضرب المثل برمحه وسيفه، وفد على المدينة سنة ٩هـ، وأسلم، شهد اليرموك والقادسية، وأخبار شجاعته كثيرة، وله شعر جيد. أزرى: عاب. رمح السماك: في السماء سماكان: السماك الرامح، وهو نجم يقدمه نجم مستطيل الشعاع يقولون: هو رمحه، والسماك الأعزل، سمي كذلك؛ لأنه لا سلاح معه كما كان مع الرامح.

(٣) الحفائظ: جمع الحفيظة: الحمية والغضب. المضهد: المقهور.

(٤) يوارب: يداهي ويخاتل. الاحتباك: إحكام الأمر وإتقانه.

(٥) توسم الشيء: تخيله وتفرسه. نعب الغراب: صاح. الصكاك: جمع الصَّك: الكتاب.

(٦) يرسف: يمشي مشي المقيد. الوثاق: ما يشد به من حبل ونحوه.

هُمـا شَـطْرانِ فـي بَيْـتٍ، وبُعْـداً   لِـشِعْرٍ غَيْـرِ مُلْتَـئِمِ الحِيـاكِ(١)

طِبابُ الـشَّرقِ فـي خَطَـراتِ شَـهْمٍ   وجَمْرِ حَماسَةٍ في القَلْـبِ ذاكـي(٢)

ليتني ما عرفتك

«قيلت بعد وداع إحدى مربيات منزله بتونس قاصداً الشرق سنة ١٣٣١هـ».

جـارَتي مُنْـذُ ضَـحْوَةِ الْعُمْـرِ عُـذراً   لأَخـي خَطْـرَةٍ نـأَى عَنْـهُ بَيْتُـكْ(٣)

قـالَ يَـوْمَ الـوَداعِ وَهـو يُعـاني   سَكْرَةَ الْبَيْنِ: لَيْتَنـي مـا عَرَفْتُكْ(٤)

رثاء

«نظم الشاعر هذه الأبيات في رثاء زوجته السيدة زينب التي توفيت بالقاهرة عام ١٣٧٢هـ، وكانت بارة صالحة».

أَعاذِلُ غُضَّ الطَّرْفِ عَنْ جَفْنِيَ الْباكي   فَخَطْبٌ رَمى الأكبادَ مِنِّي بأَشْـواكِ(٥)

ولـي جـارَةٌ أَوْدى بِهـا سَـقَمٌ إلـى   نوًى دون مَنْآها المُحيطِ بِـأَفْلاكِ(٦)

أَيا جارَتا عَهْـدُ اللِّقـاءِ قَـدِ انْقَـضى   وصَـمْتُكِ إذْ أَدعـوكِ آخِـرُ مَلْقـاكِ

أَجـارةُ هـذا طـائرُ المَـوتِ حـائِمٌ   لِيَذْهَبَ مِنْ زَهْرِ الحَيـاةِ بِمَجْنـاكِ(٧)

---

(١) الحياك: النسيج.

(٢) الطِّباب: ما يُطبُّ به. ذاكي: متقد.

(٣) الضحوة: ارتفاع النهار، ويقصد الشاعر: مطلع شبابه.

(٤) سكرة البين: شدة الفراق وهمه.

(٥) العاذل: اللائم.

(٦) الجارة: ويعني بها: زوجته. النوى: البعد.

(٧) طائر الموت: أي: الموت. حائم حول الشيء: دائر به.

وكَيفَ يَرومُ الـصَّحْبُ مِنِّي تَـصَبُّراً ... ومَركَبَـةٌ حَـدْباءُ أَرْسَـتْ بِمينـاكِ(١)

وكنْـتُ أُلاقـي كُلَّمـا جِئْـتُ مُؤنِـساً ... فَمالي أُلاقـي الْيَـوْمَ صَـيْحةَ مَنْعـاكِ

حَنانَيْكِ هَـلْ سـاءَتْكِ مِنِّي خَليقَـةٌ ... فَـأَنْكَرْتِ دُنيانـا وآثَـرْتِ أُخْـراكِ(٢)

وكُنْتُ أُعزِّي النَّفسَ مِـنْ قَبْـلُ أَنَّنـي ... أَفُـوتُ قَريـرَ المُقْلَتَـيْنِ بِمَحْيـاكِ(٣)

ولَـمْ أَدرِ مـا طَعْـمُ المَنـونِ فَذُقْتُـهُ ... مَساءَ لَفَظتِ الرُّوحَ والعَـيْنُ تَرْعـاكِ

هَوى بِكِ بَـيْنٌ لَـسْتُ أَرْجـو وَراءَهُ ... زَمانـاً يَجـودُ الـدَّهرُ فيـهِ بِمَـرْآكِ

فَهَيْهاتَ أنْ أَنْساكِ ما عِشْتُ والأَسَـى ... يَموجُ بِقَلْبي ما جَرَتْ فيهِ ذِكْـراكِ(٤)

وهَيْهاتَ لا أَنْسى مَواطنَ كُنْتِ لـي ... مُـسَلِّيَةً لا أُنْـسَ إلاَّ بِمَغنـاكِ(٥)

ولَـوْلاكِ لَـمْ أَقْـضِ الْيراعـةَ حَقَّهـا ... كَأَنَّ نَسيجَ الْفِكْـرِ حِيـكَ بِيمُنْـاكِ(٦)

لَقَدْ صُنْتِ في الحالَيْنِ عَهْـداً فَـلا أرى ... لَدى عُـسْرَةٍ إلاَّ انْطـلاقَ مُحَيَّـاكِ(٧)

وأَنْتِ الَّتي حَبَّبْتِ لي الْعَيْشَ بَعْـدَما ... سَئِمْتُ فَطيبُ العَيْشِ بَعْضُ مَزْايـاكِ

وإنْ سـامَني يَـوْمٌ شَـكاةً تَـدَفَقَّتْ ... دُموعُكِ مِنْ جَفْنٍ يُخالُ هُوَ الـشَّاكي(٨)

---

(١) المركبة الحدباء: النعش.

(٢) حنانيك: تحن عليَّ مرة بعد أخرى. الخليقة: الطبيعة. آثرت: فضَّلت.

(٣) قرير المقلتين: من السرور. المحيا: الحياة.

(٤) هيهات: اسم فعل بمعنى بَعُدَ.

(٥) مسلية: يقال سلّى فلاناً عن همه: كشفه عنه، وجعله يسلوه. المغنى: المنزل.

(٦) قضى الشيء: صنعه بإحكام. اليراعة: القصبة، ويقصد بها القلم.

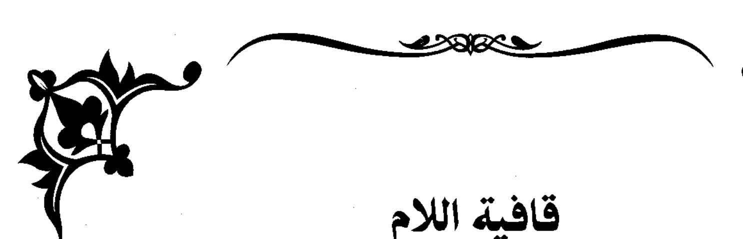
(٧) في الحالين: أي: اليسر والعسر.

(٨) الشكاة: المرض.

يُجافي الْكَرى عَيْني إذا مَسَّكِ الضَّنى وَيَرْتاحُ ما بَيْنَ الحَنايا لِمَنْجاكِ[1]
تَمُرُّ بِنا الأَيّامُ مَوْصولَةَ الْمُنى فَما ضَرَّنا أَلاَّ نَكونَ كَأَمْلاكِ
لَيالِيكِ أَيّامٌ بِمَنْزِلَةِ اللِّوى وَمَطْلَعُ أَقْمارِ السَّماءِ بِمَأْواكِ[2]
أَجارةُ لَوْ شاهَدْتِ كَيْفَ وَقَفْتُ في مَزارِكِ لكِنْ ما ظَفِرْتُ بِنَجْواكِ[3]
إذاً لَرَأَيْتِ الحُزْنَ يَصْلَى بِنارِهِ حَشاً وكَأَنَّ الحُزْنَ شُدَّ بأَسْلاكِ[4]
وعُدْتُ إلى البَيْتِ الكَئيبِ كأَنَّني خُلِقْتُ فَريداً لَسْتُ أَعْرِفُ إلاَّكِ
أَغَصُّ بِشَجْوٍ كُلَّما مَرَّ مَوْضِعٌ حَلَلْتِ بهِ، والنَّفْسُ مِرْآةُ سِيماكِ[5]
ويَبْعَثُ أَشْجاني هَديرُ حَمامَةٍ تَنوحُ كأَنَّ الطَّيرَ في الجَوِّ تَنْعاكَ
أَجولُ بِفِكْري أَبْتَغي لِيَ قُرْبَةً أَمُتُّ بِها عِنْدَ الدُّعاءِ بِرُحْماكِ
تَجَرَّعْتُ مُرَّ الصَّبْرِ عَلِّي أَراهُ في حِسابي، وعُقْبايَ السَّليمَةُ عُقْباكِ[6]
فَطوبى لَكِ القُرْبى لَدى اللهِ مِنَّةٌ ونُزْلٌ كَريمٌ في مَنازِلِ نُسَّاكِ[7]

❐ ❐ ❐

(١) الكرى: النعاس. الضّنى: المرض والهزال، سوء الحال.
(٢) اللوى: اللواء. المأوى: كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً أو نهاراً.
(٣) المزار: موضع الزيارة، ويقصد الشاعر: المقبرة. النجوى: السرّ.
(٤) يصلى: يشوي.
(٥) الشجو: الهم والحزن.
(٦) العقبى: جزاء الأمور.
(٧) الطوبى: الغبطة والسعادة والحسنى. المنة: الإحسان، المعروف.




قافية اللام

صقر قريش[1]

خَـلِّ نفْـسَ الحُـرِّ تَـصْلَى النُّوَبـا   لا تُبــالي[2]
لَيْـسَتِ الأَخْطــارُ إلاَّ سَــبَباً   لِلْمَعــالي[3]

* * *

يــا مُكِبّــاً بَـيْنَ ظَبْـيٍ أَدْعَجَـا   وَمَهــاةٍ[4]
إنَّمـا الهِمَّــةُ فـي حِجْـرِ الحِجـا   كالنَّبــاتِ[5]
أَفَـلا تَـذْبُلُ إِذْ تَقْـضي الـدُّجى   فــي سُـباتِ
فَــإذا بِــتَّ تُجــاري الكَوْكَبــا   فــي مَجــالِ

---

(١) نشرت هذه القصيدة في مجلة «البدر» التونسية، الجزء الثالث من المجلد الثالث، كما نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» الجزء السابع من المجلد الثامن.

(٢) النوّب: جمع النوبة: النازلة والمصيبة.

(٣) السبب: ما يتوّصل به إلى غيره.

(٤) الظبي: الغزال للذكر والأنثى. أدعج: شدة سواد وبياض العين. المهاة: البقرة الوحشية.

(٥) الحِجْر: الحضن. الحِجا: العقل والفطنة.

كُنْتَ كالـضِّرْغامِ يَمْـشي الهَيْـدَبى   لِلنِّـــــزالِ[١]

* * *

مــا لهــذي الــسَّمْهَرِيَّاتِ فَخــارْ   فــي الحِـرابْ[٢]

غَيْــرُ عَــزْمٍ هَــزَّهُ حــامي الــذِّمارْ   بِالتِهـــابْ[٣]

أَتَــرى الــرَّامِحَ ذا قَلْــبٍ يَغــارْ   فَيُهـــابْ[٤]

جَــرَّ فــي الآفــاقِ رُمْحــاً سَــلْهَبَا   بِاخْتِيـــالِ[٥]

وهُــوَ كــالأَعْزَلِ لا يَلْقــى الظُّبــا   والعَــــوالي

* * *

رُبَّ كِـــنٍّ لا نُـــسَمِّيهِ عَرينـــا   فــي البَيــانِ[٦]

والَّــذي يَحْميــهِ لا يَلْــوِي جَبينــا   عَــنْ طِعــانِ

يَحْطِـمُ الطَّــاغِيَ لا يُبْقــي مَهينــا   فــي هَــوانِ

وهِزْبَــرُ الْغــابِ يَعْــدو خَبَبــا   فــي الــدِّغالِ[٧]

---

(١) الضرغام: الأسد. الهيدبى: نوع من أنواع المشي لدى الخيل فيه جد.

(٢) السمهريات: جمع السمهريّ: الرمح الصلب. الحراب: جمع الحربة: وهي آلة دون الرمح.

(٣) الذمار: ما يلزمك حمايته والذود عنه.

(٤) الرامح: نجم.

(٥) السلهب: الطويل.

(٦) الكِنُّ: البيت، ويجمع على أكنان وأكنة. العرين: مأوى الأسد.

(٧) الهزبر: الأسد. الخبب: مراوحة الفرس بين يديه ورجليه، وقيل: السرعة. =

عَـضَّهُ الجُـوعُ فَمـدَّ المِخْلَبـا   لاغْتيـــالِ

* * *

عاشِـقَ العَلْيـاءِ خُـضْ فـي لُجَـجِ   مِـنْ رِمـاحْ
وتَرَشَّـفْ مِـنْ عَـصيرِ المُهَـجِ   لا جُنـاحْ[(١)]
يَـضْحَكُ المُلْـكُ بِثَغْـرٍ بَهِـجِ   كالـصَّباحْ
إنْ نَكـى الخَـصْمُ فَمـاجوا هَرَبـا   كالثَّعـالي[(٢)]
وابْتِغـاءُ الـسِّلْمِ مِـنْ بـاني الزُّبـى   كالمُحـالِ[(٣)]

* * *

خـاطِرُ الْيَـأْسِ لَـدى بـاغي الْعُـلا   غَيْـرُ سـائِغْ
إنْ تَـوَخَّى عَبْقَـرِيٌّ أَمَـلا   فَهْـوَ بـالِغْ
وحَيـاةُ الـصَّقْرِ سـارَتْ مَـثَلا   لِلنَّوابِـغْ[(٤)]

= الدغال: جمع الدغل: الشجر الكثير الملتف.

(١) الجُناح: الإثم.

(٢) نكى: قهر بالقتل والجرح. الثعالي: جمع ثعالة: أنثى الثعلب.

(٣) الزّبى: جمع الزبية: الرابية لا يعلوها ماء.

(٤) الصقر: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (١١٣ ـ ١٧٢هـ) الملقب بصقر قريش، ويعرف بالداخل، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، ولد في دمشق، وتربى في خلافة أعمامه حتى سنة ١٣٢هـ، عندما سقطت خلافة الأمويين على أيدي العباسيين، فقصد أفريقيا، وبلغ به علو الهمة إلى إنشاء ملك جديد لبني أمية في الأندلس. ولقبه أبو جعفر المنصور بلقب «صقر قريش»، ولقب بالداخل؛ =

إذْ بَـدا فـي «دَيْـرِ حَنّـا» وشَـبا   كـالهِلالِ[١]

ولَيـالي الـشَّامِ فـي عَهْـدِ الـصِّبا   كـاللآلي

* * *

ذاقَ في الخامِسِ مِـنْ صَـدْرِ سِـنيهْ   مَضَـضـا[٢]

والـرَّدى سَـيْفٌ بِكَـفٍّ لا تَتيـه   يُنْتَـضـى[٣]

أَرْهَـفَ الجَـدَّ وأَوْدى بأَبيـه   حَرَضـا[٤]

هَـلْ ذَوَتْ زَهْرَتُـهُ حتـى هَبـا   فـي كَـلالِ[٥]

إنَّ فـي نَفْـسٍ تَـسامَتْ حَـسَبا   خَيْـرُ والِ

* * *

أَبْـصَرَ الجَـدُّ بِـهِ روحَ الهُمـامْ   بادِيـا[٦]

= لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك الأمويين، وكان حازماً شجاعاً شاعراً عالماً. وتوفي بقرطبة ودفن في قصرها.

(١) دير حنا: حيث ولد صقر قريش بالشام. شبا: علا؛ أي: نما وترعرع.

(٢) المضض: وجع المصيبة.

(٣) الردى: الهلاك. لاتتيه: لا تضل عن الطريق.

(٤) أرهف السيف: رققه، فهو مرهف. الحرض: يقال: حرض: كان مضنى مرضاً وسقماً.

(٥) هبا: مات. الكلال: التعب والإعياء.

(٦) الجدُّ: هشام بن عبد الملك (٧١ ـ ١٢٥هـ) ولد وتوفي في دمشق، وبويع ملكاً للدولة الأموية في الشام سنة ١٠٥هـ، وقد تربى صقر قريش في ظل حزمه ونعمته. =

كالـشَّذا يُنبِـىءُ عَـنْ زَهْـرِ الْكِمـامْ هادِيـــــا[١]
وتُريكَ الشَّمْسُ فـي قَـوْسِ الغَمـامْ ماهِيـــــا
حَفَّـهُ عَطْفـاً كمـا تَـسْري الـصَّبا بـــاعْتِلالِ[٢]
ويَـــدٌ ظَلَّـــتْ تُحـــابي الأَنْجُبـــا لــم تُغـالِ[٣]

* * *

ضَرَبَ الخَطْبُ على المُلْكِ الأثيـلْ مُحْـــدِقا[٤]
كَـمْ دَهـى الـسَّفَّاحُ مِـنْ حُـرٍّ نبَيـلْ مُرْهِقـــا[٥]
وجَرى المَنْصورُ فـي هـذا الـسَّبيلْ مُوبِقـــا[٦]

= الهمام: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع.

(١) الشذا: قوة ذكاء الرائحة. الكمام: جمع الكِمّ: غطاء الزهر.

(٢) الصّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٣) لم تغال: لم تجاوز الحد، لم تبالغ.

(٤) الملك الأثيل: الأصيل؛ أي: الدولة الأموية.

(٥) السفاح: أبو العباس عبدالله بن محمد (١٠٤ ـ ١٣٦هـ) أول خلفاء الدولة العباسية، ولد بالشراة بين الشام والمدينة. وكان جباراً من الدهاة، عظيم الانتقام، ولقب بالسفاح؛ لكثرة ما سفح من دماء الأمويين. وتوفي في مدينة الأنبار.

(٦) المنصور: أبو جعفر عبدالله بن محمد (٩٥ ـ ١٥٨هـ) ثاني الخلفاء العباسيين، ولد في الحميمة من أرض الشراة قرب معان، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح، وهو باني مدينة بغداد، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب، توفي ببئر ميمون محرماً بالحج، ودفن في الحجون بمكة المكرمة. الموبق: المهلك.

ذَهَبَـــتْ عُـــصْبَتُهُ أَيْـــدي سَـــبا   فـــي نكَـــالِ[1]
وتَـــداعى عَرْشُـــهُ مُنْتَحِبـــا   للـــــزَّوالِ

* * *

حَـــدَّقَ الـــصَّقْرُ بِـــرَأْيٍ لا عَجِـــلْ   لا حَـــسيرْ[2]
وانْبَرى يَطوي الْفَـلا يَطْـوي الأَمَـلْ   فـــي الـــضَّميرْ
كَكَمِـــيٍّ فَـــرَّ مِـــنْ وَقْـــعِ الأَسَـــلْ   لِيُغيـــــرْ[3]
عَمِيَـــتْ عَنْـــهُ عُيـــونُ الرُّقبـــا   والمَـــــوالي
راحَ كالـــشَّمْسِ تَـــؤُمُّ المَغْرِبـــا   بارْتِحـــــالِ

* * *

جَمْـرَةُ الأَضـغانِ فـي ذاكَ الـوَطَنْ   لافِحَــــــهْ[4]
كَـــمْ قُلـــوبٍ بِتَبـــاريحِ الإِحَـــنْ   طافِحَــــــهْ[5]
فُرْصَـــةٌ ظَلَّـــتْ علـــى وَجْـــهِ الـــزَّمَنْ   ســـــــانِحَهْ

---

(١) أيدي سبا: أي: تبددوا تبدداً لا اجتماع بعده، نسبة إلى سبأ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسل على تلك الأرض السيل، فأغرقها وأذهب جناتها، فانتزح سبأ وقومه، وتبددوا في البلاد، فضرب بهم المثل. النكال: ما يجعل عبرة للغير.

(٢) حسير: يقال: حسر البصر: كلَّ وانقطع من طول المدى.

(٣) الكميّ: الشجاع، أولابس السلاح. الأسل: الرماح.

(٤) الأضغان: جمع الضِّغن: الحقد.

(٥) تباريح الشوق: توهجه. الإحن: جمع الإحنة: الحقد والغضب.

إنمـــا الْفُرْصَـــةُ تُـــدْني الأَرَبـــا   بارْتِجـــالِ
والْفَتـــى يَرْقُبُهـــا مُحْتَـــسِبا   لِلَّيـــالي

* * *

نَفَـضَ البُـرْدَيْنِ مِـنْ نَقْـعِ الـسَّفَرْ   في (مَلِيَلـهْ)[1]
مـا لَـهُ جُنْـدٌ سِـوى الـرَّأْيِ الأَغَـرْ   والْفَــضيلَهْ
بَــثَّ لُـسْناً نَفَثَـتْ نَفْـثَ الـسَّحَرْ   فــي الخَميلَـه
دَعْـوَةٌ حَـلَّ لَهـا الـشَّعْبُ الحُبـا   باحْتِفـــالِ[2]
يَرْتَجـــي عِـــزّاً وعَـــدْلاً ذَهَبـــا   فـــي ضَـــلالِ

* * *

آبَ (بَـــدْرٌ) بِفُـــؤادٍ يَتَـــأَلَّقْ   كالجُمـــانِ[3]
إِذْ رَمـى عَـنْ قَـوْسِ داهٍ وتَفَـوَّقْ   فـــي الرِّهـــانِ
وَرأَى غُـصْنَ الأَمـاني كَيـفَ أَوْرَقْ   فـــي تَـــداني
آنَ لِلصَّمـــصامِ أَنْ يَنْتَـــصِبا   للـــصِّقال[4]

---

(١) البُرْد: ثوب مخطط. النقع: الغبار. مليلة: مدينة بالمغرب قرب سبتة على ساحل البحر.

(٢) الحُبا: جمع الحبوة ما يحتبي به الرجل من عمامة أو ثوب.

(٣) بدر: مولى «صقر قريش» ونصيره الذي رافقه في رحلته من الشام إلى المغرب. الجمان: الفضة.

(٤) الصمصام: السيف لا ينثني. الصقال: يقال: صقل فلاناً بالسيف: ضربه به وأدّبه.

وَلِغَــالي الــدَّمِ أَنْ يَنْــسَكِبا بِابْتِـــذالِ

* * *

نَهَـضَ الـصَّقْرُ ولا صَـيْدَ سِـوى تــاجِ مُلْــكِ
يَتَهــادى بَعْــدَ شَــجْوٍ وَنَــوى بَـيْنَ أَيْـكِ[1]
يَـسْبِكُ الـسِّيرَةَ فـي نَهْـجٍ سُـوى خَيْــرَ سَـبْكِ
عَبَــرَ الْبَحْــرَ يَــشُقُّ الحَبَــا فــي جَـلالِ[2]
أَقْبَــلَ الأَبْعَــدُ يَتْلــو الأَقْرَبــا وَيُــــوالي

* * *

زَجَّ بِالجُنْــدِ حَــوَالَيْ «قُرْطُبَــهْ» فــي اتِّـساقِ[3]
وَغَــدا يُوسُــفُ مِمّــا كَرَبَــهْ فــي خِنــاقِ[4]
هُــوَ صَــبٌّ كَيْــفَ يَلْـوي الرَّقَبَـهْ لِلْفِــــراقِ
هالَــهُ الخَطْــبُ غَــداةَ اقْتَرَبــا لِلْقِتــــالِ

---

(١) الشجو: الهم والحزن. النوى: البعد. الأيك: جمع الأيكة: الشجر الملتف الكثير.

(٢) الحبب: معظم الماء.

(٣) قرطبة: مدينة في الأندلس على الوادي الكبير، أصبحت عاصمة الدولة الأموية عام ٧٥٦م، وفيها قصر الزهراء.

(٤) يوسف: يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري، تولى إمارة الأندلس سنة ١٢٩هـ حتى دخول صقر قريش.

لاذَ بِــــالرَّأْيِ فَأَكْــــدى وَكَبــــا فــي خَبــالِ[١]

* * *

خــالَ مــا نَمَّــقَ كَيْــداً يَرْشُــقُهْ كَـــــسِهامِ

لا يَبيــعُ المَجْــدَ شَــهْمٌ يَعْــشَقُهْ بِالحُطــامِ[٢]

لا تُــسَلِّيهِ فَتــاةٌ تَرْمُقُــــهْ بابْتِـــسامِ

فَـــأَراهُ الـــصَّقْرُ بَرْقــاً خُلَّبــا فــي المَقــالِ[٣]

وأَراهُ الأَحْـــوَذِيَّ القُلَّبـــا بَالفَعـــالِ[٤]

* * *

هَجَـمَ الـدَّاخِلُ فـي وَجْـهِ الـزَّعيمْ كائِـــــدا[٥]

فَطَــوى مــا خَلْفَــهُ طَــيَّ الظَّلــيمْ شـــــارِدا[٦]

وَاقْتَفــى آثــارَهُ الجَــيْشُ النَّظــيمْ صـــــائِدا

رامَ «غَرْناطَـــةَ» يَبْغـــي مَرْكَبـــا لِلنِّـــضالِ[٧]

---

(١) كبا: انكبّ على وجهه. الخبال: الهلاك.

(٢) الحطام: ما تكسر من اليبس.

(٣) الخُلَّب: السحاب لا مطر فيه، والأصل برق السحاب.

(٤) الأحوذي: الحاذق المشمر للأمور، القاهر لها، لا يشذ عليه شيء.

(٥) الداخل: عبد الرحمن الداخل.

(٦) الظليم: المظلوم. وتراب الأرض المظلومة.

(٧) غرناطة: مدينة في الأندلس، احتلها المرابطون عام ١٠٩٠م، واتخذها محمد بن =

أَمَــلٌ أَبْـــرَقَ حينـــاً وَخَبـــا   كالـــذُّبالِ(١)

* * *

أَغْمَـــدَ الـــسَّيْفَ وَمَـــدَّ العُنُقـــا   لِلـــسَّلامْ(٢)
فَـــأَراهُ الـــصَّقْرُ عَزْمـــاً ذَلِقـــا   لا يَنـــامْ(٣)
أَحْـــرَزَ ابْنَيْـــهِ لِيَـــأْبى الرَّهَقـــا   فـي الـذِّمامِ(٤)
كـانَ فـي النَّـاسِ زَعيمـاً فَـاحْتَبى   بِـــاعْتِزالِ
لَـمْ يُطِـقْ ـ كالطِّفْـلِ ـ صَـبْراً إذْ نَبـا   عَـنْ فِـصالِ(٥)

* * *

تَـــبَّ لَيْـــلٌ شَـــدَّ فيـــهِ المِئْـــزَرا   لانْتِقـــامِ(٦)

= نصر مؤسس سلالة بني الأحمر عاصمة له عام ١٢٣٥م، وأهم آثارها قصر الحمراء.

(١) خبا: طفئ وخمد. الذبال: جمع الذبالة: الفتيلة.

(٢) لما حاصر (صقر قريش) مدينة غرناطة، وهي آخر ما التجأ إليه يوسف الفهري، اضطر هذا الأخير إلى طلب الصلح، فصالحه بشروطه المشهورة التي منها: وضع ابنيه عند الصقر رهن إخلاصه الدائم.

(٣) الذلق: الحادّ.

(٤) أحرز: ألجأ. الرهق: حمل الإنسان على ما لا يطيقه.

(٥) نبا: تجافى وتباعد. الفصال: فطم المولود وفصله عن أمه.

(٦) تبّ: هلك وخسر. المئزر: الإزار. الانتقام: إن يوسف لم تطب له حياة الراحة، فلم تصل سنة ١٤١هـ حتى نقض العهد معتزاً بعشرين ألفاً من البربر، فالتحق بطليطلة، إلا أن الصقر قام له إلى أن جيء له برأسه.

وَامْتَطــى رَأْيــاً عَقيمــاً أَغْبَــرا كالجَهــامِ[١]

لَيْتَــهُ مــا انْــسَلَّ لَــيْلاً وانْبَــرى في احْتِـدامِ[٢]

فــي مَغــاني آلِ هُــودٍ وَثَبــا لِلــصِّيالِ[٣]

هَــزَّ جِـذْعَ الأَمْــنِ أَلْقـى الطُّنَبـا في اخْتِلالِ[٤]

* * *

أَرْهَــقَ ابْنَيْــهِ جَفــاءً وَهَفــا لِلرِّياسَــهْ[٥]

مــا تَحــامى أَنْ يَكونــا هَــدَفا لِلــسِّياسَهْ

رَكِبَــتْ مِــنْ قَتْــلِ هَــذا سَـرَفا في الـشَّراسَهْ[٦]

وَطَــوَتْ هَــذا لِيَبْقــى حُقُبــا في اعْتِقـالِ[٧]

سَــلْ بِــهِ إِذْ فَــرَّ مــاذا ارْتَكَبــا مِــنْ مُحــالِ

* * *

قَــذَفَتْ نــارُ الــوَغى فــي «مــارِدَهْ» بِالــشَّرارِ[٨]

---

(١) العقيم: لا تقبل الولد، ولا تلد. الجَهام: السحاب لا ماء فيه.

(٢) انسل: انطلق في استخفاء. انبرى: اعترض. الاحتدام: شدة الغيظ.

(٣) المغاني: جمع المغنى: المنزل. الصيال: السطو، والقهر، المواثبة.

(٤) الطنب: حبل طويل يشد به سرادق البيت، الوتد.

(٥) هفا: أسرع.

(٦) السرف: الإسراف.

(٧) الحقب: ثمانون سنة، وقيل أكثر من ذلك، الدهر.

(٨) ماردة: بلدة واسعة في الأندلس تابعة إلى قرطبة.

3388

أَشْــرَعَ الــصَّقْرُ قَنــاةً ســائِدَهْ بانْتِــــصارِ
أَطْلَــقَ الْفِهْــرِيُّ رِجْــلاً جاهِــدَهْ فــي الْفِــرارِ[1]
لَحِــقَ المَــوْتُ بِــهِ واعَجَبــا لِلنِّـــصالِ
تُــنْهِضُ الحَتْــفَ إذا مــا نَــشَبا فــي عِقــالِ[2]

* * *

بَلَــغَ الــصَّقْرُ مِــنَ العِــزِّ أَشُــدَّهْ وَاسْــــتوى
لَبِــسَ الحَــزْمَ لِمَــنْ صــاعَرَ خَــدَّهْ وَالْتَـــوَى[3]
هُــوَ لَــوْلا بَأْسُــهُ يَحْــرُسُ بَنْــدَهْ لا نْطَــوَى[4]
ســارَ بالأُمَّــةِ شَــوْطاً عَجَبــا فــي اعْتِــدالِ
لا يُــرى أَسْــرى بِهــا أَوْ أَوَّبــا فــي مَــلالِ[5]

* * *

بَعَــثَ الْعِرْفــانَ مِــنْ مَرْقَــدِهِ فـــي رُواءِ
وَعَلَــتْ عُنْــقُ الهُــدى فــي عَهْــدِهِ كـــاللِّواءِ
رَدَّتِ الــشِّرْكَ مَواضــي جِــدِّهِ فــي انْــزِواءِ

---

(١) الفهري: أي: يوسف الفهري.

(٢) نشب: عَلِق. العقال: حبل يعقل به البعير في وسط ذراعه.

(٣) صاعر خده: أماله عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر.

(٤) البند: العَلَم الكبير.

(٥) الملال: السآمة والضجر.

نَفَثَــتْ فــي «شَــرْلُمانَ» الرَّهَبــا كالــسَّعالي[١]
هابَهــا «المَنْـصورُ» يَخْـشى الْغَلَبـا في الـسِّجالِ[٢]

* * *

لَقِـيَ العُمْـرانَ مَقْـصوصَ الجَنـاحْ خــــــامِلا
راشَهُ فَانْـسابَ فـي تِلْـكَ البـِطاحْ جـــــــائِلا[٣]
يَضْبِـطُ الشَّكْوَى كَخَصْرٍ فـي وِشـاحْ عـــــــادِلا
يَمْتَطــي المِنْبَـــرَ يُلْقــي خُطَبــا ذاتَ بــــــالِ
يَقْــدِمُ النَّــاسَ إمامـــاً مُجْتَبـــى بِابْتِهــــالِ[٤]

* * *

رَحِــمَ اللّــهُ الفَتــى أَنْـضى العِتــاقْ فــي العُــلا[٥]
وَغَــدا إنْ عُــدَّ فُرْســانُ الــسِّباقْ أَوَّلا

---

(١) شرلمان: شارل الكبير (٧٤٢ ـ ٨١٤م) ملك الإفرنج، حاول الاستيلاء على إسبانيا، ففشل في سرقسطة سنة ٧٧٨م. السعالي: جمع السعلاة: الغول، أو أنثى الغول.

(٢) السّجال: يقال: الحرب بينهم سجال: أي: سجلٌ منها على هؤلاء، وآخر على هؤلاء، يعني: أنها مرة لهم: ومرة عليهم.

(٣) راش السهم: ألزق عليه الريش.

(٤) المجتبى: المختار من صفوة الناس.

(٥) العتاق: جمع العتيقة: الفرس الكريم. رحم الله الفتى: توفي الأمير عبد الرحمن الداخل بقرطبة سنة ١٧٢هـ بعد أن ملك الأندلس لأبنائه، فتوارثه من أعقابه تسعة عشرة أميراً إلى أن أسقطتهم الثورة العسكرية سنة ٤٢٢هـ.

شَـرِبَ الحِكْمَـةَ بالْكَـأْسِ الـدِّهاقْ   عَلَـــــــلا[1]
عَزْمُــهُ كــالفَجْرِ يَفْــري الْغَيْهَبــا   فــي تَعــالي[2]
فَهْــوَ جُنْــدِيٌّ سِياسِــيٌّ رَبــا   فــي كَمــالِ

تحيّة الوطن[3]

«قالها أيام مقدمه من الشام إلى مصر سنة ١٣٣٩هـ متشوقاً إلى تونس ومن فارقهم بها من الأصدقاء».

مـا لِـيَ لا أَلْمَـحُ مِـنْ ذي الجَمـالْ   سِـوى الخَيـالْ[4]
أَلَـمْ يَكُـنْ يُـدْني قُطـوفَ الوِصـالْ   بِــلا مَــلالْ
الـشَّوْقُ أَلْقـى مُهْجَتـي فـي نِـضال   ماضي النِّصالْ
مــاذا تَــرى والهَجْـرُ فِيمـا يُقـالْ   داءٌ عُــــضالْ

* * *

يا مَوْطِني لَـمْ أَنْـسَ عَهْـدَ الـشَّبابْ   عَذْبَ الرِّضابْ[5]
وَرَيْثَمــا شَــمَّرَ يَبْغــي الــذَّهابْ   صاحَ الْغُـرابْ
بِنَّـا وخُـضْنا فـي غِمـارِ الـصِّعابْ   بِـلا حِـسابْ

---

(١) الدهاق: الكأس الممتلئة.

(٢) يفري: يشق ويقطع. الغيهب: الظلمة.

(٣) نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الرابع من المجلد العاشر.

(٤) ذو الجمال: يقصد به الشاعر وطنه تونس الخضراء.

(٥) الرضاب: الريق، لعاب النحل.

بَيْنـي وَبَـيْنَ المَجْـدِ عَهْـدٌ يُهـابْ   فَـلا عِتـابْ
فَـصَمْتَ بـي يـا بَيْنُ عِقْـدَ الرِّفـاقْ   بَعْدَ انْتِـساقْ(١)
وقُمْـتَ تَنْعـي عِنْـدَ شَـدِّ الوَثـاقْ   يَوْمَ الـتَّلاقْ(٢)
مَلْقـى رِفـاقي فـي لَيـالي المُحـاقْ   مِثْلُ الفِـراقْ(٣)
إنْ فـاتَني مَـرْآهُمُ بِالحِـداقْ   فَـالْوُدُّ بـاقْ(٤)

* * *

حَيَّـا رُبَـى تـونُسَ ذاتِ الزُّهـورْ   عَهْـدُ الـسُّرورْ
وافْتَـرَّ فـي طَلْعَـةِ تِلْـكَ الْقُـصورْ   أُنْـسُ الْبُـدور
مـا الأُنْـسُ فـي أَقْـداحِ راحٍ تَـدورْ   مـا بَـيْنَ حُـورْ
إنَّ الَّتـي تَلْفَحُنـا فـي الـصُّدورْ   نـارُ الْغَيُـورْ

* * *

يـا شـاطِئَ الْمَرْسـى إلامَ الهُجـودْ   فُـكَّ الْقُيـودْ(٥)

---

(١) الانتساق: انتظام الأشياء بعضها مع بعض.

(٢) عند شد الوثاق: أي: عندما حيل بيني وبين صحابتي، كأنني أصبحت في أسر البين مشدود الوثاق.

(٣) ليالي المحاق: ويريد بها الشاعر: السنوات التي تسلط بها المستعمر على تونس، وسلب حريتها، وظلم شعبها.

(٤) الحداق: جمع الحدقة: سواد العين الأعظم.

(٥) المرسى: بلدة في ضواحي تونس فيها منتزهات تجمع بين منظر البحر الأبيض =

وكُـنْ كَمـا كُنْـتَ لِعَهْـدِ الجُـدودْ غِيلَ الأُسـودْ[1]
يَمْـرَحُ فيـكَ العِـزُّ بَـيْنَ الجُنـودْ ضافِي البُـرودْ
فَأَنْـتَ لا تُزْهـى بِتَلْحـيْنِ خُـودْ وَنَقْـرِ عـودْ[2]
يـا مَعْهَـداً يَثْمُـلُ فيـهِ الْكِـرامْ بِـلا مُـدامْ[3]
وابْتَـسَمَتْ أَزْهـارُهُ فـي نِظـامْ بِــلا كِمـامْ
نَهَـضْتَ تَحْـدو بـالنُّفوسِ العِظـامْ إلـى الأَمـامْ
أَقْلامُـكَ الحُـرَّةُ تَرْعـى الـذِّمامْ ولا تَنـامْ
يـا نَـسْمَةً ماسـتْ كَـشارِبِ راحْ قَبْلَ الـصَّباحْ[4]
والطَّلُّ أَصْـفى مِـنْ دُمـوعِ المِـلاحْ فَوْقَ الوِشـاحْ[5]
هُبِّي وجُرِّي فـي النَّـوادي الفِـساحْ ذَيْلَ المِـراحْ[6]

= والحدائق الأنيقة. وطالما تمتع الشاعر بالتنزه فيها، إذ هي مقر صديقه منذ عهد طلب العلم العلامة المرحوم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. الهجود: النوم.

(١) الغِيل: الشجر الكثير الملتف، ويقصد به: العرين.

(٢) الخود: الحسنة الخَلْق.

(٣) المعهد: جامع الزيتونة بتونس الذي تلقى فيه الشاعر العلم إلى أن تولى التدريس فيه. يثمل: يسكر.

(٤) ماست: تبخترت وتمايلت.

(٥) الطل: أخف المطر وأضعفه، الندى.

(٦) المراح: شدة الفرح والنشاط.

هُبِّـي وَهـاتي نَفْـحَ أُنْـسٍ قَـراحْ يَـشْفي الجِـراحْ[١]

هي ملقى الضدين[٢]

كُنْ عَذيري إنْ كُنْـتَ يَوْمـاً عَـذولا لِفَتـىً إذْ يَـوَدُّ مَوْتـاً عَجـولا
مَـسَّهُ فـي الحَيـاةِ ضَـيْرٌ فـأَلْقَى فـي هِجـاءِ الحَيـاةِ قَـوْلاً ثَقـيلا[٣]
رُبَّ خَطْـبٍ دَهـى امْـرَأً وتَلَقَّـا هُ بِعَـزْمٍ فَكـانَ ذِكْـراً نَبـيلا
ونَعـيمٍ وافـاهُ عَفْـواً وَمـا أَوْ لاهُ شُـكْراً فَعـادَ شَـرّاً وَبـيلا[٤]
هِيَ مَلْقى الضِّدَّيْنِ حَيْثُ تَـرى فيـ ـها بَغيـضاً تَـرى هُنـاكَ خَليلا
تَبْعَـثُ الـشَّمْسُ فـي الهَجيـرِ لَهيباً فَتُـذيعُ الـصَّبا نَـسيماً عَليلا[٥]
وتُرينـا الآفـاقُ فَحْمَـةَ لَيْـلٍ فَتُرينـا الـسَّماءُ بَـدْراً جَميلا
ويَـراعُ الْبَليـغِ يُرْسِـلُ إنْ شـا ءَ زُعافـاً وَإنْ يَـشَأْ سَلْـسَبيلا[٦]
زادَ أَكْبادَنـا الزُّعـاقُ غَليـلاً فَـشَفى النِّيـلُ والفُـراتُ الْغَليلا[٧]

---

(١) القراح: الذي لا يشوبه شيء.

(٢) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الأول من المجلد الخامس عشر.

(٣) الضير: الضر.

(٤) الشر الوبيل: الشديد.

(٥) الهجير: نصف النهار، شدة الحر. الصَّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٦) الزعاف: يقال: سم زعاف: قاتل سريعاً. السلسبيل: الماء السهل المساغ.

(٧) الزعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه. الغليل: العطش.

يَخْفُـقُ الْقَلْـبُ رَوْعَـةً مِـنْ غَـشومٍ   هَـزَّ رُمْحـاً أَوْ سَـلَّ سَـيْفاً صَـقيلا
وتَقَـرُّ الْعُيُـونُ فـي مَـوْطِنٍ قَـدْ   بَـسَطَ الأَمْـنُ فيـهِ ظِـلاًّ ظَلـيلا
مُلْتَقَـى وَحْـشَةٍ وَأُنْـسٍ وَإِنْ لَـمْ   يَـكُ وَقْـتُ الإِينـاسِ فيهـا طَـويلا
أَتَـرى الْفَيْلَـسوفَ يَـدْري لِمـاذا   كـانَ حَـظُّ الـسُّرورِ مِنْهـا ضَـئيلا

جذوة أو زهرة

وافَـتْ تُـسائِلُني وَلَـمْ يَـسْتَفْتِني   مِنْ قَبْلُ في فَنِّ النَّسيبِ سَؤولُ
قالَتْ: يَقولُ أَبو فِراسٍ في الهوى   «حُلْـوٌ ومُـرٌّ» هَـلْ لَـدَيْكَ دَليـلُ(١)
قُلْـتُ المَحَبَّـةُ فـي فُـؤادي جَـذْوَةٌ   إِنْ لَـمْ يَجُـدْ لـي باللِّقـاءِ خَليـلُ(٢)
وإِذا الْتَقَيْنـا فَالْمَحَبَّـةُ زَهْـرَةٌ   يَـذْكو شَـذاها والنَّـسيمُ عَليـلُ

الدَّيْنُ سُمٌّ

يا غامِساً يَـدَهُ فـي الـدَّيْنِ إِنَّـكَ قَـدْ   غَمَسْتَها في صَديدٍ خِلْتَـهُ عَـسَلا(٣)
والـدَّيْنُ لِلْمـالِ سُـمٌّ نـاقِعٌ فَـإِذا   ما انْدَسَّ في ثَرْوَةٍ أَوْدى بِها عَجِـلا

هذه السّفينة

هَذي السَّفينَةُ تَفْري الْمَـوْجَ جارِيَـةً   لِمُـسْتَقَرٍّ لَهـا كَـيْ تَـدْرَأَ الْكَلَـلا

---

(١) أبو فراس: مرت ترجمته. وهذا البيت إشارة إلى قول أبي فراس:

خليلـيّ مـا أحلـى الهـوى وأمـرّه   وأعلمنـي بـالحلو منـه وبـالمرّ

(٢) الجذوة: القبسة من النار، والجمرة الملتهبة.

(٣) الصديد: ما يسيل من الجرح من قيح.

وأَذْكَرَتْنــي بِمِــسْراها إلــى جَبَــلٍ　　قَــوْلَ الْخَليفَــةِ ياسّــارِيَّةُ الْجَــبَلا

الشُّعُور طليعة الفلاح

«من قصيدة قالها الشاعر أيام الحرب العظمى في دمشق سنة ١٣٣٤هـ، وهي من القصائد التي كان يدعو بها إلى اتحاد العرب والترك».

وَإِنْ ساوَرَتْ بَعْضَ الْقُلوبِ ضَـغينَةٌ　　وعادَتْ مِنَ الْبَغْضاءِ كالحَشَفِ الْبالي(١)

فَقَدْ يَسْتَفيقُ الصَّبُّ مِنْ سَكْرَةِ الهوى　　وَتخْضَلُّ أَزْهارُ الرُّبى بَعْـدَ إِمْحـالِ(٢)

وكَمْ عَبَثَتْ ريـحُ الخِـلافِ بِوَحْـدَةٍ　　وَلَـمْ تُبْـقِ مِـنْ بُنْيانِهـا غَيْـرَ أَطْـلالِ

فَـلاحَ شُـعورٌ وَهْـوَ أَسْـعَدُ طـالِعٍ　　يَلُمُّ شُعوثاً تَحْـتَ وارِفِ أَظْـلالِ(٣)

شُــعورٌ فَعِلْــمٌ فَاتِّحــادٌ فَقُــوَّةٌ　　فَعَــزْمٌ فَإِقْــدامٌ فَــإِحْرازُ آمــالِ

لَنا هِمَـمٌ تَـسْمو إلـى الْعِلْـمِ رِفْعَـةً　　وَهِمَّاتُ بَعْضِ النَّاسِ تَصْبو إلى الْمالِ

وَلَوْ قِيلَ في طِرْسِ الْغَزالَـةِ حِكْمَـةٌ　　عَرَجْنـا بِأَبْكـارٍ وعُـدْنا بِآصـال(٤)

حبّ الوطن

وَطَنــي عَلَّمْتَنــي الحُــبَّ الَّــذي　　يَــدَعُ الْقَلْــبَ لَــدى الْبَـيْنِ عَلـيلا

لا تَلُمْنــي إنْ نَــأَى بــي قَــدَرٌ　　وغَـدا الـشَّرْقُ مِـنَ الْغَـرْبِ بَـديلا

---

(١) الضغينة: الحقد. الحشف: أردأ التمر، واحده حشفة.

(٢) تخضل: تبتلّ.

(٣) الشعث: انتشار الأمر وخلله.

(٤) الطرس: الصحيفة. الغزالة: الشمس؛ لأنها تمد حبالاً كأنها تغزل.

عزْمَــــةٌ قَـــدْ أَبْرَمَتْهـــا هِمَّـــةٌ وَجَدَتْ لِلْمَجْدِ في الظَّعْنِ سَبيلا[١]
أنـا لا أَنْـسى على طُـولِ النَّـوى وَطَنـاً طـابَ مَبيتـاً وَمَقـيلا[٢]
فـــي يَمينـــي قَلَـــمٌ لا يَنْثَنـــي عَنْ كِفاحٍ ويَـرى الـصَّبْرَ جَمـيلا[٣]
هُـوَ ذا طـاعِنْ بِـهِ خَـصْمَكَ مِـنْ قَبْلِ أَنْ تَخْتَرِطَ الـسَّيْفَ الـصَّقيلا[٤]

في كل شيء له آية

يَعْجَبُ النَّاسُ فـي الحَياةِ وأَقْـضي عَجَبـي مِنْـكَ أَنْ ضَـلَلْتَ الـسَّبيلا
أَنْـتَ تَرْتـابُ أَنْ يُـدَبِّرَ أَمْـرَ الْـ ـكَوْنِ مَـنْ جَـلَّ مُلْكُـهُ أَنْ يَـزولا
وتَخـالُ الوُجـودَ وَقْفـاً علـى مـا تُبْـصِرُ الْعَـيْنُ بُكْـرَةً وأَصـيلا
وكـأَيِّنْ فـي الكَـوْنِ مِـنْ آيـةٍ إنْ كُنْـتَ تَبْغـي إلـى الْيَقـينِ وُصـولا
كُـلُّ مـا أَبْـصَرَتْهُ عَيْنـاكَ لَـيْلاً أَوْ نَهـاراً يُملـي عَلَيْـكَ دلـيلاً

الذّل في البطالة

لا يَرْتَجي العِزَّ شَعْبٌ ظَلَّ فـي وَسَـنٍ مِـنَ الْبَطالَـةِ لا سَـعْياً ولا أَمَـلا[٥]
فالدُّرُّ يَـسْمو إلـى جيـدِ الْفَتـاةِ وَإنْ حامَ النُّعاسُ علـى أَجْفانِهـا نـزَلا[٦]

---

(١) الظعن: السير.

(٢) النوى: البعد.

(٣) يرى الصبر جميلا: ويريد بذلك الصبر على الكفاح.

(٤) اخترط السيف: سلّه من غمده.

(٥) الوسن: النعاس، والحاجة.

(٦) نزلا: إشارة إلى عادة نزع الحلي عند النوم.

من أديب إلى فقيه

سَبَتْ مِنّا الْبَصائِرَ بِنْتُ كَرْمٍ ... فَقُلْتَ: الخَمْرُ تَسْتَدْعي نَكالا[1]
وَحينَ سَبَتْ بَناتُ الشِّعْرِ مِنَّا ... نُهًى سَمَّيْتَها الْخَمْرَ الحَلالا

من الفقيه إلى الأديب

بَناتُ الشِّعْرِ تَسْبي مِنْكَ لُبّاً ... وتَرْفَعُهُ إلى أُفُقٍ تَعالى
وَبِنْتُ الْكَرْمِ تَنْهَبُهُ وَتَغْشَى ... بِهِ دِمَناً وَأَنْدِيَةً رُذالا[2]

ذكرى المولد النّبوي

«قيلت في الاحتفال بالمولد النبوي سنة ١٣٤٨هـ».

حَيِّ ذاكَ الْبَدْرَ بالزَّهْرِ النَّظيمِ ... وامْلأِ الجَفْنَ بِمَرْآهُ الوَسيمِ
إنَّهُ يَحْكي مُحَيَّا المُصْطفى ... إذْ بَدا بَيْنَ المُصَلّى والحَطيمِ[3]
إنْ تَكُنْ يا بَدْرُ تَزْهو بِسَناً ... يُرْشِدُ السَّارِيَ في اللَّيْلِ الْبَهيمِ[4]
فَسَنا أَحْمَدَ يَهْدي أُمَماً ... ويُريها سَنَنَ الْعِزِّ المُقيمِ
عُجْ بِرَوْضٍ باكَرَ الطَّلُّ بِهِ ... دَوْحَ وَرْدٍ هَزَّهُ كَفُّ النَّسيمِ[5]
تَلْقَ في الرَّوْضِ شَذاً يُشْبِهُ ما ... لِنَبِيِّ اللهِ مِنْ خُلْقٍ كَريمِ

---

(١) سبى: أسر. بنت الكرم: الخمر. النكال: ما يجعل عبرة للغير.

(٢) الدمن: جمع الدمنة: آثار الدار. الرذال: جمع الرذل: الرديء من كل شيء.

(٣) الحطيم: جدار حِجْر الكعبة.

(٤) الساري: الذي يسير عامة الليل. البهيم: الأسود.

(٥) عجْ: يقال: عاج بالمكان: أقام به.

إنْ تكُنْ يا رَوْضُ يَزْهوكَ جَنىً ... هُوَ زَهْوُ الْعَيْنِ أَوْ عِطْرُ الشَّميم
فِلِطهَ كَلِمٌ يَسْلو بِها ... عاشِقُ الحِكْمَةِ عَنْ كُلِّ نَعيمِ
إنْ تَرَ العَضْبَ بِيُمْنى بَطَلِ ... هَزَّهُ بَيْنَ قَتيلٍ وَكليمِ(١)
فاذْكُرِ الْعَزْمَ الَّذي لاقى بِهِ ... خاتَمُ الرُّسْلِ أَذى كُلِّ زَنيمِ(٢)
غَيْرَ أَنَّ الْعَضْبَ يَقْضي مُرْغَماً ... في الوغى حاجَةَ جَبّارٍ نَهيمِ(٣)
يا خَصيماً لِهُدى أَحْمَدَ ما ... لِخَصيمِ الْحَقِّ مِنْ قَلْبٍ سَليمِ
دُونَكَ التَّاريخُ لا تُبْقي مَدًى ... في حَديثٍ إنْ تَشأْ أَوْ في قَديمِ
هَلْ رأى النَّاسُ كِتاباً عَجَباً ... مِثْلَ ما يُتْلى مِنَ الذِّكْرِ الحَكيمِ؟
وَيْحَ قَوْمٍ سَحَرَتْ أَعْيُنَهُمْ ... هذِهِ الدُّنْيا بِمَرْعاها الوَخيمِ(٤)
غَرِقوا في لَهْوِها واتَّخَذوا ... مِنْ مُوالاةِ الهوى أَشْقى نَديمِ
نَكَروا الْقُرْآنَ بالذَّوقِ الَّذي ... يُؤْثِرُ الذَّرَّ على الدُّرِّ اليَتيمِ(٥)
دَعَوُا الإلْحادَ إصْلاحاً وَهَلْ ... يَعْرِفُ الإصْلاحَ ذُو ذَوْقٍ سَقيمِ
ورَسولُ اللهِ هادٍ لِلْعُلا ... مُنْذِرٌ عاقِبَةَ الْفِعْلِ الذَّميمِ
مَثَلٌ أَعْلى لِنَفْسٍ جَمَعَتْ ... سَطْوَةَ الْعَادِلِ في أُنْسِ الحَليمِ

---

(١) العضب: السيف القاطع. الكليم: الجريح.

(٢) الزنيم: الدعيُّ اللئيم.

(٣) النهيم: ذو النهم: وهو إفراط الشهوة في الطعام.

(٤) ويح: كلمة ترّحم وتوَجعٌ، وقيل: هي بمعنى وَيْل. الوخيم: غير موافق.

(٥) الذّر: صغار النمل.

عِـزَّةٌ قَعْـساءُ فـي أَسْـنى تُقـىً ... هِمَّـةٌ شَـمَّاءُ فـي قَلْـبٍ رَحـيمِ[١]

هُـوَ إذْ يُرْهِـفُ حَـدّاً لِلَّـذي ... عاثَ أَوْ يَأْذَنُ في حَرْبِ الْخَصيمِ[٢]

لَـمْ يُـرِدْ إلاَّ سَـلاماً سـائِداً ... واعْتِـزازاً لِـذَوي الـدِّينِ القَـويمِ

إنْ تَكُـنْ تَعْجَـبُ فاعْجَـبْ لِيَـدٍ ... لَبِـسَتْ قُفَّـازَ أَفَّـاكٍ أَثـيمِ[٣]

كَتَبَـتْ تَـزْعُمُ مِـنْ شَـقْوَتِها ... أَنَّـهُ لَـمْ يَـكُ بِالـشَّخْصِ العَظـيمِ

عَلِّموهـا أَنَّـهُ أَعْظَـمُ مَـنْ ... سَارَ في النَّاسِ على هـذا الأَديـمِ[٤]

صـاحِبَ الرَّوضَـةِ فـي طَيْبَـةَ نَـمْ ... آمِناً طُغْيـانَ ذا الخَطْـبِ الجَسيمِ[٥]

إنَّ فـي الـشَّرْقِ رِجـالاً نَهَـضوا ... يَقْرَعـونَ الخَطْـبَ بـالْعَزْمِ الـصَّميمِ

لا يُبـالونَ إذا مـا جاهَـدوا ... غَـضَبَ الغاشِـمِ أَوْ كَيْـدَ اللَّئـيمِ

قَـدَّسَ اللهُ ثَـرى قَبْـرِكَ مـا ... نَفَـحَ الْقُـرْآنُ بِالْهَـدْيِ العَمـيمِ[٦]

وأَقـامَ العِلْـمَ آيـاتٍ عَلـى ... أَنَّـهُ تَنْزيـلُ خَـلاَّقٍ حَكـيمِ

---

(١) عزة قعساء: أي: ثابتة منيعة.

(٢) عاث في الشيء: أفسده. الخصيم: المخاصم.

(٣) اليد: يريد بذلك: ما كتبه علي عبد الرازق في جريدة «السياسة» بالقاهرة يوم ١٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ، وقد رد عليه صاحب الديوان بمحاضرة تحت عنوان: «العظمة». انظر كتابه: «محمد رسول الله وخاتم النبيين».

(٤) الأديم: الأرض.

(٥) طيبة: اسم المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ.

(٦) العميم: التام من كل شيء.

افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي

«قصيدة ألقاها الشاعر في افتتاح مؤتمر «المجمع اللغوي» بالقاهرة في ٢٦ يناير كانون الثاني ١٩٤١».

نَـــهَضَ الْقِطـــارُ فَأَوْمـــأوا بِـــسَلامِ   وجَـرى بِهِـمْ طَلَقـاً بِغَيْـرِ زِمـامِ(١)
بـانوا فَمـا بـالي فَقَـدْتُ حُـشاشَتي   أَمَضَى بِها في الرَّكْبِ فَرْطُ هُيَامِ(٢)
عَجَباً لِروحٍ فارَقَـتْ جَـسَدَ امْـرِئٍ   يَقْظـانَ لَـمْ يُرْشَـقْ بِـسَهْمِ حِمـامِ(٣)
طَوَتِ النَّوى عَهْـداً يَطـوفُ سُـقاتُهُ   بِكُـؤوسِ أُنْـسٍ لا كُـؤوسِ مُـدامِ(٤)
رُضْـتُ الْقَـريضَ لَعَلَّـني أَسْـلو بِـهِ   ذِكْـراهُمُ وأَغيـبُ عَـنْ آلامـي(٥)
فَصَحَوْتُ مِنْ شَجَنٍ إلى شَغَفٍ بِما   في نُطْقِ يَعْرُبَ مِنْ سَنىً وَوِسـامِ(٦)
هِـيَ لَهْجَـةٌ شَـبَّتْ بِـأَرْضِ بَـداوَةٍ   فَيْحـاءَ بَـيْنَ الأُسْـدِ والآرامِ(٧)
لَكِنَّها وَسِـعَتْ عُلـومَ «أَرِسْـطُ» بَـلْ   وَسِعِتْ حَـضارَةَ فـارِسٍ والـشَّامِ(٨)

---

(١) طلقاً: يقال طَلِق طلَقاً: تباعد. الزمام: المقود.

(٢) الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح، وقيل: رمق من حياة النفس.

(٣) الحِمام: قضاء الموت وقدره.

(٤) المدام: الخمر.

(٥) راض المهر: ذَلَّلَهُ. القريض: الشعر.

(٦) الشجن: الهم والحزن. الشغف: أقصى الحب. السنى: الضوء. الوسام: الحسن.

(٧) الآرام: جمع الرئم: الظبي الخالص البياض.

(٨) أرسط: أرسطو: مرت ترجمته.

اللَّفْـظُ أَصْـفى مِـنْ حَبـابِ سُـلافَةٍ ... قَـدْ لَثَّمـوا إبْريقَهـا بِفَـدامِ[1]

لَـوْ أنَّ خَـوْداً تَـسْتَعيرُ الحَلْـيَ مِـنْ ... صَـوْغِ ابـنِ بُـرْدٍ أَوْ أَبـي تَمَّـامِ[2]

أَسَـرَتْ أُسـوداً قَـدْ تَحـامَوا قَبْلَهـا ... أَنْ يُؤسَـروا بِـصَبابَةٍ وَغَـرام

ولَـرُبَّ مُتَّئِـدٍ يُـصاعِرُ خَـدَّهُ ... مُتَجافِيـاً عَـنْ مُطْـرِبِ الأَنْغـامِ

حَيَّتْـهُ رَوْضـاتُ الْبَيـانِ بِباقَـةٍ ... مِعْطـارَةٍ مِـنْ زَهْرِهـا الْبَـسَّامِ

فَـصَبا إلـى الآدابِ مَـنْ لَـمْ يُـصْبِهِ ... تَلْحـينُ زِرْيـابٍ وَسَـجْعُ حَمـامِ[3]

أَذْكى خَطيبُ الْجَيْشِ فيـهِ حَماسَـةً ... أَهْـوَتْ بِراحَتِـهِ إلـى الصَّمْـصامِ[4]

نَطَـقَ الْكِتـابُ بِهـا فَـأَفْحَمَ أَلْـسُناً ... لَـمْ تُبْـلَ قَبْـلُ بِوَصْـمَةِ الإفْحـامِ[5]

وتَأَلَّقَـتْ حِكَـمُ النَّبِـيِّ كَأَنَّهـا ... شُـهُبُ الـسَّماءِ تَـشُقُّ بَحْـرَ ظَـلامِ

---

(١) السلافة: الخمر. الفدام: المصفاة تجعل على فم الإبريق ليصفى بها ما فيه، وخرقة تشدها العجم والمجوس على أفواهها عند السقي.

(٢) الخود: الحسنة الخَلْق. ابن برد: بشار بن برد (٩٥ ـ ١٦٧هـ) أشعر المولدين، كان ضريراً، نشأ في البصرة، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، ودفن بالبصرة، له ديوان شعر مطبوع. أبو تمام: مرت ترجمته.

(٣) صبا: مال وحنَّ. زرياب: علي بن نافع (. . . ـ ٢٣٠هـ) نابغة الموسيقى في عصره، مولى المهدي العباسي، كان حسن الصوت، سافر إلى الأندلس، ولقيه عبد الرحمن ابن الحكم، وتوفي بقرطبة.

(٤) الصمصام: السيف الذي لا ينثني.

(٥) الكتاب: هو القرآن الكريم. أفحم: أسكت بالحجة.

سادَ الهَوى وَسَما لِـواءُ المُلْـكِ مـا | بَـيْنَ الـسُّيوفِ الْغُـرِّ والأقْـلامِ
الـدِّينُ يَعْلـو بِانْتِـضاءِ يَراعَـةٍ | والمُلْـكُ يَعْلـو بِامْتِشاقِ حُـسامِ[1]
بُعْـداً لِيَـوْمٍ نـامَ فيـهِ حُماتُهـا | وَرَمَـتْ صُـروفٌ وَجْهَهَـا بِرَغـامِ[2]
مُنِيَـتْ بِلَحْـنٍ واللِّـسانُ مُلَحَّـنٌ | مـا لَـمْ تَرُضْـهُ عُلومُهـا بِلِجـامِ[3]
لَوْ جَسَّ «جالِينوسُ» مَنْبَضَ قَلْبِـها | لِـيُحِسَّ مـا تَـشْكُو مِـنَ الأَسْـقامِ[4]
أَلْفَـى ذُبـولَ الظَّامِئـاتِ وَأَحْرُفـاً | كـادَتْ تَزيـغُ بِهـا إلـى إعْجـامِ[5]
مَنْ ذا يَغارُ على بَيـانِ الْعُـرْبِ مِـنْ | أَيْـدٍ تُـواري شَمْـسَهُ بِقَتـامِ[6]
يـا مَجْمَعـاً نِيطَـتْ بِـهِ هِمَـمٌ تُبـا | هـي الزَّهْـرَ فـي أَفْلاكِهـا وتُـسامي
هذِي شُعوبُ الشَّرْقِ تَنْظُرُ وَهْيَ في | أَوطانِهـا الْقُـصوى بِعَـيْنِ حَـذامِ[7]

---

(١) اليراعة: القصبة، ويريد بها: القلم. الحسام: السيف القاطع.

(٢) الرغام: التراب.

(٣) اللحن: الخطأ في الإعراب. ملحّن: أي: مصاب باللحن. اللجام: ما يجعل في فم الفرس من الحديد من الحكمتين والعذارين والسير.

(٤) جالينوس: مرت ترجمته.

(٥) الإعجام: عدم الإفصاح بالكلام.

(٦) القتام: الغبار الأسود.

(٧) حذام: حذام بنت الريان، جاهلية يمانية (. . . ـ . . .) يضرب بها المثل في صدق الخبر. وينسب لزوجها قوله:

إذا قالـت حـذام فـصدقوها | فـإن القـول مـا قالـت حـذام

تَرْنــــو إلَيْـــكَ بِمُقْلَـــةٍ نقَّـــادَةٍ   عَرَفَـتْ وُجـوهَ الـنَّقْضِ والإِبْـرامِ[1]
فَلْـنَقْضِ لِلْفُـصْحى لُبانَـةَ دَوْحَـةٍ   قَذَفَ الهَجيـرُ غُـصونَها بِـضِـرامِ[2]
وَلْنَـسْقِ ظامِئَهـا عَـصيرَ دِرايَـةٍ   إذْ كـانَ لا يُـسْقى عَـصيرَ غَمـامِ
مـا أَشْـبَهَ الآمـالَ يَـوْمَ يَخونُهـا   عَـزْمٌ بِأَضْـغاثٍ مِـنَ الأَحْـلامِ[3]
يَحْلو النِّـضالُ ولا نِـضالَ أَلَـذُّ مِـنْ   تَنْقـــادِ آراءٍ بِغَيْـــرِ خِـــصامِ[4]
هِيَ كالـسَّحائِبِ: هَـذِهِ وَطْفـاءُ إنْ   سَنَحَتْ، وَتِلْـكَ تَمُـرُّ مَـرَّ جَهـامِ[5]
والرَّأْيُ يَخْلُصُ بالنِّقاشِ الحُـرِّ مِـنْ   صَـدَإِ الخُمـولِ ولُبْـسَةِ الإِبْهـامِ
وَجَـآذِرُ الأَفْكـارِ لا تَـرِدُ الحِمـى   مـا لَـمْ تُـسَسْ بِرَوِيَّـةٍ وَنِظـامِ[6]

بكاء على قبر

«قالها صاحب الديوان في رثاء والدته سنة ١٣٣٥هـ».

قَطَّـبَ الـدَّهْرُ فَأَبْـدَيْتُ ابْتِـساما   وانْتَضى الخَطْبُ فَما قُلْتُ سَلاماً[7]

---

(١) النقض: يقال: نقض البناء: هدمه. الإبرام: يقال: أبرم الشيء: أحكمه. وكلمتا (النقض والإبرام) مصطلح قانوني يطلق على اسم المحكمة العليا التي تبت بالأحكام القضائية بصورة نهائية.

(٢) اللبانة: الحاجة. الهجير: نصف النهار، شدة الحر. الضرام: ما اشتعل من الحطب.

(٣) أضغاث أحلام: أحلام ملتبسة لا يصح تأويلها؛ لاختلاطها.

(٤) تنقاد الآراء: بيان الصحيح منها والمردود، يقال: انتقد الدراهم: أخرج منها الزيف.

(٥) الوطفاء: السحابة الوطفاء: المسترخية لكثرة مائها. الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٦) الجآذر: جمع الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.

(٧) قطّب: زوّى ما بين عينيه.

لَسْتُ أَدْري أَنَّ فـي كَفَّيْـكَ يـا   دَهْـرُ رُزْءاً يَمْـلأُ الْعَـيْنَ ظَلامـا[1]

لَسْتُ أَدْري أَنَّـكَ الْقَـاذِفُ فـي   مُهْجَتـي نـاراً ومُـذْكيها ضِـراما

فَـإذا الْعَـيْنُ تَـرى مِـنْ كَثَـبٍ   كَيْفَ تَلْقى نَفْسيَ الأُخْـرى حِمامـا

كَيْـفَ تُخْفيهـا أَكُـفٌّ فـي الثَّـرى   كَيْفَ تَحْثو فَوْقَهـا التُّـرْبَ رُكامـا[2]

أَوْدَعوهـا قَعْـرَ لَحْـدٍ ضَـرَبوا   فَوْقَـهُ مِـنْ لازِبِ الطِّـينِ خِتامـا[3]

يـا سُـقاةَ التُّـرْبِ مـاءً هـاكُمُ   عَبَراتـي إِنَّ فـي الجَفْـنِ جِمامـا[4]

أَفَـلا يَبْكـي الْفَتـى نازِحَـةً   سَـهِرَتْ مِـنْ أَجْلِـهِ اللَّيْـلَ وَنامـا

وانْثَنَـتْ تُرْشِـفُهُ مِـنْ أَدَبٍ   مُذْ لَهـا عَـنْ لَـبَنِ الثَّـدْيِ فِطامـا[5]

«بِنْـتَ عَـزُّورَ» لَقَـدْ لَقَّنْتِنـا   خَـشْيَةَ اللهِ وأَنْ نَرْعـى الـذِّماما[6]

وَدَرَيْنـا مِنْـكِ أَنْ لا نَـشْتَري   بِمَعالينـا مِـنَ الـدُّنْيا حُطامـا[7]

---

(١) الرزء: المصيبة.

(٢) الركام: الرمل المتراكم فوق بعضه.

(٣) اللازب: اللازم الثابت؛ أي: الطين المتماسك. الختام: الطين يختم به على الشيء.

(٤) الجِمام: الماء كثر واجتمع.

(٥) رشف: الماء: مصه بشفتيه.

(٦) بنت عزور: السيدة البارة المرحومة حليمة السعدية بنت الشيخ مصطفى بن عزور، والدة الشاعر، ومن الشهيرات بالتقى والعلم والصلاح، ولدت بتونس سنة ١٢٧٠هـ، وتوفيت بدمشق سنة ١٣٣٥هـ. الذمام: الحق والحرمة.

(٧) الحطام: ما تكسر من اليبس، ويقصد الشاعر: مال الدنيا وزخرفها.

وَدَرَيْنــــا مِنْــــكِ أَنَّ اللهَ لا يَخْـذُلُ الْعَبْـدَ إذا الْعَبْـدُ اسْـتَقاما[1]
وَدَرَيْنــا كيْــفَ لا نَعْنــو لِمَــنْ حارَبَ الحَقَّ وَإِنْ سَـلَّ الحُـساما[2]
كُنْـتِ نـوراً فـي حِمانـا مِثْلَمـا نَجْتَلـي الْبَـدْرَ إذا الْبَـدْرُ تَـسامى
أَفَلَــمْ تُحْيِيــهِ بــالقُرْآنِ فــي رِقَّـةِ الخاشِـعِ مـا عِـشْتِ لِزامـا
كُنْـتِ لـي رَوْضَـةَ أُنْـسٍ أَيْنَمـا سِرْتُ أَهْدَتْ نَفْحَ وَرْدٍ وخُزامـى[3]
كـانَ لـي مِـنْ قَلْبِـكِ الطَّـاهِرِ في كُـلِّ يَـوْمٍ دَعْـوَةٌ تَجْنـي المَرامـا
كـانَ لـي مِنْـكِ إذا أَشْـكو النَّـوى كُتُـبٌ تَحْمِـلُ عَطْفـاً وسَـلاما
ضـاعَ مِنِّـي أَنْ أُجيـلَ الطَّـرْفَ فـي وَجْهِـكِ الرَّيّـانِ بِـشْراً واحْتِـشاما
إنَّ فــي هــذا التَّنــائي قَــسْوَةً جَعَلَــتْ مَــرآكِ بِــالعَيْنِ حَرامــا
لَهْـفَ قَلْـبٍ بـاتَ لا يَرْجـو لِقـا ءَكِ إلاَّ أَنْ يَــرى الطَّيْــفَ مَنامــا
فَـادْخُلي فـي سَـلَفٍ قُمْـتِ عَلـى هَدْيِـهِ الحَـقِّ وأَحْـسَنْتِ الْقِيامـا[4]
واسْـعَدي نُـزُلاً إلـى المَلْقـى إلـى يَوْمِ لا نَخْشى عَلى الأُنْسِ انْصِراما[5]

---

(١) خذل الرّجلَ: ترك نصرته وإعانته.

(٢) نعنو: عنا له: خضع وذل.

(٣) الخزامى: نبت زهرةٍ أطيب الأزهار نفحة، ويتمثل به في الطيب.

(٤) السلف: كل من تقدم من آبائك وقرابتك.

(٥) النزل: ما هيئ للضيف أن ينزل عليه. الانصرام: الانقطاع.

الشّعر كالبيداء

«قيلت في تونس».

لا خَيْرَ فيمَنْ جَفَّ طَبْعاً واشْتَرى بِلَطائِفِ الأُدَباءِ كَأْسَ مُدامِ
والشِّعْرُ كالبَيْداءِ: هَذا مَهْمَهٌ قَفْرٌ، وهَذا مَرْتَعُ الآرامِ[1]

مساعي الورى شتّى

«أبيات من قصيدة هنّأ الشاعر بها صديقه العلامة المرحوم الطاهر بن عاشور عند ولايته التدريس في جامع الزيتونة بتونس سنة ١٣٢٣هـ».

مَساعي الوَرى شَتّى وكُلٌّ لَهُ مَرْمى ومَسْعى ابْنِ عاشُورٍ لَهُ الأَمَدُ الأَسْمى[2]
فتًى آنَسَ الآدابَ أَوَّلَ نَشْئِهِ فَكانَتْ لَهُ رُوحاً وكانَ لَها جِسْما[3]
وَما أَدَبُ الإنْسانِ إلاَّ عَوائِدٌ تَخُطُّ لَهُ في لَوْحِ إحْساسِهِ رَسْما[4]
فَتىً شَبَّ في مَهْدِ النَّعيمِ ولَمْ تَنَلْ زَخارِفُهُ مِنْ عَزْمِهِ المُنْتَضى ثَلْما
وفي بَهْجَةِ الدُّنيا وخُضْرَةِ عَيْشِها غُرورٌ لِباغي المَجْدِ إنْ لم يَفُقْ حَزما
وشادَ على التَّحْقيقِ صَرْحَ عُلومِهِ فَما اسْطاعَ أَعْداءُ النُّبوغِ لَهُ هَضْما

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة، والبلد المقفر، والجمع مهامه. الآرام: جمع الرئم: الظبي الخالص البياض.

(٢) الأمد: الغاية، المنتهى.

(٣) آنس: أبصر، وعلم.

(٤) العوائد: جمع العادة: ما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة، وتجمع على عادات وعوائد.

وَمَــنْ شَــدَّ بـــالتَّفْويضِ لله أَزْرَهُ ... ومَدَّ شِباكَ الجِدِّ صادَ بِهـا النَّجْمـا

وذي خُطَّــةُ التَّـدْريسِ تَوْطِئَـةٌ لأَنْ ... نَراهُ وَقِسْطاسُ الحُقوقِ بِـهِ يُحْمـى[1]

رَجاءٌ كَرَأْيِ العَيْنِ عِنْدَ أُولي الحِجا ... يُوافيـهِ كـالمَعْطوفِ بالفـاءِ لا ثُمَّـا

بَلَونا حُلَى الأَلْفاظِ في سِلْكِ نُطْقِـهِ ... فَلَمْ يُلْفِ صافي الذَّوْقِ في عَقْدِها جَشْما[2]

وَفـي النَّـاسِ مِهْـذارٌ تَـراهُ يَلوكُهـا ... بِلَهْجَتِـهِ لَـوْكَ المُـسَوَّمَةِ اللُّجْمـا[3]

بِطانَةُ صَدْري صُوِّرَتْ مِنْ إخـائِكُمْ ... وَجاءَ بَنانُ الخُلْـدِ يَرْقُمُهـا رَقْمـا[4]

وإنِّـي أَرى بـابَ المُـداجاةِ ضَـيِّقاً ... فَلا يَسَعُ النَّفْسَ الَّتي كَبُرَتْ هَمَّـا[5]

وإنْ شِمْتَ في نَسْخِ القَريضِ تَخاذُلاً ... وآنَسْتَ في مَغْزى فَواصِلِهِ وَصْـما[6]

فَزَهْـرَةُ فِكْـري لا تَطيـبُ عُـصارَةً ... إذا نَفَثَ الإيحاشُ في أَضْلُعي سُـمَّا

أَلَمْ تَـرَ أَزْهـارَ الرُّبـى حينمـا نَـأَتْ ... أفانينُهـا كـانَ الـذُّبولُ لَهـا وَسْـما

---

(١) القسطاس: الميزان.

(٢) الجشم: الثقل والكلفة.

(٣) المهذار: يقال: هذر كلامه: كثر في الخطأ والصواب، فهو مهذار. اللهجة: اللسان، اللغة. المسوّمة: الخيل التي عليها علامة.

(٤) البطانة من الشيء: خلاف ظاهره. يرقمها رقماً: يكتبها كتابة.

(٥) المداجاة: المداراة.

(٦) شمت: نظرت، يقال: شام البرقَ: نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر. الوصم: العيب والعار.

كأني دينار

«قيلت عند سفره من دمشق».

كَــأَنِّيَ دينــارٌ وَجِلَّــقُ راحَــةٌ ... تُنافِسُ في الإِنْفـاقِ راحَـةَ حـاتِمِ[١]
فَكَمْ سَمَحَتْ بي للرَّحيلِ، وَلَيْتَنـي ... ضَرَبْتُ بِهـا الأَوْتـادَ ضَـرْبَةَ لازِمِ[٢]

الملك الطبيعي أو راعي الغنم

«قيلت في قرية (ويزن دورف) بضواحي برلين».

تَقَلَّدَ المُلْـكَ بَـيْنَ الـضَّالِ والـسَّلَمِ ... وهَبَّ يَفْتَحُ مِـنْ غَـوْرٍ إلـى عَلَـمِ[٣]
فَعَرْشُــهُ رَبْــوَةٌ حاكَــتْ خَميلَتَهــا ... يَدُ الْغَمامَـةِ إِذْ جـادَتْ بِمُنْسَجِمِ[٤]
وتاجُهُ الـشَّمْسُ تَبْـدو فَـوقَ مَفْرِقِـهِ ... تاجٌ مَصونٌ بِلا جُنْـدٍ وسَـفْكِ دَمِ[٥]
سِراجُهُ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ يُرْسِلُ مِـنْ ... عَلْيائِـهِ بِـسَناً يَنْـسابُ فـي الظُّلَـمِ
والظَّبْيُ يَرْقُمُ في طِرْسِ الْفَلاةِ خُطـاً ... أَحْلَـى لِنـاظِرِهِ مِـنْ جَوْلَـةِ الْقَلَـمِ[٦]
صَـفَتْ مَنـاظِرُ غُـدْرانٍ فَكـانَ لَـهُ ... فيهـا مَزايـا جَلاهـا صـاقِلُ النَّـسَمِ

---

(١) جلق: دمشق: حاتم: حاتم الطائي (. . . ـ ٤٦هـ) يضرب المثل بجوده، عاش في الجاهلية فارساً شاعراً. مات في عوارض (جبل في بلاد طيء).

(٢) اللازم: الثابت.

(٣) الضال والسلم: من أشجار البادية. الغور: ما انحدر من الأرض، ويقابله النجد، والقعر من كل شيء. العلم: الجبل الطويل.

(٤) الخميلة: الشجر الكثير الملتف حيث كان.

(٥) المفرق: وسط الرأس، وهو الذي يفرق فيه الشعر.

(٦) الظبي: الغزال للذكر والأنثى. الطرس: الصحيفة.

وآلـةُ الطَّـرَبِ الحُمْـلانُ تَرْتَـعُ فـي خِصْبٍ فَيُسْمَعُ مِنْها أَطْيَـبُ الـنَّغَمِ[١]
عَيْناهُ: ذي سارَقَتْ جَفْنَ المَها نَظَـراً وتِلْكَ نـاظِرَةٌ شَـزْراً إلـى الأَجَـمِ[٢]
لَـمْ يَتَّخِـذْ سـامِراً يُـوحي إِلَيْـه بِمـا يَهْوى ويَخْضِـبُ بَعْضَ الحَقِّ بِالْكَتَمِ[٣]
ومَا امْتَطى مَرْكَباً كَـيْلا يُـضايقَ فـي مَـسيرِهِ نَفَـسَ الْعَجْفـاءِ والْهَـرَمِ[٤]
ومَـنْ تَـولَّى زِمـامَ الأمْـرِ فـي مَـلإٍ لَمْ يَغْلُ إنْ ساسَهُمْ سَعْياً عَلى قَـدَمِ

فقدوا أحلامهم

طـافَ بِالكَـأْسِ عَلـى نُدْمانِـهِ لاِغْتيـالِ الهَـمِّ فيمـا زَعَمـا[٥]
لـم يُمِـتْ هَمّـاً ولَـمْ يَغْتَـلْ نُهًـى مـا بُغـاةُ الخَمْـرِ إلاَّ فـي عَمـى[٦]
فَقَـدوا أَحْلامَهُـمْ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ يَـسْفِكوا مِـنْ أَكْـؤسِ الخَمْـرِ دَمـا
لَـوْ فَحَـصْتُمْ أَنْفُـساً هَمَّـتْ بِـأَنْ تُطْفِـىءَ الْعَقْـلَ رَأَيْـتُمْ لَمَمـا[٧]

---

(١) الحملان: جمع الحمل: الصغير من أولاد الضأن.

(٢) المها: جمع المهاة: البقرة الوحشية. الشزر: نظر الغضبان بمؤخر العين، أو النظر عن يمين وشمال. الأجم: جمع الأجمة: الشجر الكثير الملتف، وهي مأوى الأسد.

(٣) السامر: مجلس السمار. الكتم: نبت يخلط بالحناء، ويخضب به الشعر، فيبقى لونه، ويريد الشاعر بذلك: ما يخفي وجه الحق.

(٤) العجفاء: المهزولة.

(٥) الندمان: جمع النديم: وهو المنادم والمجالس على الشرب.

(٦) النهى: جمع النهية: العقل.

(٧) اللمم: الجنون الخفيف، أو طرف من الجنون.

سَـــنَرى فيهـــا حُلومـــاً عِنْـــدَما نُبصِرُ الأَحْلامَ حَلَّتْ فـي الـدُّمى[1]

مروحة الرّوح

«أبيات قالها الشاعر جواباً على بيتين[2] بعث بهما إليه صديقه الشيخ محمد المقداد الورتاني من تونس صحبة مروحة على وجه الهدية».

يا أَخـا الآدابِ صُـغْتَ الـشِّعْرَ مِـنْ كَلِـمٍ يَعْـذُبُ فـي سَـمْعٍ وفَـمْ
وَدَرَيْـتَ الحَـرَّ فـي مِـصْرَ إذا أَقْبَـلَ الـصَّيْفُ تَلَظَّـى واحْتَـدَمْ[3]
فَتَخَيَّـرْتَ لأَنْ تُهْـدِيَ لـي مِـنْ بِـلادِ النَّخْـلِ مِهْـداءَ النَّـسَمْ[4]
أَنـا فـي حَـرٍّ مِـنَ الـشَّوْقِ فَمـا طِـبُّ حَـرِّ الـشَّوْقِ إنْ شَـوْقٌ أَلَـمّ
طِبُّـهُ النَّـاجِعُ مَلْقـاكَ ألا تَبْتَغـي مِـصْرَ سَـبيلاً لِلْحَـرَمْ[5]
هَـذِهِ مِرْوَحَـةُ الـرُّوحِ وَدَعْ سَـعَفَ النَّخْـلِ إلـى لَحْـمٍ وَدَمْ[6]

---

(١) الحلوم: جمع الحلم: العقل. الدمى: جمع الدمية: الصورة المنقوشة المزينة.

(٢) البيتان هما:

مروحة من تونس إلى الأعزّ الأخضر
نسيمها يهدي له أزكى سلام عطر

(٣) تلظى: تلهب. احتدمَ: اشتد.

(٤) بلاد النخل: تونس حيث يكثر في جنوبها النخيل. المهداء: الذي من عادته أن يهدي.

(٥) الناجع: المؤثر. مصر سبيل للحرم: أي: طريق بين تونس ومكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وفي هذا البيت دعوة لزيارة القاهرة.

(٦) السعف: جريد النخل وورقه.

برقيّة الشّوق

«قالها أثناء رجوعه من الآستانة إلى تونس سنة ١٣٣٠هـ، وقد مرت به الباخرة بالقرب من شاطئ (المرسى) حيث كان يقيم صديقه المرحوم العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور».

قَلْبي يُحَيِّيكَ إذْ مَرَّتْ سَفينَتُنا تُجاهَ واديكَ والأَمْواجُ تَلْتَطِمُ
تَحِيَّةً أَبْرَقَ الشَّوْقُ الشَّديدُ بِها في سِلْكِ وِدٍّ بأَقْصى الرُّوحِ يَنْتَظِمُ

إحضار الأرواح

«بيتان خاطب الشاعر بهما صديقه الأستاذ خير الدين الزركلي[1] بدمشق عندما تليت عليه قصيدة بليغة من نظمه».

يا مُحْضِراً في بُرْدِ شِعْرٍ رائِعٍ روحَ ابْنِ بُرْدٍ وَهْوَ يَلْفِظُ بالحِكَمْ[2]
مَنْ عَلَّمَ الشُّعَراءَ أَنْ يَتَحَضَّروا روحاً تَرَدَّى جِسْمُها ثَوْبَ الْعَدَمْ

الرّجاء تعلة

«قالها بمناسبة ورود بيتين لعلي بن الجهم[3] في مجلس أدب».

أُوَدِّعُ جِيراناً لِفُرْقَةِ لَيْلَةٍ بِلَوْعَةِ مَنْ هَمُّوا بِفُرْقَتِهِ عاما

---

(١) خير الدين الزركلي: صاحب كتاب «الأعلام».

(٢) البُرْد: ثوب مخطط. ابن برد: الشاعر بشار: مرت ترجمته.

(٣) علي بن الجهم: (... ـ ٢٤٩هـ) شاعر رقيق الشعر من أهل بغداد، كان معاصراً لأبي تمام، غضب عليه المتوكل العباسي، فنفاه إلى خراسان، وانتقل إلى حلب، وقتل وهو في طريقه للغزو مع جماعة. والبيتان هما قوله:

يا غائباً بكتابه ووصاله هل يرتجى من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجا لتقطعت نفس عليك شعارها الأوصاب

أُشَـيِّعُهُمْ بِـالطَّرْفِ أَرْجـو الْتِفَاتَـةً ... تُرينـي وُجوهـاً كالْبُـدورِ وِسـاما[1]

وَلِلـنَّفْسِ إذْ يَنْـأَى الأَحِبَّـةُ رَوْعَـةٌ ... تُثيـرُ شـجوناً فـي الحَشا وَسِـقاما

ولَـولا رَجـائي والرَّجـاءُ تَعِلَّـةٌ ... لأَوْبَـتِهِمْ كـانَ الـوَداعُ حِمامـا[2]

النّدامى

تُـديرُ علـى الرِّفـاقِ كُـؤوسَ خَمْـرٍ ... وتَـدْعوهُمْ بِمَجْلِـسِكَ النَّـدامى[3]

وإنْ عَـضُّوا الأَنامِـلَ بَعْـدَ صَـحْوٍ ... فَـإنَّ اللهَ يَغْفِـرُ لِلنَّـدامى[4]

ذر الخُمول

ذَرِ الخُمـولَ وَلُـذْ بِـالْعِزِّ مُعْتَـصِماً ... بِـاللهِ كَـيْ تَتَـوَقَّى جِيْـدَكَ الْقَـدَمُ[5]

فالـشِّيحُ يَحْطِمُـهُ دَوْسُ الثَّعالِـبِ إذْ ... لَمْ يَعْلُ هَاماً وتَنْجو الضّالُ والسَّلَمْ[6]

في الحبس

غَـلَّ ذا الحَـبْسُ يَـدي عَـنْ قَلَـمٍ ... كانَ لا يَـصْحو عـن الطِّـرْسِ فَنَامـا

---

(١) الوسام: جمع الوسيم: الحسن الوجه.

(٢) التعلة: ما يتعلل به من طعام أو غيره. الحِمام: قضاء الموت وقدره.

(٣) الندامى: جمع الندمان: بمعنى النديم: المنادم والمجالس على الشرب.

(٤) الندامى: جمع ندمان بمعنى نادم: التائب والآسف على ما فعل.

(٥) قالها بعد أن سمع في أحد الدروس أيام التعليم بيتين، وهما:

عـذ بـالخمول ولـذ بالـذل معتـصما ... بـالله تـنج كمـا أهـل النهـى سـلموا

فـالريح تحطـم إن هبـت عواصـفها ... دوح الثمـار وينجـو الـشيح والـرتم

(انظر: كتاب «الرحلات» للإمام).

(٦) الشيح: نبات ترعاه المواشي.

هَـلْ يَـذُودُ الغَمْـضُ عَـنْ مُقْلَتِـهِ | أَوْ يُلاقـي بَعْـدَهُ الْمَـوْتَ الزُّؤامـا
أَنَـا لَـوْلا هِمَّـةٌ تَحْـدو إلـى | خِدْمَـةِ الإسْـلام آثَـرْتُ الحِمَامـا
لَيْـسَتِ الـدُّنْيا ومـا يقـسُمُ مـن | زَهْرِهـا إلاَّ سَـراباً أو جَهامـا[1]

نخوة

تَبْغـي اللّيـالي أَنْ تَفُـلَّ حُـسامي | وتَـصُدَّ وَجْـدي بـالعُلا وغَرامـي[2]
طَفِقَتْ تَحُثُّ خُطى الْمَطِيَّةِ بَعْـدَما | أَلْقَـتْ لهـا أَيْـدي النَّـوى بِزمـامِ[3]
أَتَخَـالُني أبْلـى بِـسَلْوَةِ خَامِـلٍ | ما شَطَّ عَنْ وَطَنـي الأَنـيسِ مُقَـامي
العَـزْمُ مَـا بَـيْنَ الجَـوانِحِ مُرْهَـفٌ | والْمَجْـدُ أَنّـى سِـرْتُ فَهـوَ أَمـامي
والسَّهْمُ يَصْدُرُ راغِمـاً ويُريـكَ مِـنْ | جَلَـدٍ تَـرَنُّمَ ظَـافِرٍ بِمَـرام
لَولا السُّرى لَمْ تَرْشُفِ النَّكْبـاءُ مِـنْ | نَفَحـاتِ ثَغْـرِ الزَّهْـرَةِ البَـسَّامِ
كَـمْ مِـنْ يَـدٍ بَيْـضاءَ طَـوَّقَني بِهـا | حَـادِي الرِّكـابِ إلى رُبـوعِ الـشّام
وأَلَـذُّها سَـمَرٌ يُـذَكِّرُني البَهـا | وابـنَ الْعَميـدِ إلـى أبـي تَمّـامِ[4]

❐ ❐ ❐

---

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٢) تفل: تثلم.

(٣) طفق يفعل كذا: ابتدأ وأخذ.

(٤) البها: البهاء زهير (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) شاعر رقيق، ولد بمكة، واتصل بالملك الصالح أيوب بمصر، وتوفي بها. وله ديوان شعر مطبوع، ترجم إلى الإنكليزية نظماً. ابن العميد: مرت ترجمته. أبو تمام: مرت ترجمته.



قافية النون



مشاهداتي في الحجاز[1]

أَلمَجْــــدِ لا يَنــــالُ القــــاطِنينْ   وَدَّعَ الــصَّحْبَ وَحَيَّــا الظَّــاعِنينْ[2]

شــامَ فــي وِجْهَتِــهِ يُمْنــاً وَلَــوْ   زَجَــرَ الطَّيْــرَ لَمَــرَّتْ بــاليَمينْ[3]

لا تَلومَــا فــي النَّــوى مَــنْ هاجَـهُ   لِلنَّوى لا عِجُ شَــوْقٍ فــي الكَنــينْ[4]

شــاقَهُ الْبَيْــتُ وَقَبْــرُ المُــصْطَفى   ورُبُــوعُ الخُلَفــاءِ الرَّاشِــدينْ[5]

ســارَ شَــوْطاً وَهْــوَ لا يَــدْري أَفـي   حُلُــمٍ أَمْ فــي زَمــانٍ لا يَخــونْ

ذَكَـرَ «الخِـضْرَ» و«موسـى» إذْ أَتـى   مَجْمَـعَ الْبَحْـرَيْنِ مُرْتـادَ الـسَّفينْ[6]

---

(١) نشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الحادي عشر من المجلد الخامس.

(٢) الظاعن: السائر.

(٣) شام البرق: نظر إليه من أين يقصد وأين يمطر. اليمن: البركة. زجر الطير: تفاءل به، يقال: فلان يزجر الطير: أي: يعافها: وهي أن يرمي الطائر بحصاة، أو أن يصيح به، فإن ولاه في طيرانه ميامنة، تفاءل به، وإن ولاه مياسرة، تطيّر منه. ونرى الشاعر يقول: لو زجر الطير، فهو لم يزجرها؛ لأن ذلك ضرب من الطيرة المنهي عنه.

(٤) النوى: البعد. الكنين: المستور، ويراد به: القلب والضمير.

(٥) شاقه الحب: شوقه إليه. البيت: الكعبة المشرفة بيت الله الحرام.

(٦) الخضر: صاحب النبي موسى عليه السلام. موسى: النبي موسى عليه السلام. =

رَكِبَ «الطَّائِفَ» يَطْوي الْبَحْرَ في جَذَلٍ والْبَحْرُ كالشَّيْخِ الرَّزينْ[١]
وإذا هَبَّتْ جَنوبٌ طَرَدَتْ ما يُلاقيهِ النَّدامى مِنْ شُجونْ[٢]
هُمْ سُكارى ما احْتَسَتْ آذانُهُمْ حِكْمَةَ الْقُرْآنِ في نُطْقٍ رَصينْ
وَدَنَوا مِنْ «رابِغٍ» فَاسْتَبَقوا يَذْكُرونَ اللهَ جَهْراً مُحْرِمينْ[٣]
في بَياضٍ ناصِعٍ تَحْسَبُهُمْ بادِئَ الرَّأْيِ زُهوراً في الغُصونْ
رَسَتِ الطَّائِفُ في «جُدَّةَ» لا بَرِحَتْ «جُدَّةُ» في حِصْنٍ حَصينْ[٤]
رَحَلوا في جُنْحِ لَيْلٍ وَأَتَوا مَكَّةَ الْغَرَّاءَ مِنْ نَحْوِ الحَجونْ[٥]
في رِضا اللهِ خُطاً خاضوا بِها في حَصًى يَغْبِطُهُ الدُّرُّ المَصونْ
دَخَلوا بَيْتاً حَرامَاً يَسْتَوي فيهِ ذو التَّاجِ ومُغْبَرُّ الجَبينْ
شاهَدوا الكَعْبَةَ وَهْناً فَجَرَتْ عَبَراتُ الْبِشْرِ مِنْ بَعْضِ الجُفونْ[٦]

= مجمع البحرين: ملتقى مجرى بحري فارس والروم.

(١) الطائف: اسم الباخرة التي ركبها صاحب الديوان من السويس إلى جدة.

(٢) الجنوب: ريح تقابل الشمال، ومنه: «إذا جاءت الجنوب جاء معها خير وتلقيح».

(٣) رابغ: بلدة على البحر الأحمر في الطريق بين جدة والمدينة المنورة، يحرم منها الحجاج القادمون من الشام ومصر والمغرب. المحرم: أحرم الحاج أو المعتمر: دخل في عمل حُرم عليه به ما كان حلالاً.

(٤) جدة: مدينة على البحر الأحمر، وهي ميناء مكة المكرمة، وباب الحجاج إليها بحراً، وقد أسسها سيدنا عثمان بن عفان، وبها قبر ينسب إلى حواء أم البشر.

(٥) الحجون: جبل بأعلى مكة المكرمة، عليه مدافن أهلها.

(٦) الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه.

مُقْلَـةُ الـدُّنْيا فَـإِنْ أَبْـصَرْتَها ... فـي سَـوادٍ فَعُيـونُ الْغِيـدِ جُـون[١]

لَثَمـوا مِـنْ رُكْنِهـا الأَيْمَـنِ مـا ... لَثَمَتْـهُ شَـفَتا طـهَ الأَمـينْ[٢]

هِـيَ بَيْـتُ اللهِ إِنْ طـافوا بِهـا ... وَهُـمُ أَضْـيافُ رَبِّ الْعـالَمينْ

وَرَدوا «زَمْـزَمَ» يَـشْفونَ بهـا ... ظَمَـأَ الأَكْبـادِ حينـاً بَعْـدَ حـينْ[٣]

لَوْ شَـفى «عَمْـرُو بْـنُ كُلْثـومٍ» بِهـا ... غُلَّـهُ عـافَ خُمـورَ الأَنْـدَرِينْ[٤]

صَعِدوا «المَرْوَةَ» مِنْ بَعْدِ «الـصَّفا» ... وَسَـعَوا لله سَـبْعاً راجِلـينْ[٥]

وَقَفـوا فـي «عَرَفـاتٍ» مَوْقِفـاً ... يَطْرَحُ الآثامَ مِـنْ ماضـي الـسِّنينْ[٦]

إِنَّ دَهْـراً طـافَ سـاقِيهِ بِمـا ... تَـشْتَهي أَنْفُـسُهُمْ غَيْـرُ ضَـنينْ

---

(١) مقلة الدنيا: الكعبة المشرفة وهي مجللة بالسواد، شبهها الشاعر بعين الدنيا. الجون: جمع الجوْن: السود.

(٢) الركن الأيمن: الركن اليماني من أركان الكعبة، وهو إلى جهة المغرب.

(٣) زمزم: هي البئر المعروفة داخل الحرم المكي، قيل: سميت بها لكثرة مائها، يقال: ماء زمزم، وزمزام، وقيل: هو اسم علم لها.

(٤) عمرو بن كلثوم: (. . . ـ ٤٠ق هـ) شاعر جاهلي، ولد في شمال جزيرة العرب، ومات في الجزيرة الفراتية. وكان عزيز النفس فاتكاً شجاعاً.

(٥) الصفا والمروة: يمتد المسعى بين الصفا والمروة إلى الجهتين الشرقية والجنوبية من المسجد الحرام، وكل منهما عبارة عن سطح مرتفع يصعد إليه بمدرجات قليلة العدد، وبه الميلان الأخضران. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة: ١٥٨].

(٦) عرفات: مكان اجتماع الحجيج، ويبعد عن مكة المكرمة نحو خمسة وعشرين ميلاً.

هَبَطوا «جَمْعاً» وَقَدْ سادَ الدُّجى وحَدَوْا منْها المَطايا مُصْبِحينْ[(١)]

هَلْ دَرَى المَشْعَرُ إذْ عاجوا بِهِ أَنَّهُمْ جُنْدُ إمامِ المُرْسَلينْ[(٢)]

نزلوا «خَيْفَ مِنىً» حَيْثُ رَمَوْا بالحَصى سَبْعاً عَلى وَجْهِ اللَّعينْ[(٣)]

وأَتَوْا «أُمَّ القُرى» فَاطَّوَّفوا ثُمَّ عادوا «لِمنىً» في العائِدينْ[(٤)]

رَكَعوا في مَسْجِدِ الخَيْفِ وَهَلْ أَحْرَزوا فيهِ ثَوابَ الخاشِعينْ[(٥)]

وَقَضَوْا حَقَّ «مِنىً» وَارْتَحَلوا بَعْدَ أَنْ أَذَّنَ بالعَصْرِ أَذينْ[(٦)]

سَلْ «ثَبيراً» ما لَهُ ظَلَّ بِها مُلْقِيَ الرَّحْلِ وقَدْ بانَ الْقَطينْ[(٧)]

أَفَلا يَحْمِلُ ما نَحْمِلُهُ لِرُبى طَيْبَةَ مِنْ شَوْقٍ مَكينْ

دَعْ «ثبيراً» قاسِيَ الْقَلْبِ فَهَلْ تلْفَحُ الأَشْواقُ صَخْراً فَيَلينْ

---

(١) جمع: هي المزدلفة: وسمي جمعاً؛ لاجتماع الناس فيه. الدجى: الظلمة.

(٢) المشعر: المشعر الحرام، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[البقرة: ١٩٨]، وقيل: إن المزدلفة كلها المشعر الحرام. ومعنى المشعر: معلم للعبادة.

(٣) خيف منى: سفح الجبل فيها. اللعين: إبليس.

(٤) أم القرى: من أسماء مكة المكرمة.

(٥) مسجد الخيف: مسجد في منى، وفي الحديث الشريف: «صلّى في مسجد الخيف سبعون نبياً منهم موسى». وبه المحراب والمنبر الذي خطب عليه النبي ﷺ.

(٦) الأذين: المؤذن.

(٧) ثبير: جبل بمكة المكرمة، سمي كذلك باسم رجل من هذيل مات فيه، فعرف به، وكان فيه سوق في الجاهلية كسوق عكاظ. القطين: القاطن.

هَـــذِهِ مَكَّـــةُ مـــا لِلـــشَّمْسِ فـــي ... صُـفْرَةٍ تَحْكـي بِهـا وَجْـهَ الحَـزِينْ
أَتُرينـــا والنَّـــوى قَـــدْ أَزِفَـــتْ ... كَيْـفَ تَـصْفَرُّ وُجـوهُ النَّـازِحين
بَلْـــدَةٌ عُظمـــى وَفـــي آثارِهـــا ... أَنْفَـعُ الـذِّكْرى لِقَـومٍ يَعْقِلـونْ
شَـبَّ فـي بَطْحائها خَيْـرُ الـوَرى ... وشَـبا فـي أُفْقِهـا أَسْـمَحُ دِيـنْ(١)
إِنْ عَزَمْنـا النَّـأْيَ عَنْهـا فالـضَّرو ... راتُ قَدْ تُنْئي خَديناً عَـنْ خَـدين(٢)

* * *

ســائِقَ الــسَّيَّارَةِ انْهَـضْ نَغْتَـنِمْ ... فُرصَـــةً نَرْقُبُهـــا مُنْـــذُ سِـــنينْ
خُضْ بِـها الْبِـيدَ على سَلْعٍ فَلي ... حاجَةٌ فـي أَرْضِ سَلْعٍ وشُـؤونْ(٣)
بَـيْنَ لَيْـلٍ مِثْـلِ أَحْـداقِ المَهـا ... ونَهـارِ مِثْـلِ نَـوْرِ الياسَـمينْ(٤)
أَحْمَـــدُ الإدْلاجَ والتَّأْوِيـــبَ إِذْ ... أَرَيَـاني خَيْـرَ مـا تَهْـوى الْعُيـونْ(٥)
أَمْتَعــا طَرْفــي بِمَــرْأَى رَوْضَــةٍ ... أَوْدَعـــوا تُرْبَتَهـــا خَيْـــرَ دفـــينْ
رَوْضَـــةٌ يَـــصْبو إِلَيْهـــا كُـــلُّ مَـــنْ ... عَـــرَفَ الحَـــقَّ وبـــالحَقِّ يَـــدينْ

---

(١) بطحاء مكة: ما بين جبليها المسميين بالأخشبين، وهما: أبو قبيس، والأحمر، وذلك صميم مكة، ومن كان يسكن البطحاء هم المحض واللباب من قريش، وكان دونهم من يسكن الظواهر من مكة. شبا: أضاء. أسمح دين: الإسلام.
(٢) الخدين: الصاحب والصديق.
(٣) سَلْع: جبل في ظاهر المدينة.
(٤) المها: جمع المهاة: البقرة الوحشية.
(٥) الإدلاج: السير أول الليل، وربما استعمل للسير آخر الليل. التأويب: السير جميع النهار.

شَـادَها الهـادي عَلـى أُسِّ التُّقـى وَتـلا القُـرْآنَ فيهـا جِبْـرَئينْ[1]
حَـرَمٌ كَـمْ سُـقِيَتْ حَـصْباؤُهُ في دُجـى اللَّيْـلِ دُمـوعَ القـانِتينْ[2]
فَاسْألوا المِحْرابَ عَنْ بَـدْرِ الهُـدى إذْ هَوى يَـسْجُدُ فـي مـاءٍ وَطـينْ[3]
مَعْهَـدُ الحِكْمَـةِ لا يَنْبُـتُ فـي دَوْحِـهِ إلاَّ الـدُّعاةُ المُـصْلِحونْ
مِـدْرَسٌ لِلْحَـرْبِ لَـمْ يَـرْمِ العِـدا قَـطُّ إلاَّ بِالكُمـاةِ الفـاتِحينْ[4]
ثُكْنَـةٌ لِلْجُنْـدِ والْقَـضْبِ إذا لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِـنَ الحَـرْبِ الزَّبـونْ[5]
حُجُـراتٌ مُلِئَـتْ طُهْـراً أمـا عَمَّرَتْهـا أُمَّهـاتُ المُـؤْمِنينْ
لُقِّنَـتْ فيهـا حُقـوقٌ أَنْقَـذَتْ رَبَّـةَ المَنْـزِلِ مِـنْ أَسْـرٍ يَـشينْ

---

(١) جبرئين: جبريل ـ عليه السلام ـ.

(٢) الحرم: الحرم النبوي الشريف، ومعنى الحرم: ما لا يحل انتهاكه. الحصباء: الحصى، الواحدة حصبة. القانت: القائم بالطاعة، والدائم عليها، والمصلي.

(٣) يسجد في ماء وطين: في هذا البيت يلمح الشاعر لما ورد في «صحيح البخاري» عن أبي سعيد ﷺ، قال: اعتكفنا مع النبي ﷺ العشر الأوسط من رمضان، فخرج صبيحة عشرين، فخطبنا، وقال: «... إني رأيت أني أسجد في ماء وطين، فمن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ، فليرجع»، فرجعنا، وما في السماء قزعة (قطعة من السحاب)، فجاءت سحابة، فمطرت حتى سال سقف المسجد، وكان من جريد النخل، وأقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته ﷺ.

(٤) المِدْرس: الموضع الذي يدرس فيه. الكماة: جمع الكمي: الشجاع.

(٥) القَضب: ما قطعت من الأغصان للسهام والقسي، ويقصد بها: السلاح والعتاد الحربي. حرب زبون: يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

3420

هأَنَــذا فــي مُقــامِ مُــؤْنِسٍ كَـسَنا الْبَـدْرِ مَهيـبٍ كـالعَرينْ[١]
فَــسَلاماً فــي حُــضورٍ بَعْـدَما كـادَ يُزْجِيـهِ علـى البُعْـدِ حَنـينْ

* * *

جِئْـتَ يـا مُخْتـارُ والْعَـالَمُ فـي لَيْـلِ جَهْـلٍ وضَـلالٍ ومُجـونْ[٢]
فَمَحَــوْتَ الهَــزْلَ بالجِـدِّ كَمـا ذُدْتَ لَيْلَ الغَـيِّ عَـنْ صُبْحِ اليقـينْ
وَأَقَمْـتَ العِلْـمَ صَـرْحاً شـامِخاً وصَرَعْتَ الجَهْلَ طَعْناً فـي الـوَتينْ[٣]
سُـسْتَ أَقْوامـاً فَـساسُوا أُمَمـاً بِيَـدِ الإِنْـصافِ فـي حَـزْمٍ وَلِـينْ
وقَــضَوْا فيهــا بِــشَرْعٍ قَــيِّمٍ فَأَرَوْهـا كَيْـفَ يَقْـضي الْعـادِلونْ
«خـاتَمَ الرُّسْـلِ» أَلَـمْ يَأْتِـكَ مـا حَـلَّ بالأُمَّـةِ مِـنْ خَطْـبٍ مُهـينْ
وَيْلَهــا مِــنْ مُرْهِــقٍ فــي عَلَــنٍ وَخَـؤونٍ فـي ثِيـابِ النَّاصِـحينْ[٤]
لَيْـتَ قَوْمـاً وَرِثُــوا هَــدْيَكَ لَـمْ يُغْمِضوا عَـنْ مُوبقـاتِ المُتْـرَفينْ[٥]
لَيْــتَ قَوْمــاً وَرِثــوا الرَّايَــةَ قَــدْ فَطِنــوا لِلــدَّاءِ والــدَّاءُ كَمــينْ[٦]

* * *

---

(١) مهيب: يخافه الناس. العرين: مأوى الأسد.

(٢) المجون: الهزل: يقال: مجن الرجل مجوناً: كان لا يبالي قولاً وفعلاً.

(٣) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

(٤) المرهق: الحاكم الظالم الجائر الذي يحمّل الأمة ما لا تطيق. الخؤون: الخائن.

(٥) الموبقات: المعاصي.

(٦) الكمين: الداخل في الأمر لا يفطن له.

دِينُــكَ الوَضَّــاءُ ثــارَتْ حَوْلَــهُ غُبْـرَةٌ مِـنْ شُـبُهاتِ الْمُبْطِلـينْ(١)
مِـنْ يَـدٍ تَرْميـهِ فـي رَأْدِ الـضُّحى ويَدٍ تَرْميـهِ مِنْ خَلْـفِ الـدُّجونْ(٢)
ولَهُـــمْ فـــي كُـــلِّ وادٍ قَلَـــمٌ ولِـــسانٌ لاصْـــطِيادِ الغـــافِلينْ
كَـمْ أزاغـوا عَـنْ عَفـافٍ وهُـدًى مِـــنْ بَنـــاتٍ طـــاهِراتٍ وَبَنـــينْ
لَـمْ يَرُعْنـا يـا أَبـا القاسِـمِ مِـنْ جَوْلَـــةِ الغَـــيِّ دَوِيٌّ وَطَنـــينْ(٣)
إنَّ فـــي الـــشَّرْقِ شَـــباباً أَيْقَنـــوا أَنَّــكَ الــدَّاعي إلــى الحَــقِّ المُبِــينْ
إنَّ أَسْـنى المَجْـدِ فـي شَـعْبٍ إذا ســامَهُ الخَــصْمُ أَذًى لا يَــسْتَكينْ
وَقَفُــوا يَرْمُــونَ أَعْــداءَ الهُــدى بِنِبـــالٍ قَوْسُـــها الْعِلْـــمُ المَتـــينْ
يَعْــشَقونَ الْبَــذْلَ فــي الخَيْــرِ إذا عَــشِقَ الْمــالَ طَغــامٌ مُوسِــرونْ(٤)
يُــؤْثِرونَ المَــوْتَ فــي عِــزٍّ علــى أَنْ يَعيشوا تَحْـتَ إرْهـاقٍ وهُـوْنْ(٥)
وإلـــى الحَـــضْرَةِ مـــا حُمِّلْتُـــهُ مِـــنْ تَحِيَّـــاتِ شـــبابٍ ناهِـــضينْ

* * *

(١) الغبرة: الغبار.

(٢) رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء في الخمس الأول، وذلك شباب النهار. الدجون: جمع الدجن: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء، ويقصد بذلك: الظلمات.

(٣) أبو القاسم: النبي ﷺ.

(٤) الطغام: أوغاد الناس، الواحد والجمع فيه سواء.

(٥) الهون: الخزي.

أَيُّ وِرْدٍ لَـــمْ يُكَـــدَّرْ صَـــفْوَهُ صَـــدَرٌ مـــا الـــدَّهْرُ إلاَّ مِنْجَنُـــونْ[١]

أَزْمَـعَ الرَّكْـبُ رَحِـيلاً لَـمْ يَكُـنْ مِنْـهُ بُـدٌّ، والـضَّروراتُ فُنُـونْ

فَوَقَفْنَـا لِـوَداعٍ، والأَسَـى يَلْـذَعُ الآمـاقَ بالـدَّمْعِ الـسَّخينْ[٢]

أَفَـلا نأْسَـى علَـى عَهْـدٍ أَتَـى وَتَـوَلَّى وَهْـوَ مَقْطـوعُ القَـرينْ[٣]

نَـضِرٌ كـالرَّوْضِ حَـلاَّهُ النَّـدى بِجُمـانٍ صِـيغَ مِـنْ مـاءٍ مَعِـينْ[٤]

* * *

يـا حِمَـى وَدَّعْتُـهُ والـشَّمْسُ قَـدْ وَدَّعَـتْ وَالْتَحَقَـتْ بِـالرّاحِلينْ

هَـلْ لَنـا عَـوْدٌ كَعَـوْدِ الـشَّمْسِ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ يَـصْرِفَنا عَنْـكَ المَنُـونْ[٥]

وسَـلاماً كُلَّمـا رَتَّلْتُـهُ قالَـتِ الـدُّنْيا وَمَـنْ فيهـا: أَمـينْ[٦]

رضيت عن اغترابي

«قالها بعد قدومه من الشام إلى مصر سنة ١٣٤١هـ».

رَضِـيتُ عَـنِ اغْتِرابِـي إِذْ لَحـاني فَـتًى لا يَنْظُـرُ الـدُّنيا بِعَيْنِـي[٧]

---

(١) الورد: الإشراف على الماء، والماء الذي يورد. الصّدَر: الرجوع عن الماء. المنجنون: الدولاب الذي يستقى عليها، وهي مؤنثة.

(٢) السخين: الحار.

(٣) القرين: المقارن.

(٤) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. المعين: الجاري.

(٥) المنون: الموت.

(٦) أمين: آمين: اسم فعل معناه: استجب.

(٧) لحاني: لامني.

يَقـولُ: تُقـيمُ فـي مِـصْرٍ وَحيـداً ... وَفَقْـدُ الأُنْـسِ إِحْـدى المَـوْتَتَيْنِ
أَلا تَحْـدو المَطِيَّـةَ نَحْـوَ أَرْضٍ ... تُعيـدُ إِلَيْـكَ أُنْـسَ الأُسْـرَتَيْنِ(١)
وَعَيْـشاً ناعِمـاً يَـدَعُ الْبَقايَـا ... مِـنَ الأَعْمـارِ بِيـضاً كـاللُّجَيْنِ(٢)
وقَـوْمٌ أَمْحَـضوكَ النُّـصْحَ أَمْـسَوْا ... كَواكِـبَ فـي سَماءِ الْمَغْـرِبَيْنِ(٣)
فَقُلْـتُ لَـهُ: أَيَحْلـو لـي إِيـابٌ ... وَتِلْـكَ الأَرْضُ طافِحَـةٌ بِغَـيْنِ(٤)
وما غَـيْنُ البِـلادِ سِوى اعْتِسافٍ ... يُدَنِّـسُها بِـهِ خَـرِقُ الْيَـدَيْنِ(٥)
فَعَـيْشُ رافِـهٌ فيهـا يُـساوي ... إِذا أَنـا سُـمْتُهُ خُفَّـيْ حُنَـيْنِ(٦)
أَحِـنُّ إِلـى لَيالِيهـا كَـصَبٍّ ... يَحِـنُّ إِلـى لَيـالي الـرَّقْمَتَيْنِ(٧)

---

(١) الأسرتان: أسرة والده من آل الحسين، وأسرة والدته من آل عزوز من أشراف العائلات التونسية.

(٢) اللجين: الفضة.

(٣) المغربان: ويقصد بهما المغرب الأدنى تونس، والمغرب الأوسط الجزائر، إذ أن عائلة الشاعر تقيم في القطرين.

(٤) الغين: الغيم، تلميح إلى الاستعمار الفرنسي آنذاك.

(٥) الاعتساف: يقال: اعتسف الأمر: ركبه بلا تدبير ولا روية. خَرِقُ اليدين: من لا يحسن الصنعة.

(٦) الرافه: الرغد والخصب. خفي حنين: إشارة إلى المثل «رجع بخفي حنين»، وقصته معروفة.

(٧) الرقمتان: روضتان بناحية الصّمّان، ومنها قول القاضي عياض:

رأت قمـر السـماء فـذكرتني ... ليـالي وصـلها بـالرقمتين

وَمَطْمَحُ هِمَّتي في أَنْ أَراها ... تُسامي في عُلاها الفَرْقَدَيْنِ(١)

عذاب الصّامتين

صُغْتُ بِالنَّارِ سُيوفاً لَمْ يَكُنْ ... صَوْغُها إلاّ لِكَبْحِ المُجْرِمينْ
قَبَضَتْ أَيْدٍ على هاماتِها ... وانْتَضَتْها نُصْرَةً لِلظَّالِمينْ(٢)
أَطْفِئِ النَّارَ فَإِسْعادُ أُولي الْـ ... ـبَغْيِ طَعْنٌ في ظُهورِ المُصْلِحينْ
لَوْ يَحولُ الْبَغْيُ طَيْراً لَمْ يَصِرْ ... غَيْرَ بُوْمٍ في حِسابِ الزَّاجِرينْ(٣)
إنْ يَحُمْ في أَرْضِ قَوْمٍ سادِراً ... لَقِيَ الْقَوْمُ عَذابَ الصَّامِتينْ(٤)
وَيْحَهُمْ لَوْ نَهَضوا حَتَّى رَأَوْا ... عُنُقَ الْباطِلِ مَقْطوعَ الوَتينْ

أسمع جعجعة ولا أرى طحنا

«قيلت للنصح بترك الهذيان في مجالس أهل الفضل».

أَتَى زَيْدٌ وأَسْرَفَ في هُذاءٍ ... تَضيقُ بِهِ صُدورُ السَّامِرينا(٥)
يُحَدِّثُنا فَلا يَرْوي غَريباً ... ولا يُبْدي لَنا رَأْياً رَصينا

---

(١) الفرقدان: نجمان قريبان من القطب الشمالي يهتدي بهما

(٢) الهامات: جمع الهامة: رأس كل شيء.

(٣) البوم: طائر يسكن الخراب، يضرب به المثل في الشؤم. الزاجر: زجر الطير: تفاءل به فتطير فنهره.

(٤) السادر: الذي لا يهتم ولا يبالي بما صنع.

(٥) الهذاء: هذى الرجل: تكلم بغير معقول لمرض أو غيره، والاسم الهذاء.

كَمِثْلِ رَحًى تُجَعْجِعُ طولَ لَيْلٍ ولا تُلْقي على ثُفْلٍ طَحينا[١]

كلانا ناظر ورداً

«قالها بمناسبة ما جرى في بعض المجالس من المذاكرة في معنى البيتين المشار إليهما في هذه الأبيات التالية».

أَنْشَدَتْنا شِعْرَ لَهْفانٍ على وَصْلِ لَيْلى وَلَيالي الرَّقْمَتَيْنِ[٢]
قُلْتُ: خَلِّي ذِكْرَ مَنْ قالَ وَلَمْ يُبْرِزِ المَعْنى: رَأَتْ بَدْراً بِعَيْني
واذْكُري يَوْمَ تَلاقينا على رَبْوَةٍ والماءُ صافٍ كاللُّجَيْنِ
غادَةٌ تَرْنو إلى وَرْدِ الرُّبى وفَتًى يَلْحَظُ وَرْدَ الوَجْنَتَيْنَ

أحمد الظعن

«قيلت على لسان قلم أهداه لأحد الكتاب بعد عودته من برلين سنة ١٣٣٤هـ».

أطْوي المَراحِلَ مِنْ «بَرْلينَ» في أَمَلٍ لَمْ يَجْنِ زَهْرَتَهُ كَفُّ الَّذي قَطَنا[٣]
فَأَحْمَدُ الظَّعْنَ إِنَّ الظَّعْنَ أَظْفَرَني بِأَنْمُلٍ تَخْدِمُ الإسْلامَ والوَطَنا[٤]

الزّيارة دعامة الصّداقة

لي صَديقٌ أَلْقاهُ يَوْماً فَيَوْماً في احْتِفاءٍ وَما شَعَرْنا بِغَبْنِ[٥]

---

(١) الرحى: الطاحون. الثفل: جلد يبسط فتجعل الرحى فوقه، فتطحن باليد ليسقط عليه الدقيق.

(٢) اللهفان: المتحسر.

(٣) المراحل: جمع المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في اليوم.

(٤) الظعن: السير. الأنمل: جمع الأنملة: رأس الأصبع.

(٥) الغبن: الخديعة.

غـــابَ عَنَّـــا ثلاثَـــةً فعَتِبْنـــا ... خَــوْفَ أَنْ يُبْتَلــى الــوِدادُ بِــوَهْنِ

وإذا رُمْـــتَ للــصَّداقَةِ حِــصْنا ... فَعِتــابُ الــصَّديقِ أَمْنَــعُ حِـصْنِ

قــالَ: أَخْـشَى إذا وَصَــلْتُ لِقــاءً ... بِلِقـــاءٍ أَنْ يَـــسْأَمَ الخِــلُّ مِنِّـــي

قُلْــتُ: أَصْــفَيْتُكَ الــوِدادَ لأَخْــلا ... قِ سِــماحٍ كأَنَّهـــا مــاءُ مُــزْنِ[1]

فَــإذا مــا سَـئِمْتُ مَلْقــاكَ فَــايْقِنْ ... أَنَّنـي قَـدْ سَئِمْتُ لَحْظي وجَفْني

ننجي الوطنا

طــالَ لَيْلــي ولِمـــا طــالَ وَلَــمْ ... أَشْـكُ هِجْـرانَ حَبيـبٍ أَوْ ضَـنى[2]

فَكَـــأَنَّ الـــصُّبْحَ طِــرْفٌ جــامِحٌ ... ســارَ شَـوْطاً نَحْوَنـا ثُـمَّ انْثَنـى[3]

أَرَقٌ يَمْـــلأُ أَجْفـــاني وقَـــدْ ... مُلِئَــتْ أَجْفــانُ غَيْــري وَسَـــنا

أَتَــرى اللَّيْــلَ سَــواداً غَرِقَــتْ ... فيـــهِ آفـــاقٌ وَوارى أَعْيُنــــا؟

أَمْ تُــرى الــصُّبْحَ بَياضـــاً خَطَّــهُ ... في جَبينِ الْكَونِ وَضَّــاحُ الـسَّنا؟[4]

لَـمْ نَـزَلْ فـي غَـسَقٍ مُـذْ هَـزَّ فـي ... أَرْضِـنا الطَّــاغي بُنــوداً وقَنـا[5]

---

(١) المزن: السحاب.

(٢) الضنى: المرض والهزال وسوء الحال.

(٣) الطِّرف: الكريم من الخيل. وكذلك الكريم الأطراف من الآباء والأمهات. الجامح: اسم فاعل، الذكر والأنثى فيه سواء، ويجمع على جوامح، يقال: جمح الفرس: ركب رأسه لا يثنيه شيء.

(٤) السنا: الضوء الساطع، والمراد به، الشمس.

(٥) البنود: جمع البند: العلم الكبير.

وَصَــباحي يَــوْمَ نَطْــوي بَنْــدَهُ بِيَــدِ الْقَهْــرِ وَنُنْجــي الوَطَنــا

خانها الحرّاس

«قالها في واقعة حال بالآستانة».

يــا رِياضــاً خانَهــا الحُــرَّاسُ إذْ غَرِقَــتْ أَعْيُــنُهُم فــي وَسَــنِ[١]
سَــرَقَتْ ريــحُ الــصَّبا مِنْــكَ شَــذاً طــابَ وانْــسابَتْ بِــهِ فــي الــدِّمَنِ[٢]

على طريقة حديث عنقاء

«قالها بمناسبة مذاكرة أدبية جرى فيها قول أبي سهل في طالع قصيدة: حديث عنقاء صب أدرك الأملا».

حَديثُ عَنْقــاءَ شَــعْبٌ أَنْقَــذَ الوَطَنــا ولَــمْ يَــسُلَّ سُــيوفاً أَوْ يَهُــزَّ قَنــا[٣]
والعِــزُّ يَجْعَــلُ أَرْضــي رَوْضَــةً أُنُفــاً فَإِنْ أَناخَ بِهــا ضَــيْمٌ غَــدَتْ دِمَنــا[٤]
وَلَــيْسَ يَلْــدِزُ والبُــرْدُ الْقَــشيبُ إذا ما ساسَنا الخَصْمُ إلاَّ الْقَبْرَ والكَفَنــا[٥]

---

(١) الوسن: شدة النوم.

(٢) الدمن: جمع الدمنة: آثار الدار.

(٣) العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم لا يعرف، ويراد بحديث عنقاء: الأمر لا حقيقة له، قال الشاعر:

الجــود والغــول والعنقــاء ثالثــة أسماء أشياء لـم توجـد ولـم تكـن،

وقال آخر:

ثلاثـــة لـــيس لهـــا وجـــود الغـــول والعنقـــاء والـــودود.

(٤) الروضة الأنف: التي لم يرعها أحد. أناخ: أنزل. الضيم: الظلم.

(٥) يلدز: قصر السلاطين العثمانيين في الآستانة. القشيب: الجديد.

عُسْفُ العِدا دَرَنٌ فاسْكُبْ عَلَيْهِ دَماً مِنَ الدِّماءِ الْغَوالي تَغْسِلُ الـدَّرَنا[1]
ولا يَروعَنْـكَ جُنْـدٌ شَـنَّ غارَتَـه على الْبُغاثِ فَلاقى الجُبْنَ والوَهَنـا[2]
إنَّ الصُّقورَ إذا انْقَضَّتْ تُنـافِحُ عَـنْ أَوْكارِها لَمْ تَهَبْ جُنْـداً ولا ثُكَنـا[3]
وسـيرَةُ الحُـرِّ إذْ يُبْلـى بِطاغِيَـةٍ يَـسومُهُ رَهَقـاً أَنْ يَهْجُـرَ الوَسَـنا[4]
ويُسْرِحَ الطَّرْفَ في غَوْرٍ وفـي عَلَـمٍ ويُنْفِذَ الـسَّهْمَ إنْ سِـرّاً وَإنْ عَلَنـا[5]
يَبْغي الحَياةَ فَإِنْ ضاقَتْ عَلى الهِمَـمِ الْـ ـكُبْرى فَما هُوَ مِمَّنْ يَعْـشَقُ الزَّمَنـا

الدّعاء للميّت خير من تأبينه

«قيلت في مستشفى فؤاد الأول بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٦٨».

تُسائِلُني هَـلْ فـي صِـحابِكَ شـاعِرٌ إذا مُـتَّ قـالَ الـشِّعْرَ وَهْـوَ حَـزينُ
فَقُلْتُ لها: لا هَمَّ لـي بَعْـدَ مَـوْتَتي سِوى أَنْ أَرى أُخْرايَ كَيْـفَ تَكـونُ
وما الشِّعْرُ بِالمُغْني فَتيلاً عَنِ امْـرِئٍ يُلاقـي جَـزاءً والجَـزاءُ مُهـينُ[6]
وَإنْ أَحْظَ بالرُّحْمى فَما لِيَ مِنْ هَوًى سِواها، وأَهْـواءُ النُّفـوسِ شُـجونُ

---

(١) العسف: الظلم. الدرن: الوسخ.

(٢) البغاث: طائر لا يصاد ولا يُرغب في صيده، شرار الطير.

(٣) الثكن: جمع الثكنة: مركز الأجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم، وإن لم يكن هناك لواء ولا علم.

(٤) الرهق: حمل الإنسان على ما لا يطيقه.

(٥) الغور: ما انحدر من الأرض. العلم: الجبل الطويل.

(٦) الفتيل: حبل دقيق من خزم أو ليف أو غيره.

فَخَلِّي فَعولُنْ فاعِلاتٌ تُقالُ في ... أُناسٍ لَهُمْ فَوْقَ التُّرابِ شُؤونُ
وَإنْ شِئْتِ تَأْبيني فَدَعْوَةُ ساجِدٍ ... لَهُ بَيْنَ أَحْناءِ الضُّلوعِ حَنينُ(١)

من برلين إلى دمشق

«قيلت في دمشق عند رجوعه من ألمانيا سنة ١٣٣٧ هـ».

سَئِمْتُ، وَما سَئِمْتُ سِوى مُقامي ... بِدارٍ لا يَروجُ بِهِ بَياني(٢)
فَأَزْمَعْتُ الرَّحيلَ، وفَرْطُ شَوْقي ... إلى بَرَدَى تَحَكَّمَ في عِناني
بَكَرْتُ إلى القِطارِ فَسارَ تَوًّا ... إلى مَرْسى السَّفينِ كَأُفْعُوانِ(٣)
نَهَضْتُ على السَّفينَةِ في رِفاقٍ ... سَلَوْتُ بِأُنْسِهِمْ نُوَبَ الزَّمانِ
وقَضَّيْنا بِها عِشْرينَ يَوْماً ... فَلَمْ نَلِجِ الْبِلادَ ولا المَواني
تُقَلِّبُها الْعَواصِفُ كَيْفَ شاءَتْ ... وتَقْذِفُها بِأَمْواجٍ سِمانِ
أَلا بُعْداً لِما تُذْكيهِ ريحٌ ... عَلى الدَّأْماءِ مِنْ حَرْبٍ عَوانِ(٤)
رَسَتْ بِمياهِ لُنْدُنَ وَهْيَ قُصْوى ... فَلا بَشَراً نُحِسُّ ولا المَغاني(٥)
وَوافاها الْعريفُ ومُسْعِدوهُ ... سِراعاً في زَوارِقَ كالْهِجانِ(٦)

---

(١) التأبين: الثناء على الميت.

(٢) يروج: يقال: راجت السلعة: أي: نفقت.

(٣) مرسى السفين: ميناء هامبورغ بألمانيا.

(٤) الدأماء: البحر. حرب عوان: هي الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى.

(٥) لندن: عاصمة إنكلترا. قصوى: بعيدة. المغاني: جمع المغنى: المنزل.

(٦) العريف: القيم بأمر القوم الذي عرف بذلك. الهجان من الإبل: البيض الكرام.

وأَبْـصَرْنا جَفـاءً فـي وُجـوهٍ مُقَطَّبَـةٍ وأَحْـداقٍ رَوانـي
فَقُـلْ لِلإِنْكليـزِ صَـرَعْتَ خَـصْماً وحُـزْتَ الـسَّبْقَ فـي يَـوْمِ الرِّهـانِ
فَخَـلِّ الـشَّرْقَ يَـنْهَضُ مُـسْتَقِلاً فَمـا هُـوَ بِـاليَؤُوسِ ولا الجَبـانِ

* * *

أَرُبّـانَ الـسَّفينَةِ قِـفْ مَلِيّـاً نُـؤَبِّنُ فاتِحـاً ثَبْـتَ الجَنـانِ(١)
كَـأَنَّ رِيَـاحَ هـذا الـصُّبْحِ مَـرَّتْ بِـأَرْواحٍ تَـنَعَّمُ فـي الجِنـانِ(٢)
أَرى جَـبَلاً تَـسَنَّمَهُ قَـديماً دُعـاةُ الحَـقِّ والـسُّنَنِ الحِـسانِ(٣)
وَساسُـوا أرضَ أَنْـدَلُسٍ بِعَـدْلٍ كمـا صَـنَعوا بِـأَرْضِ القَيْـرَوانِ
ومـا انْقَلَبَـتْ إلـى الإسْبانِ إلاَّ عَلـى أَيْـدي الْمَزاهِـرِ والقِيـانِ
عَبَرنـا الـدَّرْدَنيلَ ضُـحًى وجِئْنـا فَـروقَ وقَـدْ تَهـاوَتْ فـي هَـوانِ(٤)
لَمَحْـتُ عَلـى الوُجـوهِ بِهـا كُـسوفاً وكِـدْتُ أَرى الـتَّجَهُّمَ فـي المَبـاني
يَميسُ بأَرْضِـها الخُلَفـاءُ سَكْرى وإنْ لَـمْ يَحْتَـسوا بِنْـتَ الـدِّنانِ(٥)
ولَـمْ أَعْهَـدْ بِهـا إلاَّ حُـصوناً كَـسَتْها رَوْعَـةَ الـسَّيْفِ الْيَمـاني

* * *

(١) الفاتح: طارق بن زياد. الجَنان: القلب.

(٢) الجِنان: جمع الجنة: الحديقة ذات الشجر.

(٣) تسنَّم الشيء: علاه.

(٤) فروق: إستانبول.

(٥) بنت الدنان: الخمر.

بَرِحْــتُ فَــروقَ مَأْســوفاً وهــذي رُبــى أَزْميــرَ حالِكَــةُ الــدِّجانِ(١)
يَجـوسُ خِلالَهــا اليُونــانُ مَرْحــى مِــراحَ الفُــرْسِ يَـوْمَ المِهْرَجــانِ(٢)
فَيا نَكَـدي يَـسوسُ الخَـصْمُ أَمْـري وكُنْــتُ أَذَقْتُــهُ حَــرَّ الطِّعــانِ

* * *

قَـصَدْتُ إلـى الـشَّآمِ ولَـسْتُ أدْري أَيَقْــسُو أَمْ يَلــينُ بِهــا زَمــاني
ولِلإِفْــرَنْجِ فــي بَيْــروتَ عَــيْنٌ يُـسَمّى مَـنْ يُـساجِلُهُمْ بِجـاني(٣)
وَصَــلْتُ إلــى طَــرابُلُسٍ وَحِيــداً أُعــانِي بِــالتَّنَكُّرِ مــا أُعَــاني(٤)
يَــشينُ قِبابَهــا عَلَــمٌ غَريــبٌ وَذاكَ عَلامَــةُ الــوَطَنِ الْمُهــانِ
هَلُــمَّ حَقيبَتــي لأَحُــطَّ رَحْلــي فَــنَفْحُ زُهــورٍ جِلَّــقَ فــي تَــداني
فَخُـضْ بـي أَيُّهـا الحـادي رُبَاهـا وَأَلْـقِ عَـصا التَّرَحُّـلِ غَيْـرَ وانـي(٥)
حَلَلْــتُ بِهــا وَلَــمْ أَفْقِــدْ نَــدَامَى عَلــى أَدَبٍ وعَيْــشاً فــي لِيــانِ(٦)
ولِلأَقْــدارِ فــي الــدُّنْيا صُــروفٌ طَوَيْتُ على الحَديثِ بِها لِساني(٧)

---

(١) أزمير: مرفأ في تركيا على بحر إيجه. الدِّجان: جمع الدّجين: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء.

(٢) المِراح: التبخر والاختيال.

(٣) العين: الجاسوس. ساجل: باری وفاخر وعارض.

(٤) طرابلس: مدينة ساحلية في لبنان.

(٥) الواني: الضعيف البدن.

(٦) ليان: رخاء العيش ونعيمه.

(٧) الصروف: جمع الصرْف: حدثان الدهر ونوائبه.

3432

على النّيل

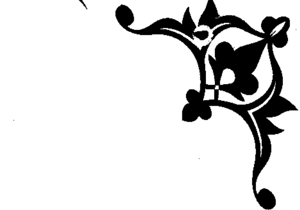
عَبَرْتُ عَلى جِسْرٍ أَرى النَّيلَ تَحْتَهُ   إلى رَوْضَةٍ فاشْتَقْتُ مَنْهَلَ زَغَوانِ[1]
صِراطٌ وفِرْدَوْسٌ وسَلْسَالُ كَوْثَرٍ   وما قَيْظُ أَشْواقي سِوى وَهْجِ نيرانِ

أزمير

لأَزْميرَ شَكْلٌ كالهِلالِ مَقَوَّسٌ   وَلَكِنْ لَهُ في مُنْتَهى البَحْرِ أَلْوانُ
وَأَحْسَبُهُ الشَّكْلَ الَّذي اخْتَطَفَ النُّهى   لِقَوْمٍ فقَالوا: في الكَواكِبِ سُكَّانُ

❐ ❐ ❐

(١) زغوان: نهر في تونس.

قافية الهاء

تحية دمشق سنة ١٣٥٦هـ[1]

زارَهـا بَعْـدَ نَـوًى طـالَ مَـداها ... فَـشَفى قَلْبـاً مُجِـدّاً فـي هَواهـا[2]
راحَ نَــشْوانَ ولا راحٌ سِــوى ... أَنْ أَرى الـشَّامَ وَحَيَّـاهُ شَـذاها[3]
نَظْــرَةٌ فــي ســاحِها تُــذْكِرُهُ ... كَيْفَ كانَ الْعَيْشُ يَحْلو فـي رُباهـا
مــا شَــكا فيهــا اغْتِرابــاً، وإذا ... حَدَّثَتْــهُ الــنَّفْسُ بالـشَّكْوى نَهاهـا
مَنْ يَحُـثُّ العِيسَ فـي البِيدِ إلـى ... بَـرَدَى يَحْمَـدُ لِلعـيسِ سُـراها[4]
فَهُنــا قامَــتْ نَــوادي فِتْيَــةٍ ... تَبْلُـغُ الــنَّفْسُ بِمَلْقــاهُمْ مُناهــا
أَدَبٌ يَزهـــو كَزَهْـــرٍ عَطِـــرٍ ... أَرْشَفَتْهُ الـسُّحْبُ مِـنْ خَمْـرٍ نَـداها
خُلُــقٌ لَــوْ نَـصَحَ الخَـوْدَ بِــهِ ... ناصِـحٌ لاتَّخَـذَتْ مِنْـهُ حُلاهــا[5]

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء الثاني من المجلد العاشر.

(٢) النوى: البعد.

(٣) الراح: الخمر.

(٤) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، أو ظلمة خفية، الواحد أعيس، والواحدة عيساء، ويقال: هي كرام الإبل. بردى: نهر في دمشق. السُّرى: سير عامة الليل.

(٥) الخوْد: الحسنة الخَلْق.

مَلــؤوا «جِلَّــقَ» أُنْـسـاً فَــأَرى … لَيْلَهـا طَلْـقَ المُحَيَّـا كَـضُحاها[١]
شَـدَّ مـا لاقَـوْا خُطوبـاً فَانْتَـضَوْا … مُرْهَفاتِ الْعَزْمِ طَعْنـاً فـي لَهاهـا[٢]
عِـــزَّةُ الأُمَّـــةِ فـــي نَـــشْءٍ إذا … نَـشَبَتْ فـي خَطَـرٍ كـانوا فِـداها
وَجَناحـــا فَوْزِهـــا اسْتِمْـــساكُها … بِهُـــدى اللهِ وإرْهـــافُ قَناهـــا
هِـــيَ عَـــيْنٌ والهُـــدى إنْـــسانُها … فَـإذا مـا فَـسَقَتْ لاقَـتْ عَماهـا[٣]
رتِّـــلِ الـــذِّكرَ مَلِيَّـــاً تَـــرَهُ … يَغْـرِسُ الحِكْمَـةَ أَوْ يَجْنـي جَناهـا
أطْلَــقَ الأَفْكــارَ مِــنْ أَصْــفادِها … فَمَـضَتْ تَرْعـى الثُّرَيّـا وسُـهاها[٤]
خُـضْ عُلـومَ الْكَـوْنِ أَحْقابـاً وسِـرْ … في سَماها إنْ تَـشَأْ أَوْ فـي ثَراهـا[٥]
لا تَـــرى فـــي الـــدِّينِ إلاَّ مُغْرِيـــاً … بِحُلاهـــا أَوْ مُزيحـــاً لَقَـــذاها[٦]
ذَكَّرونـــا سَـــلَفاً قـــامَ عَلـــى … خُطَّـــةٍ غَـــرَّاءَ والـــدَّهْرُ طَواهـــا[٧]
أُمَّـــةٌ يُـــذْكي التُّقـــى غَيْرَتَهـــا … مِثْلَمـا يُـذْكي النَّـدى نـارَ قِراهـا[٨]

---

(١) جلق: دمشق.

(٢) اللهى: جمع اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

(٣) الإنسان: المثال الذي يرى في سواد العين.

(٤) الأصفاد: جمع الصفد: الوثاق الذي يشد به الأسير. الثريا: سبعة كواكب في عنق الثور، سميت بذلك؛ لكثرة كواكبها مع ضيق المحل. السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

(٥) الأحقاب: جمع الحُقب: ثمانون سنة، وقيل: أكثر من ذلك، الدهر.

(٦) القذى: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها.

(٧) السلف: كل من تقدمك من آبائك وقرابتك، والجمع أسلاف.

(٨) الندى: الجود. القرى: الضيافة.

شَـرَفٌ لَـوْ آنَـسَتْهُ الـشَّمْسُ فـي   أُفْقِــهِ الأَعْلـــى لَظَنَّتْــهُ أَباهـــا
أَوَ يُجْـــدي مَجْـــدُ أَسْـــلافٍ إذا   غَرِقَتْ أَجْفانُ خَلْـفٍ فـي كَراهـا[1]
أُمَّـــةٌ تَلْهـــو بِـــذِكْرى تالِـــدٍ   عَنْ طَريفٍ لَمْ تَـرِمْ عَهْـدَ صِباها[2]
فَابْعَثوهـــا هِمَمـــاً تَـسْمو كَمـــا   سَمَتِ الجَوْزاءُ تَزْهو فـي سَناها[3]
مـــا الفَخَـــارُ الحَـــقُّ إلاَّ نَهْـــضَةٌ   أَحْكَـمَ الإيمـانُ والْعِلْـمُ عُراهـــا

سرق الغمام

سَـرَقَ الغَمـامُ الْيَـوْمَ ظِلّـي بَعْـدَ أَنْ   رَسَمَتْهُ في «لنداو» شَمْسُ ضُـحاها
ويَدُ الرّحيلِ تَخَطَّفَـتْ مِـنْ «جِلَّـقٍ»   جِـسْمِي وأَبْقَـتْ مُهْجَتـي بُرباهـا
فَأَنـــا خَيـــالٌ والبُحَيْـــرَةُ مُقْلَـــةٌ   لَكِـــنْ تَطـــاوَلَ بِالخَيـــالِ كَراهَـــا

هاهنا شمسُ علوم

«عاد الشاعر من ألمانيا سنة ١٣٣٤هـ إلى الآستانة، وكان خاله العلامة الشيخ محمد المكي بن عزوز[4] قد توفي بها قبل قدوم صاحب الديوان بنحو شهرين، فزار قبره. وبهذه المناسبة قال هذه القصيدة».

رُبَّ شَـمْسٍ طَلَعَـتْ فـي مَغْـرِبٍ   وتَـوارى فـي ثَـرى الـشَّرْقِ سَناها

---

(١) الكرى: النعاس.

(٢) التالد: المال القديم. الطريف: المكتسب من المال.

(٣) الجوزاء: برج في السماء.

(٤) محمد المكي بن عزور: (١٢٧٠ ـ ١٣٣٤هـ) عالم محدث مؤرخ ففيه أديب، ولد في «نفطة» بتونس، وولي القضاء والإفتاء بنفطة، ثم رحل إلى الآستانة، فتولى تدريس الحديث في «دار الفنون ومدرسة الواعظين»، وتوفي بالآستانة، له مؤلفات عديدة في سائر العلوم.

هاهُنـا شَـمْسُ عُلـومٍ غَرَبَـتْ ... بَعْدَ أنْ أبْلَتْ «بِتِرْشِيشَ» ضُحاها[١]

بِفُـؤادي لَوْعَـةٌ مِـنْ فَقْـدِها ... كُلَّمـا أَذْكُـرُهُ اشْـتَدَّ لَظاهـا

فَقِفـا لَمْحَـةَ طَـرْفٍ نَقْتَنـي ... عِبَـراً مِـنْ سِـيرَةٍ طـابَ شَـذاها

أَيُّهـا الرَّاحِـلُ قَـدْ رَوَّعْتَنـا ... بِفِـراقٍ حَـرَمَ الْعَـيْنَ كَراهـا

لَـكَ نَفْـسٌ سَـرَّحَتْ هِمَّتَهـا ... في مَراعي الْعِلْمِ مِـنْ عَهْـدِ صِباها

صـاعَرَتْ لِلَّهْـوِ خَـدّاً وَرَأَتْ ... فـي ذُرى الْعَلْيـاءِ أَهْـدافَ هَواهـا

تَتَبـاهى الْبِـيضُ فـي يَـوْمِ الـوَغى ... بِظُبـاً مُرْهَفَـةٍ لا بِحُلاهـا[٢]

وحِجـاً أَشْـرَفَ مِـنْ عَلْيائِـهِ ... يَجْتَلـي زُهْـرَ الـدَّيَاجي وسُـهاها[٣]

غِبْـتُ فـي ذِكْـرى لَيـالٍ غَـضَّةٍ ... وَثَـبَ الـدَّهْرُ عَلَيْهـا فَطَواهـا

إذْ رُبـى «نَفْطَـةَ» تُزْهـى فـي حُلـى ... زَهْرِها الرَّيَّـانِ مِـنْ خَمْـرِ نَـداها[٤]

وظِـلالٍ بَـيْنَ دَوْحٍ ناضِـرٍ ... ونُهـورٍ يَبْهَـرُ الكَـأْسَ صَـفاها

وطُيـورُ الأَيْـكِ فـي أَغْـصانِها ... تَخْطَـفُ الـسَّمْعَ بِأَنْغـامِ لُغاهـا[٥]

بَـيْنَ هاتيـكَ الرُّبـى لَقَّنَتْنـا ... أَدَبَ الْعُـرْبِ كِتابـاً وَشِـفاها

(١) ترشيش: اسم قديم من أسماء تونس.

(٢) البيض: جمع الأبيض: السيف. الوغى: الحرب. الظبا: جمع الظبي: حد السيف. مرهف: محدد مرقق الحد.

(٣) الحِجا: العقل. السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

(٤) نفطة: بلدة في الجريد من أعمال تونس. الريان: ضد العطشان.

(٥) الأيك: الشجر الكثيف الملتف، الواحدة أيكة. لغى: جمع لغة.

وتَرَحَّلْـتَ إلـى تـونُسَ فـي ... نِعْمَـةِ الْمَغْبـوطِ إِقْبـالاً وَجاهـا[1]
صُـغْتَ بِالتَّـدْريسِ أَطْواقـاً شَـبا ... دُرُّهـا بالجـامِعِ الـسَّامي فتاهـا[2]
أَيْنَمـا كُنْـتَ تَـداعَتْ أُمَـمٌ ... تَتَمَلّـى رَوْضَـةً يَحْلـو جَناهـا
مِـنْ عُلـومِ اللُّغَـةِ الْفُـصْحى إلـى ... حِكْمَةِ الـشَّرْعِ إلـى عِلْـمٍ سِـواها[3]
لُغَـةُ الْعُـرْبِ ثِقـافٌ لِلنُّهـى ... وعُلـومُ الـدِّينِ نِبْـراسُ هُـداها[4]
وتَفاءَلْـتَ فَأَزْمَعْـتَ النَّـوى ... و(بِإِسْـتانْبولَ) أَلْقَيْـتَ عَـصاها[5]
أَلَقِيـتَ الأُنْـسَ فـي أَرْجائِهـا ... مِثْلَمـا تَلْقـى بِهـا ريـحَ صَـباها؟
زُرْتُ مَغْنـاكَ ومِـنْ سُـمَّارِكَ الْـ ... ـقَلَمُ الْباحِـثُ فـي سُـنَّةِ (طـهَ)[6]
ورِجـالٌ بَعَثـوا أَرْواحَهُـمْ ... فـي قَـراطيسَ تُناجي مَـنْ وَعاهـا
لَـمْ تَعِـشْ فيهـا غَريبـاً فَقَـرا ... بَـةُ أَهْـلِ النُّبْـلِ أَحْكَمْـتَ عُراهـا

---

(١) المغبوط: الذي يتمنى الإنسان مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه؛ لما أعجبه منه، وعظم عنده.

(٢) شبا: أضاء.

(٣) علم سواها: كان العلامة محمد مكي بن عزوز عارفاً بعلم الفلك، وله فيه مؤلف مطبوع، إضافة إلى رسوخه في علوم الشريعة، وعلوم اللغة العربية.

(٤) الثقاف: آلة من خشب تسوى بها الرماح. النبراس: المصباح، ويجمع على نباريس.

(٥) ألقى عصاه: بلغ موضعه، وأقام واطمأن وترك الأسفار، وكانت رحلته إلى الآستانة سنة ١٣١٨هـ.

(٦) المغنى: المنزل.

عَــرَّجَ النَّــاعي عَلـــى أَنْدِيَـــةٍ   كُنْـتَ إنْ وافَيْتَهـا قُطْـبَ رَحاهـا[(١)]

ودَرَتْ «دارُ الْفُنـونِ» النَّعْـيَ مِـنْ   صُبْحِها الطَّالِعِ فـي لَـوْنِ دُجاهـا[(٢)]

طِـبْ مُقامـاً «يـا بْـنَ عَـزُّوزٍ» فَقَـدْ   كُنْـتَ تُعْطـي دَعْـوَةَ الحَـقِّ مُناهـا

دقاقة الأعناق

«قالها في مصر بمناسبة بلوغه الستين».

قَضَيْتَ سِتِّيْنَ عاماً في الحَياةِ وَهَـلْ   قَضَّيْتَ يَـوْمَيْنِ مِنْهـا فـي رِضـا اللهِ

فَـلا يَغُرَّنْــكَ أَقْــلامٌ وأَلْــسِنَةٌ   تَقــولُ إنَّــكَ ذو عِلْــمٍ وذو جــاهِ

ومـا أُبَـرِّئُ نَفْـسي والهَـوى يَقِـظٌ   بَـيْنَ الجَـوانِحِ وَهْـوَ الآمِـرُ النَّـاهي

وافَتْــكَ دَقَّاقَــةُ الأَعْنــاقِ مُنْــذِرَةً   فَأَرْعِهـــا بانْتِبـــاهٍ سَـــمْعَ أَوَّاهِ[(٣)]

سِواكَ جاوَزَهـا فـي صَبْوَةٍ فَهَـوى   في حَمْأَةٍ مِنْ حَياةِ السَّادِرِ اللاَّهي[(٤)]

فَانْهَضْ إذا ما لَمَحْتَ الخَيْرَ في عَمَلٍ   وخَـلِّ «سَـوْفَ» لِعَـزْمٍ خامِـلٍ واهِ

إلى الحاكم المسلم

رُزِقْـتَ جاهـاً فَخَـلِّ العِـزَّ يَحْميـهِ   والْعِــزُّ حِــصْنٌ وتَقْــوى اللهِ تَبْنيــهِ

---

(١) قطب الرحى: سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم.

(٢) دار الفنون: معهد أنشأته الحكومة العثمانية بالآستانة يدرس فيه علوم الدين والعربية، وكان العلامة ابن عزوز مدرس علم الحديث في المعهد.

(٣) دقاقة الأعناق: هي العشر السنين ما بين الستين والسبعين من عمر الإنسان، وهكذا يسميها العرب. الأواه: الموقن، أو الدّعاءِ أو الرحيم الرقيق.

(٤) الصبوة: جهلة الفتوة. الحمأة: الطين الأسود المنتن. السادر: الذي لا يهتم ولا يبالي بما صنع.

قُلِّدْتَ حُكْماً ومِنْهاجُ السِّياسَةِ أَنْ ... تَرْعى الشَّريعَةَ فيما أَنْتَ قاضيهِ
أَنْتَ الهُمامُ الَّذي يَقْضي اللَّيالِيَ في ... صَحْوٍ مِنَ الحَزْمِ لا في سَكْرَةِ التِّيهِ(١)
وَلَسْتَ أَنْتَ كَزَيْدٍ إنْ يُصِبْ هَدَفاً ... أَوْ لا يُصِبْ، قَلَّ لاحِيهِ ومُطْرِيهِ(٢)
بَلْ أَنْتَ كالبَدْرِ يَدْري النَّاسُ قاطِبَةً ... لَوْ حادَ طَرْفَةَ عَيْنٍ عَنْ مَعاليهِ
يَجْتابُ سيرَتَكَ النُّقادُ في مَلإٍ ... أَو في طُروسٍ بِلَوْمٍ أَوْ بِتَنْبيهِ(٣)
والشَّعْبُ كالدَّوْحِ يَسْتَمْري الْغَيُورُ لَهُ ... أَخْلافَ مُزْنَةِ عِرْفانٍ فَيُحْييهِ(٤)
ولا فَلاحٌ إذا ما قَيَّدَتْهُ يَدٌ ... عَنِ النُّهوضِ إلى أَقْصى أمانيهِ
ومَنْ يُذِقْهُ رَحيقَ الأَمْنِ يَرْعَ لَهُ ... حُسْنَ الوَلاءِ وبالأَرْواح يَفْديهِ
وما الوَلاءُ سِوى مُهْرٍ لِهِمَّةِ مَنْ ... يَرى سَماءَ الهُدى أَعْلى مَراقيهِ
فَإنْ تَضَعْ لَبِناتٍ في بِناءِ عُلاً ... تَنافَسَ الْقَوْمُ في إنْجازِ باقيهِ
وإنْ نَهَضْتَ لِخَصْمٍ يَوْمَ مَلْحَمَةٍ ... كانوا الأَسِنَّةَ طَعْناً في تَراقِيهِ(٥)
حُلَى السِّياسة حِلْمٌ إذْ يَزِلُّ فَتًى ... لا يَعْرِفُ النَّاسُ شَرّاً في مَساعيهِ

---

(١) الهمام: الملك العظيم الهمة، السيد الشجاع. التيه: الصلف والكبر، الضلال.

(٢) اللاحي: اللائم. المطري: المادح، والذي يثني على الناس.

(٣) يجتاب: يقطع ويخرق.

(٤) يستمري: يستدر. أخلاف: جمع خِلْف: حلمة ضرع الناقة. المزنة: القطعة من السحاب به ماء.

(٥) الملحمة: الوقعة العظيمة القتل في الفتنة. التراقي: جمع الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين.

وإنْ تبــارى وُلاةٌ فَالفَخــارُ لِمَــنْ ... يَــسوسُ حُــرّاً بإصْــلاحٍ وتَوْجيــهِ

وللــرَّئيسِ عُيــونٌ مِــنْ بطانَتِــهِ ... تَفْري الظَّلامَ وتُوري ما انْطَوى فيهِ[١]

أَوْفى البِـطانَةِ عَهْـداً مَـنْ يُبَلِّـغُ ما ... دَراهُ مِــنْ غَيْــرِ تَزْويــرٍ وتَمْويــهِ

والْعَبْقَرِيَّــةُ والــشُّورى إذا التَقَتـا ... عَلى بِـساطِكَ قَـرَّتْ عَـيْنُ رائيـهِ[٢]

يَـسْتَطْلِعُ المُسْتَـشيرُ الـرَّأْيَ يَرْدُفُـهُ ... صَــفاءُ أَفْئِــدَةٍ كانَــتْ تُجافيــهِ[٣]

تَـسودُ بـالحُكْمِ أَحْقابـاً وذلِـكَ مـا ... أَعْنــي إذا قُلْــتُ: لَيْــتَ اللهَ يُبْقيــهِ

والخُلْدُ لِلصِّيتِ والرَّأْيِ الَّذي ازْدَهَرَتْ ... بِهِ الـصَّحائِفُ واسْـتَدَّتْ مَراميـهِ[٤]

الكرمة

مِــنْ بَـديعِ الْكَـوْنِ أَيْـدٍ غَرَسَـتْ ... دَوْحَــةً فــي تُرْبَــةٍ طــابَ ثَراهــا

تَتَحَــسَّى لَــبَنَ الْمُــزْنِ إلــى ... أَنْ تَجَلَّتْ كَعَـروسٍ فـي حُلاهـا[٥]

تُرْسِــلُ الْعُنْقــودَ مــا أَشْــبَهَهُ ... بِالثُّرَيَّـا وَهْـيَ تُزْهـى فـي دُجاهـا

يَرْشُــفُ الْبـائِسُ فـي الْقَـوْمِ كَمـا ... يَرْشُفُ المُتْرَفُ مِنْ شَـهْدِ لَماهـا[٦]

هَـلْ رَعـى الإنْـسانُ عَهْـدَ اللهِ فـي ... دَوْحَــةٍ تُطْعِمُــهُ حُلْــوَ جَناهــا

---

(١) تفري: فرى الشيء فرياً: قطعه وشقه.

(٢) قرت العين: بردت سروراً، وانقطع بكاؤها، أو رأت ما كانت متشوقة إليه.

(٣) يردف: يتبع.

(٤) الصيت: الذكر الحسن ينتشر بين الناس. استدت: انتظمت واستقامت.

(٥) تتحسى: تشرب شيئاً بعد شيء. المزن: السحاب ذو المطر.

(٦) اللمى: سمرة في باطن الشفة، أو شربة سواد فيها، وذلك مما يستحسن.

قَلَبَ الْعَذْبَ إلى مُرٍّ وَكَمْ ... قَلَبَ الخَيْرَ إلى شَرٍّ فَتاها[1]

حَبَسَ الخَمْرَةَ حَتّى عَجَزَتْ ... وَاسْتَبانَ الْغَوْلُ فيها وتَناهى[2]

مَلأَ الإبْريقَ والكَأْسَ وما ... صَبَّ في أَحْشائِهِ إلاَّ عَتاها[3]

فَهْوَ سَكْرانٌ فَلا تَسْمَعُ في ... نُطْقِهِ إلاَّ هُذاءً وسِفاها[4]

في مصنع الزجاج

«قيلت في دمشق سنة ١٣٣٢هـ».

إنَّ هذا الزُّجاجَ يُصْنَعُ كَأْساً ... لِيَبيتَ الحَليمُ مِنَّا سَفيها

ويَصوغُ الدَّواةَ مِنْ بَعْدِ كَأْسٍ ... لِيَصيرَ الجَهولُ حَبْراً نَبيها[5]

فَهْوَ كالفَيْلَسوفِ يَنْفُثُ غَيّاً ... ثُمَّ يَأْتي بِما يَرُوقُ الْفَقيها[6]

إفحام العَذول

قالَ العَذولُ، وقَدْ مَحَضْتُ مَوَدَّتي ... مَنْ يَزْدَهي في نَخْوَةٍ وأَلِفْتُ قُرْبَهُ[7]:

أَتُحِبُّهُ وَقَدِ ازْدَهاهُ تَعَظُّمٌ؟ ... فَأَجَبْتُهُ: لَوْلا التَّعَظُّمُ لَمْ أُحِبَّهْ

---

(١) تاه: صلف وتكبر وضلّ.

(٢) عجزت: صارت عجوزاً، والعجوز: الخمر. الغول: السكر.

(٣) العتاه: نقص العقل.

(٤) الهذاء: التكلم بغير معقول لمرض أو غيره. السفاه: الجهل.

(٥) الحبر: العالم الصالح.

(٦) ينفث: يرمي من فيه. الغي: الضلال والانهماك في الجهل.

(٧) العذول: الكثير اللوم. محضت: أخلصت.

كفى المرء نبلاً

«تشطير بيت اقترحه عليه أحد الأدباء في تونس».

«فَمَنْ ذا الَّذي تُرْضى سَجَاياهُ كُلُّها» فَلَـمْ يَلْقَـهُ بِالعَـذْلِ يَوْمـاً مُراقِبُـهْ[١]
فَقُلْ لِلَّذي يُحْصي عُيوبَ ذَوي الْعُلا: «كَفى المَـرْءَ نُـبْلاً أَنْ تُعَـدَّ مَعايِبُـهْ»

ويحها من ساعة

كُنْـتَ تَخْـشى اللهَ فـي الـسِّرِّ فَمـا لَـكَ تَرْعـى حَـوْلَ نـارٍ مُحْرِقَـهْ[٢]
أَخَـلا الْقَلْـبُ مِـنَ التَّقْـوى وَقَـدْ كـانَ بـالتَّقْوى كـشَمْسٍ مُـشْرِقَهْ
لا يَغُرَّنَّـكَ عَـيْشٌ رَغِـدٌ وَزُهـورٌ فـي الرُّبـى مُتَّـسِقَهْ
ومُنـىً يُـسْعِدُها الجـاهُ فَـلا تَجِـدُ الأَبْـوابَ يَوْمـاً مُغْلَقَـهْ
لا يَغُرَّنْـكَ مَـديحٌ رائِـقٌ تَتَعاطـاهُ شِـفاهٌ لَبِـقَهْ[٣]
رُبَّ صيتٍ سـارَ فـي النَّـاسِ وَمـا هُـوَ إلاَّ كَلِـمٌ مُخْتَلَقَـهْ[٤]
يُمْهِـلُ اللهُ نُفوسـاً طالَمـا قَـذَفَ الجَهْـلُ بِهـا فـي موبِقَـهْ[٥]
وَيْحَهـا مِـنْ سـاعَةٍ لَـوْ سَـأَلَتْ عِنْـدَها الأَمْـنَ لَعـادَتْ مُخْفِقَـهْ[٦]

---

(١) السجايا: جمع السجية: الخلق والطبيعة.

(٢) ترعى: تسرح وتأكل.

(٣) اللبقة: اللينة، اللطيفة الظريفة.

(٤) الصيت: الذكر الحسن الذي ينتشر في الناس. الكلم: الكلمات.

(٥) الموبقة: المهلكة.

(٦) ويح: كلمة ترحم وتوجع.

أَفْلَحَـــتْ نَفْـــسٌ تُنــاجي رَبَّهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وَهْـــيَ مِـــنْ أَسْــرِ هَواهَـــا مُطْلَقَـــهْ

تقدير الأدب والألمعية

أُحِبُّـــكَ حُـــبَّ الأَديـــبِ الَّـــذي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ صَـــفا ذَوْقُـــهُ وتَـــسامى حِجـــاهُ[1]

وكَـــمْ تـــاقَ سَـــمْعي إلـــى سَـــمَرٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لَذيـــذٍ فَيَلْقـــى لَـــدَيْكَ مُنـــاهُ[2]

وإنْ تَطْـــوِ عَنَّـــا حَـــديثَكَ لَـــمْ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ نَجِـــدْ نَـــشْوَةَ الأُنْـــسِ فيمـــا سِـــواهْ

مرقاة العلا

نَبَتَـــتْ نَفْـــسُكَ فـــي وادي هُـــدًى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وشَفَتْ مِنْ مَنْهَلِ الْعِلْـمِ صَـداها[3]

واكْتَـــسَتْ بالحَمْـــدِ أَسْـــنى حُلَـــلٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أَوْرَثَتْها فـي الـوَرى عِـزّاً وَجاهـا[4]

تِلْـــكَ مِرْقـــاةُ العُـــلا والـــنَّفْسُ إنْ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أَحْرَزَتْهـا بَلَغَـتْ أَقْـصى مُناهـا[5]

أَتَراهـــــا أَمِنَـــــتْ عاصِـــــفَةً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ مِنْ هَوًى تُطْفِـئُ بالعَـصْفِ سَـناها

يَـــصْرِفُ اللهُ الهَـــوى عَـــنْ أَنْفُـــسٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ جَعَلَـتْ طاعَتَـهُ قُطْـبَ رَحاهـا[6]

القلب كالرّحى

لا تُخْلِ نَفْسَكَ مِنْ فِكْـرٍ تَجـولُ بِـهِ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ في الصَّالِحاتِ فَحَبْسُ الْفِكْرِ يُضْنيها

---

(١) الحجا: العقل والفطنة.

(٢) تاق: اشتاق.

(٣) المنهل: المورد. الصدى: العطش الشديد.

(٤) الورى: الخلق.

(٥) المرقاة: الدرجة.

(٦) قطب الرحى: أي: السيد الذي يدور عليه الأمر.

3444

وَالْقَلْبُ إنْ لَمْ يَدُرْ يَوْماً عَلى رَشَـدٍ دارَتْ عَلَيْـهِ هُمـومٌ عَـزَّ راقيهـا[1]
مِثْلُ الرَّحى إنْ تُدِرْها وَهْـيَ خاوِيَـةٌ مِنَ الطَّعـامِ فَـإِنَّ الطَّحْـنَ يُرْديهـا[2]

❒ ❒ ❒

---

(١) الرَّشد: الهداية. الراقي: من يصنع الرقية.

(٢) الرَّحى: الطاحون.



قافية الواو

هي فطرة

«قيلت محاورة لمن أطلق في تفضيل عهد المشيب على عهد الشبيبة».

سَـمَّيْتَ يـا هَـذا الـشَّبيـ ـبةَ سَـكْرَةً والـشَّيْبَ صَـحْوَا
وَأَتَيْـتَ فـي التَّمْثيـلِ بِـدْ عـاً وَهْـوَ لِلأُدَبـاءِ سَـلْوى[1]
أَمَّـا أَنـا فَرَأَيْـتُ فـي بَعْـضِ الـشَّباب عُـلاً وَتَقْـوى
وَرَأَيْـتُ رَأْيَ الحَـقِّ فـي بَعْـضِ الـشُّيوخِ هَـوًى وَلَهْـوا
نفْـسانِ: تَحْمِـلُ هَـذِهِ كَـدَراً، وتَحْمِـلُ تِلْـكَ صَـفْوا
هِـيَ فِطْـرَةٌ بِيَـدَيْكَ فَاصْـ ـبُغْها كَمـا تَبْغـي وتَهْـوى[2]
تَزْكـو إذا انْـسَجَمَتْ بِهـا مِـنْ مُزْنَـةِ الْعِرْفـانِ جَـدْوى[3]
وتَحـورُ أَنَّـى ساوَرَتْـ ـها مِـنْ جَليـسِ الـسَّوْءِ نَجْـوى[4]

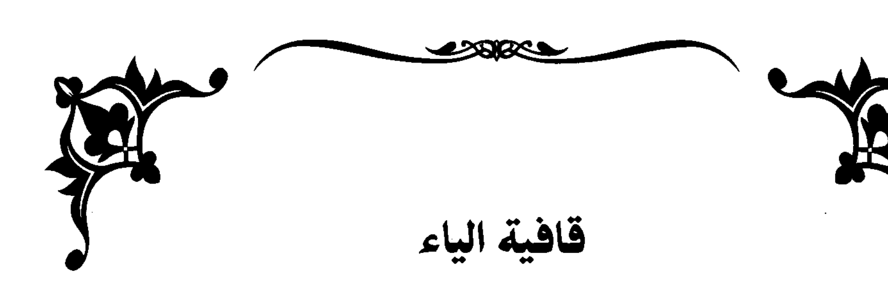
---

(١) البذْع: المبتدع. السلوى: كل ما سلاّك.

(٢) الفطرة: الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته.

(٣) المزنة: القطعة من السحاب به ماء. الجدوى: المطر العام، أو الذي لا يعرف أقصاه.

(٤) تحور: تنقص. ساور: واثب. النجوى: السر.



قافية الياء

لوعة الفراق

قِفْ بِنا يا حادِيَ الرَّكْبِ مَلِيَّا ... فَالصَّبا أَهْدَتْ لَنا أَطْيَبَ رَيّا(١)
قِفْ مَلِيّاً هُوَ ذا الرَّبْعُ الَّذي ... كُنْتُ قَدْ أَوْدَعْتُهُ قَلْباً شَجِيّاً(٢)
لَسْتُ أَدْري أَرَعَوْا بَعْدَ النَّوى ... عَهْدَنا أَمْ أَحْدَثوا في الْعَهْدِ شَيّا
قِفْ عَسى أَنْ أَجْنِيَ الأُنْسَ الَّذي ... كُنْتُ أَجْنيهِ غُدُوّاً وعَشِيّا
حَسْبُنا في الْعَيْشِ أَنَّا لا نَرى ... بَيْنَنا قَلْباً مِنَ الوُدِّ خَلِيّا
وأحاديثُ هِيَ الرَّاحُ الَّتي ... مَجَّها في الدَّنِّ عُنْقودُ الثُّرَيّا(٣)
رَوَّعَ الْبَيْنُ فُؤاداً لا يُرى ... فَزِعاً يَوْمَ يُلاقي الْمَشْرَفِيّا(٤)
وبَدا الصُّبْحُ عَبوساً بَعْدَما ... كُنْتُ أَلْقى لَيْلَهُمْ طَلْقَ الْمُحَيّا(٥)

---

(١) المليّ: الساعة الطويلة من النهار. الريّا: الريح الطيبة.

(٢) الشجي: الحزين.

(٣) الراح: الخمر. مجّ الشراب: رمى به من فيه. الدن: الوعاء.

(٤) البين: الفرقة. المشرفي: السيف.

(٥) المحيا: جماعة الوجه.

قِيلَ لـي الطَّيْـفُ أَنـيسٌ، قُلْـتُ مـا ... تَـرَكَ الوَجْـدُ كَـرًى فـي مُقْلَتَيّـا[١]
عَلِمـوا التِّمْثـالَ يُـذْكي فـي الحَشا ... لَوْعَـةَ الـشَّوْقِ فَأَهْـدَوْهُ إِلَيّـا
لَـيْسَ لـي مِـنْ سَـلْوَةٍ عَـنْهُمْ وَلَـوْ ... بِـتُّ طُـولَ اللَّيْـلِ لِلْبَـدْرِ نَجِيّـا[٢]

رثاء المرحوم تيمور باشا[٣]

أَهَذا الدُّجى والصُّبْحُ ما زالَ خافِيـا ... أَمِ الصُّبْحُ وافى حائِلَ اللَّوْنِ داجِيـا[٤]
أُقَلِّبُ وَجْهي فـي الحَيـاةِ فَـلا أَرى ... لَذيذاً وكانَ الْعَـيْشُ بـالأَمْسِ زاهِيـا
حَمامَـةَ وادي النِّيـلِ راعَ حُـشاشَتي ... هُتافُـكِ إذْ أَرْسَـلْتِهِ الْيَـوْمَ شـاجِيا
سَقى دَوْحَكِ الوَسْمِيُّ وَهْناً فَما لَنـا ... نَـرى غُـصْنَهُ الْمَيَّـادَ أَغْبَـرَ ذاوِيـا[٥]
لَحى اللهُ صَوْتَ الهَـاتِفِ الْيَـوْمَ إِنَّـهُ ... نُعابُ غُرابٍ يَقْرَعُ الـسَّمْعَ جافِيـا[٦]
أَصـاخَ لَـهُ صَـحْبي فَأَنْبَـأَ بـالَّتي ... تَشُبُّ الأَسى بَيْنَ الجَوانِحِ طاغِيـا[٧]
نَعى عَبْقَرِيَّ الشَّرْقِ تَيْمورَ فاغْتَـدى ... لِمَنْعاهُ قَلْبُ الـشَّرْقِ كـالقَرْحِ دامِيـا

---

(١) الوجد: المحبة. الكرى: النعاس.

(٢) النجي: من تسارّه.

(٣) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع من المجلد الثاني.

(٤) الدجى: الظلمة.

(٥) الوسمي: مطر الربيع الأول، سمي به؛ لأنه يسم الأرض بالنبات. الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه.

(٦) الهاتف: آلة الهاتف المعروفة، وقد بلغ الشاعر نبأ الوفاة بواسطته.

(٧) أصاخ: استمع وأصغى. تشب: توقد.

حنانَيْكَ عزَّ الْعِلْمَ والمَجْدَ والهُـدى فَقَدْ كـانَ عَلاَّمـاً مَجيـداً وَهادِيـا[١]
تَرَحَّـــلَ بـــالتَّقْوى وأَبْقـــى وَراءَهُ ثَنـاءً كَـنَفْحِ المِـسْكِ يَـسْطَعُ ذاكِيـا
رَعى اللهُ قَبراً، بَلْ رَعَى اللهُ رَوْضَـةً تبوَّأهــا مَــنْ كــانَ لِلْعَهْــدِ راعِيــا

لماذا يبكي الطفل ساعة ولادته؟

«قالها الشاعر في الآستانة».

كَـمْ لَيـالٍ مَـضَتْ وَلَـمْ تَـكُ شَـيّا فَلِما صِرْتَ نـامِيَ الجِسْمِ حَيّـا؟[٢]
كُنْـتَ فـي ظُلْمَـةٍ فَوافَيْـتَ نـوراً تَـــتَمَلاَّهُ بُكْـــرَةً وَعَـــشِيّا[٣]
أَكْرَمَــتْ نُزْلَــكَ الحَيــاةُ وَأَبْــدَتْ لَـكَ يَـوْمَ الـوِلادِ وَجْهـاً سَـنِيّا[٤]
فَعَـــلامَ اسْـــتَقْبَلْتَها بِنَحيـــبٍ؟ إنَّ فـي ذا النَّجيـبِ سِـرّاً خَفِيّـا[٥]
مَنْ يُلاقـي الْبَـشْيرَ فـي هَـذِه الـدَّارِ فَـــسَرْعانَ مـــا يُلاقـــي النَّعِيّـــا[٦]
كَيْفَ يَصْفو عَيْشُ الأريبِ وَقَدْ جا ءَ قَوْمـاً ضَـلُّوا الـصِّراطَ الـسَّوِيَّا
والهـوى كـالغُرابِ إنْ أَلِـفَ النَّفْـ ــسَ رَأَيْـتَ النَّعـيمَ مِنْهـا قَـصِيّا

---

(١) حنانيك: تحنن عليَّ مرة بعد أخرى.

(٢) فلما صرت: يريد: فلم صرت؟ إذ المقام للاستفهام، وقد جاء إثبات ألف «ما» في مثل هذا في الشعر.

(٣) تتملاه: تتمتع به. يقال: تملّى فلان عمره: استمتع به.

(٤) النُّزْل: ما هيئ للضيف أن ينزل عليه؛ أي: رزقه وقراه.

(٥) النحيب: رفع الصوت بالبكاء.

(٦) البشير: المبشر. النعي: الناعي الذي يأتي بخبر الموت.

فَاصْرِفِ النَّفْسَ عَـنْ هَواهـا إذا مـا رُمْـتَ عَيْـشاً مِـنَ الهُمـومِ نَقِيّـا

بطل الريف

«قالها بعد عودتـه من مقابلة بطـل الريف الأميـر محمد عبد الكريم الخطابي[١] على ظهر الباخرة بميناء السويس في منتصف ليلة السبت ١١ رجب سنة ١٣٦٦هـ».

قُلْـتُ لِلـشَّرْقِ وَقَـدْ قـامَ عَلـى قَـدَمٍ يَعْـرِضُ أَرْبـابَ الْمَزايـا:
أَرِنـي طَلْعَـةَ شَـهْمٍ يَنْتَـضي سَيْفَهُ الْعَضْبَ ولا يَخْشى المَنايا[٢]
أَرِنيهـا، إنَّنـي مِـنْ أُمَّـةٍ تَرْكَـبُ الْهَـوْلَ ولا تَرْضـى الـدَّنايا
فَـأَراني بَطَـلَ الرِّيـفِ الَّـذي دَحَـرَ الأَعْـداءَ فارْتَـدُّوا خَزايـا[٣]
غَـضْبَةٌ حَـرّاءُ هَزَّتْـهُ لأَنْ يُنْقِذَ المَغْرِبَ مِـنْ أَيْـدي الرَّزايـا[٤]
شَـبَّ حَرْبـاً لَـوْ شَـدَدْنا أَزْرَهـا لأَصـابَتْ كُـلَّ بـاغٍ بِـشَظايا[٥]

---

(١) زعيم قبائل الريف بالمغرب (١٨٨٢ ـ ١٩٦٣م) شن حرباً دامية ضد الأسبان من أجل التحرير، نفاه الفرنسيون إلى إحدى جزر المحيط، واستطاع الفرار من سجانيه الفرنسيين عام ١٩٤٧م بينما كان يمر بقناة السويس في طريقه إلى منفى جديد بفرنسا، وكان الشاعر أول من استقبله في بورسعيد، وتوفي بالقاهرة.

(٢) العضب: السيف القاطع.

(٣) دحر: طرد وأبعد. الخزايا: جمع خزيان، يقال: خزي منه: استحى منه.

(٤) حراء: ساخنة. الرزايا: جمع الرزيئة: المصيبة، ويقال: الرزية ـ بالإدغام ـ.

(٥) الأزر: القوة، الظهر.

أنت صدر أينما كنت

شَرَفٌ كالشَّمْسِ في رَأْدِ الضُّحى　　وثَناءٌ كَشَذا المِسْكِ الذَّكِيِّ[١]
غايَةٌ مِضْمارُها الْغَوْصُ عَلى　　دُرُرِ الْعِلْمِ بِفِكْرِ الأَلْمَعِيِّ[٢]
فَاطْلُبِ الحِكْمَةَ ما عِشْتَ وَدَعْ　　زُخْرُفَ الدُّنْيا لِغُمْرٍ أوْ غَبِيِّ[٣]
لا تَضِقْ صَدْراً إذا لاقاكَ مِنْ　　مَجْلِسِ الْقَوْمِ جَفاءُ الجاهِلِيِّ
أَنْتَ صَدْرٌ أَيْنَما كُنْتَ وإنْ　　جَلَسَ الأَذْنابُ في صَدْرِ النَّدِيِّ[٤]

الألمعيّ

دَعَوْكَ الأَلْمَعِيَّ فَقُلْتُ خَلُّوا　　لِطُلَّابِ الْعُلا اسْمَ الأَلْمَعِيِّ[٥]
وَأَمَّا مَنْ يَبيعُ عُلاً بِلَهْوٍ　　فَما في ثَوْبِهِ غَيْرُ الْغَبِيِّ

أسرب القطا

أَسِرْبَ القَطا والْبَيْنُ أَقْصى مَغانِيا　　تَمَلَّيْتَ أُنْساً في رُباها لَيالِيا[٦]

---

(١) رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء في الخمس الأول، وذلك شباب النهار.

(٢) المضمار: الموضع.

(٣) الغُمْر: من لم يجرب الأمور، الجاهل الأبله، جمع أغمار.

(٤) الندي: مجلس القوم ومتحدثهم.

(٥) الألمعي: الذكي المتوقد.

(٦) السرب: الجماعة من النساء والبقر والقطا. القطا: جمع القطاة: طائر في حجم الحمام، صوته قطا.. قطا. المغاني: جمع المغنى: المنزل.

أَحِنُّ إلـى المَغْنـى الأَنـيسِ وأَيْنُقـي　　تَجـوبُ لِمَلْقـاهُ الْقُـرى والْفَيافِيـا[1]

أَعِرْنـي جَناحـاً فالمَـسالِكُ وَعْـرَةٌ　　وَأَخفافُ تلْكَ الْعِيسِ أَمْسَتْ دَوامِيا[2]

أَعِرْنـي جَناحـاً كَـيْ أُلِـمَّ بِجيـرةٍ　　وشَمْسٍ تَهادى في السَّماءِ كما هِيـا

فَقالَ: أَعِشْتَ الدَّهْرَ في رأَسِ شاهِقٍ　　وَما زِلْتَ عَنْ مَجْلَى الحَضارَةِ نائِيـا![3]

مِـنَ الإِنـسِ أَسْـرابٌ تَطيـرُ كأَنَّهـا　　بُـروقٌ إذا مَـرَّتْ تَـشُقُّ الـدَّياجيا

فَكُـنْ طـائِراً لا يَـسْتَعيرُ قَوادِمـاً　　ـ إذا رامَ مَغْنـىً قاصِيـاً ـ أَوْ خَوافِيا[4]

العُمر وعاء

عَهِـدْتُكَ فـي الثَّقافَـةِ عَبْقَرِيّـا　　وَرَأْيُـكَ يَكْـشِفُ الأَمَـدَ الْقَـصِيّا[5]

ونَفْـسُكَ لا تُطيـعُ هَـوًى إذا مـا　　غَـزا الأَهْـواءُ قَلْبـاً سَـمْهَرِيّا[6]

---

(١) الأينق: جمع الناقة: الأنثى من الإبل. الفيافي: جمع الفيفي والفيفاء والفيفاة: المكان المستوي، وقيل: المفازة لا ماء فيها.

(٢) الأخفاف: جمع الخف: وهو للبعير والنعام بمنزلة الحافر لغيرها. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، ويقال هي كرام الإبل، الواحد أعيس، والواحدة عيساء.

(٣) المجلى: مقدمة الرأس.

(٤) القوادم: عشر ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش، الواحدة قادمة. الخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت، وقيل: هي الأربع اللواتي بعد المناكب.

(٥) الأمد: الغاية والمنتهى. القصي: البعيد.

(٦) السمهري: الرمح الصلب.

3452

عَــلامَ صَــمَدْتَ فــي وادٍ تلاقــي   عَلــى جَنبَاتِــهِ لَغْــواً وَغَيَّــا[١]

وآذانــاً تَــصامَمُ عَــنْ رَشــادٍ   إذا هَــزَّ الطُّغــاةُ الْمَــشْرَفِيّا[٢]

فَمَهْما اسْطَعْتَ مِـنْ مَرْمَـى فَعَـرِّجْ   عَلَيْـهِ ولا تَنـي مـا دُمْـتَ حَيّـا[٣]

فَعُمْـرُ المَـرْءِ فـي الـدُّنْيا وِعـاءٌ   عَزيــزٌ حــينَ يَمْلَــؤهُ حُلِيّــا

ومـا حُلْـيُ الحَيـاةِ سِـوى صُـنوفٍ   مِنَ الحُسْنى حَلَتْ في العَيْنِ رِيّـا[٤]

❐ ❐ ❐

(١) اللغو: ما لا يعتد به من كلام وغيره. الغي: الضلال والانهماك في الجهل.

(٢) المشرفي: السيف.

(٣) تني: تضعف وتفتر وتكل.

(٤) الحسنى: العاقبة الحسنة، النظر إلى الله ﷻ الرِيّ: المنظر الحسن.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الفهرس العام للموسوعة

الموضوع	الصفحة

الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

ديوان

خواطر الحياة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

